

الذكرى المئوية ١٤٣١ هـ

أجوبة المسائل الكويتية

(مجلد السؤال)

في علم الحكمة ومراتب الأئمة

لشمس الشمس آية الله العظمى

الشيخ محمد بن الشيخ عبدالله آل عيثان

١٢٦٠ - ١٣٣١ هـ

تحقيق :

أحمد عبدالهادي المحمد صالح



تنبيه هام

لقد ورد خطأ في ترويسة الكتاب أعلى الصفحات
إسم المؤلف الشيخ أحمد آل عيثان
والصحيح هو
الشيخ محمد آل عيثان

الأوحد

موقع الأوحد
Awhad.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



آية الله العظمى الشيخ محمد العيثان
رسم تقريبي بريشة الرسام العراقي إياد بلادي

أجوبة المسائل الكويتية

في علم الحكمة ومراتب الأئمة عليهم السلام

لشمس الشمس آية الله العظمى

الشيخ محمد بن الشيخ عبدالله آل عيثان

تحقيق:

أحمد عبدالهادي المحمد صالح

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م



كلمة المحقق

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا
ونبينا وهادينا ومنقذنا من الضلالة إلى النور محمّد بن عبد الله
وآله الطيبين الطاهرين.

مما لا شك فيه أن الأحساء أنجبت أعلاماً لا يمكن
للتاريخ الإسلامي أن يتجاهلهم لما لهم من إسهام وعطاء
علمي منوع حسب ظروف كل عصر ومرحلة، ومشاركتهم
في دفع الحركة العلمية إلى أوجها، فمنهم من اعتلى منبر
الدرس، ومنهم من تشرف برواية الحديث أو حرص أن
يكون من طرق روايته، وآخر انبرى بتدوين الحديث
والتأليف، وهم كثر - والحمد لله - ومن هؤلاء الأعلام على
سبيل الذكر لا الحصر: الشيخ محمّد بن علي بن إبراهيم بن
أبي جمهور الأحسائي، صاحب كتاب (عوالي اللآلي)،
والشيخ أحمد بن فهد الأحسائي (ت: بعد ٨٠٦هـ)، والشيخ
أحمد بن الشيخ محمد السبعي (ت: بعد ٨٥٤هـ)، والشيخ

أحمد بن زين الدين الأحسائي (ت: ١٢٤١هـ)، والشيخ
عبدالمحسن بن محمد اللويمي (ت: ١٢٤٥هـ)، والشيخ أحمد
بن محمد بن محسن المحسني (ت: ١٢٤٧هـ)، والسيد محمد
الموسوي القاري (ت: ١٢٦٠هـ)، والشيخ أحمد بن مال الله
الصفار (ت: بعد ١٢٦٥هـ)، والشيخ محمد بن الشيخ حسين
أبو خمسين (ت: ١٣١٦هـ)، والشيخ عمران السليم (ت:
١٣٦٠هـ)، والشيخ محمد بن الشيخ عبدالله آل عيثان (ت:
١٣٣١هـ)، والشيخ حبيب بن صالح بن قرين (ت: ١٣٦٣هـ)،
والشيخ موسى بن عبدالله أبو خمسين (ت: ١٣٥٣هـ)، والكثير
منهم - رحم الله الماضين وحفظ الله الباقيين - ساهموا في
جميع المجالات العلمية، فمنهم الفقيه اللامع، وبينهم المحقق
البارز، وهناك الفيلسوف والمتكلم، وهناك من ضربت شهرته
الآفاق، وهذا ليس بالأمر الكثير على أعلام منطقة كانت ذات
مكانة منذ صدر الإسلام وحتى وقتنا الراهن.

والشيء المؤلم أن منطقة تمتلك مثل هذا الرصيد
التاريخي الحافل، والمكانة المرموقة في الأوساط العلمية لا

زال العديد من أعلامهم، قد قفلته الكتب التاريخية، والمصادر العلمية، لا لشيء إلا لتقصير أبناء جلدته في إحياء ذكراه، أو تبين موقعيته في المراكز العلمية، والسؤال البارز الذي يعرض نفسه:

ألم يحن الوقت لتتل هذه الكوكبة العلمية وغيرها التكريم؟ بإقامة المؤتمرات وطبع كتبها، وتسليط الضوء على الصعاب التي واجهوها في أثناء مسيرتهم العلمية والتبليغيه، وقراءة الفاتحة على أرواحهم، مع توفر كل الإمكانيات التي تخدم هذا الجانب، والتي تجعل الفرصة مؤاتية لأن يقدم مجتمعنا الأحسائي جزءا من حق هؤلاء الأعلام علينا، والذين ساهموا بشكل كبير في تقديم اسم الأحساء للعالم الإسلامي من خلال ما قدموه من إنتاج علمي وفكري وصل صيته إلى الأوساط العلمية.

بل ويدفعنا لنكون شديدي الطمع في أن يتصدى لهذا التكريم مؤسسة علمية متمثلة بالحوزة العلمية أو بمجموعة

من رجالات الدين الغيارى، أو بمجلس عائلة العلم التي تنتسب له، وهذا أقل القليل الذي يمكن أن نقدمه لهذه الرموز السامقة في فضاء العلم.

خصوصاً إذا علمنا أن نفوس المثقفين والباحثين في الأحساء تتطلع منذ وقت طويل جداً إلى تكريم الأعلام في المنطقة، حتى وصلتني دعوة كريمة من الأخ العزيز المتتبع الأستاذ العزيز علي بن حسين آل عيثان (أبو حسن) لحضور ندوة تحضيرية لمئوية شمس الشمس آية الله العظمى المرجع الديني الشيخ محمد بن الشيخ عبدالله آل عيثان القاري الأحسائي المتوفى في ١٦ من شهر ذي الحجة ١٣٣١هـ.

هذه الدعوة وضعتني أمام واقع الدور الذي يمكن أن أقدمه وأساهم به في الحفل المئوي؛ لأشجع من يقدم على هذه المبادرة دون تردد أو ملل، وحتى أثبت لمن لديه روح المبادرة أنه لن يكون وحيداً في الساحة.

وكان السؤال الذي راودني كثيراً عندما تلقيت الدعوة

هو، ماذا سأقدم لهذه المئوية؟

وكانت الإجابة: سأحضر الندوة التحضيرية للمئوية، استجابة للدعوة الكريمة أولاً ومن ثم الوقوف على الإنتاج العلمي لهذه الشخصية العلمية التي لا زال أهالي الأحساء يتفاخرون بها كما حدى الشخصيات العلمية التي أبدعتها المنطقة، ومن ثمّ سأقرر نوع المشاركة التي سأقدمها في الحفل المزمع إقامته في شهر ذي الحجة ١٤٣١هـ

حيث لا شك إن انعقاد حفل مثوي أو مؤتمر لشخصية علمية بارزة مثل شخص آية الله شمس الشموس سيتشرف بحضوره شخصيات علمية دينية وثقافية بارزة، وستلقى كلمات وعبارات الثناء عليه، وسيشار إلى آثار هذا العالم العظيم، الذي كان له في تاريخ العالم الإسلامي والأحسائي ما كان، سواء في أثناء رحلته العلمية إلى النجف الأشرف وكربلاء المقدسة مع أساتذته العظام وبين طلابه، أو بعد أوبته إلى وطنه الأحساء وتوليه منصب الزعامة الدينية بعد رحيل

آية الله العظمى الشيخ محمد بن الشيخ حسين أبو خمسين
(ت: ١٣١٦هـ).

وقد تنبعت إلى أهمية المساهمة في تحقيق مؤلفاته
وإحياء آثاره؛ لتكون سهلة المأخذ بين يدي القارئ، ولتعم
فائدتها على العلماء والتلاميذ، والباحثين والقراء الكرام،
وليطفى هذا العمل ظمأ المحبين والمتبعين لهذا النوع من
العلوم.

وقد اخترت (أجوبة الشيخ حسين الصحاف) من بين
مؤلفات شمس الشموس في أثناء إقامة الندوة التحضيرية،
وحصلت على نسخة وحيدة من الرسالة المذكورة من مكتبة
الأديب الأستاذ علي بن حسين آل عيثان.

فشمرت يد الهمة ووطّدت العزم على بذل الجهد
واستنفاذ الوسع قدر المستطاع للقيام بهذا العمل.

وقد عانيت فيه الشيء الكثير من رداءة خط الناسخ -
سامحه الله - فمع عدم وضوح الخط وتداخل بعض الحروف
مع بعض، وتقارب رسم الحروف مثل الدال واللام، والغين

والفاء، وزاد من عسر المخطوط انه استعمل قلمه كثيراً بالشطب على الكلمات بغير إتقان أو تفنن ومن ثم الكتابة والتهميش على بعض الكلمات المشطوبة، واعتقد - والله العالم - إن الخط الرديء للمخطوط أحد العوائق التي نفرت المحققين من العمل في بعض المخطوطات، وأبعدت الباحثين أيضاً من قراءتها والاستفادة منها.

إلا أنه والله الحمد وفقني ربي حيث تمكنت خلال هذه الفترة الزمنية من إتمامه برغم العوارض التي داهمتني خلال العمل في هذه الرسالة مستمداً من الله العون والتكلان في كل أموري.

ورسالة (أجوبة الشيخ حسين الصحاف) عبارة عن مجموعة مسائل في علم الحكمة كتبها العلامة الفقيه الشيخ حسين بن الشيخ علي بن الشيخ محمد الصحاف الأحسائي الكويتي (ت: ١٣٤٣هـ)، وهو من أعلام مدرسة الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي - أعلى الله مقامه - فكتب أسئلته

حول مضامين علم الحكمة عند المدرسة الأحسائية ووجهها إلى قطب من أقطاب مدرستهم المتمثلة في ذلك العصر بآية الله الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله آل عيثان (ت: ١٣٣١هـ)، فأجاب عليها - أعلى الله مقامه - إجابة شافية بعدما قدم مقدمة لطيفة عن أهمية السؤال والسير نحو الطريق الصحيح، ثم بدأ بتناول الأسئلة واحداً تلو الآخر وقد أجاب عنها - أعلى الله مقامه - بأوضح العبارات وأبينها، والإجابة التي تحتاج إلى توضيح أو تنبيه بادر - أعلى الله مقامه - بكتابتها مبيناً المبهمات الخفية، والمغلق من المعاني الفلسفية إتماماً منه لإجابة السائل وإيفاء بحق العلم، فتضمنت هذه الرسالة جل المطالب الحكمة.

وهذا ليس بغريب ولا يبعد على علم كالشيخ آل عيثان الذي سطعت شمسه في عصره مع كثرة الغيوم التي أعاقته في مسيرة حياته العلمية والاجتماعية.

وسيجد القارئ في مضامين المطالب البحثية من هذه الرسالة ما يهدئ من روعه في أثناء القراءة؛ لأن المؤلف -

أعلى الله مقامه - قد استشهد بالقرآن الكريم وبروايات أهل بيت النبوة ﷺ في جميع مطالبه العلمية التي بحثها، والتي سأدعها في سنبلها إلى حين قراءتك للكتاب، وأدعوك أيضاً أن تدعو للمؤلف بالرحمة والمقام المحمود، وأن يحشره الله مع من أحب، وهم محمّد وأهل بيته الطيبين الطاهرين.

ولا يفوتني في هذه الفرصة العزيزة أن أزجي خالص شكري المتواصل وثنائي العاطر إلى من آزرني في عملي هذا، وأخص بالذكر:

المحقق البارع فضيلة الشيخ / أحمد بن عبد الوهاب البوشفيح، إذ كان له بالغ الفضل في إنجاز هذا العمل حيث أتعب نفسه بقراءة النسخة الوحيدة قراءة دقيقة وطابق الحروف المصفوفة بالنسخة، بالإضافة إلى ملاحظاته القيمة وإفاداته، فله مني على ذلك خالص الشكر والعرفان.

وصاحب الفكر الوقاد والمثقف، الأخ العزيز، الأستاذ

علي بن حسين آل عيثن (أبو حسن) (عضو لجنة إحياء الذكرى) الذي منحني ثقته بتقديمه لي مصورة من المخطوط للعمل على تحقيقه، وتواصله الدائم خلال فترة العمل بالسؤال وتقديم كامل استعداداته لتهيئة كل ما يلزم، فبارك الله فيه. والأستاذ الأديب عبدالله بن علي الرستم في مراجعته هذا العمل، فشكر الله جهده .

ولا يفوتني أن أتقدم بخالص شكري للجنة إحياء ذكرى شمس الشمس الشيخ محمد بن الشيخ عبدالله آل عيثن التي ساهمت بإخراج هذا العمل إلى النور، ووضعته بين يدي الجميع.

ومع سروري بما قدمت في هذا العمل إلا أنه لا يسوغ لي أن أدعي الكمال، وأن عملي يخلو من النقص!!، بل شيء طبيعي لم يسلم منه أي مشروع، ومن هنا أتقدم بالعدر من المؤلف - أعلى الله مقامه - ومن الباحثين والقراء الكرام على عدم استيفاء العمل حقه كما ينبغي.

كما أنني أرحب بما سيكتبه الفضلاء والباحثون من

ملاحظات ونقد بناء على هذا العمل والتنبيه على ما يروونه من الأخطاء والزلات فيه.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُوَفِّقَنِي لِكُلِّ خَيْرٍ، وَأَنْ يَسُدَّ
خَطَايَ، وَيَجْرِي قَلَمِي فِيْمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ﴿وَأَخْرَجُوا لَهُمْ أَنْ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

أحمد عبدالهادي المحمد صالح

١٤٣١/٨/٣ هـ

الأحساء - الهفوف

Ahmed.aaaaaa@gmail.com

ترجمة المؤلف

الشيخ محمد بن الشيخ عبدالله آل عيثان

أسمه ونسبه^(١):

هو العالم العامل الفاضل الأواه الشيخ محمد بن الشيخ
عبدالله بن الشيخ علي بن أحمد آل عيثان الهجري القاري
الأحسائي.

عالم فاضل مجتهد كامل.

ولادته ونشأته العلمية:

ولد الشيخ المؤلف في قرية القارة إحدى قرى الأحساء
سنة ١٢٦٠هـ^(٢)، ونشأ فيها، وقرأ المقدمات على والده وعلى
بعض العلماء، ثم هاجر إلى العراق عام ١٢٨٢هـ بعد بلوغه

(١) اعتمدت هذه الترجمة على كتاب (أعلام هجر) للسيد هاشم بن السيد محمد
الشخص، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر،
لبنان - بيروت: ٤/٤٣٧ - ٤٧٨.

(٢) وفي منتظم الدرر (المخطوط) ولد سنة ١٢٦١هـ.

اثنين وعشرين سنة^(٣)، وأقام بالعراق مشغولاً بالدراسة والبحث والتحقيق ٢٧ عاماً، وبقي في النجف الأشرف و كربلاء متردداً بينهما، واشتغل على علمائها فأخذ الفقه على الشيخ محمد حسين بن الشيخ هاشم الكاظمي، والشيخ محمد طه نجف، وقرأ علم التوحيد والكلام والحكمة الآلهية على العلامة السيد محمد مهدي بن السيد حسن القزويني الحسيني النجفي الحلبي، والميرزا محمد باقر بن محمد سليم التبريزي^(١).
ويروي بالأجازة رواية ودراية عن المشائخ المذكورين سابقاً.

عاد إلى الأحساء بعد وفاة والده، وعمل في التدريس

(٣) يذكر الميرزا موسى الأحقائي في الأجازة بين الاجتهاد والسيرة: ٦١، بأن الشيخ محمد آل عيثان هاجر إلى العراق وهو ابن تسعة عشر سنة.
(١) وفي الإجازة بين الاجتهاد والسيرة، ذكر الميرزا موسى الإحقائي فيها أن المترجم له: (يقيم في الصيف في كربلاء المشرفة، ويقرأ على الوالد الماجد [أي: ميرزا محمد باقر الأسكوئي رحمته] كتاب شرح العرشية، وشرح المشاعر، وشرح الفوائد، واللوامع الحسينية وغيرها، ثم يرجع إلى النجف ويقرأ على السيد القزويني في الفقه، وهكذا في كل سنة إلى أن لاقى الوالد الماجد ربه).

والبحث، وتقلد الزعامة الروحية والمرجعية بعد وفاة الحجة
 الشيخ محمد بن الشيخ حسين أبو خمسين الأحسائي.
 وفي كتاب (قلائد الجمان)^(٢) وردت أبيات شعرية
 ذكرها الشاعر الشيخ علي بن محمد موسى الرمضان في تعزية
 الشيخ طاهر والشيخ عبد الحميد وإخوانهم في وفاة الشيخ
 محمد أبو خمسين، قائلاً:

وابقي لنا مصباح ابنة الهدى

محمد بن عيثان ذا الجود والفخر

ممن استفاد منه :

تلمذ عليه في النجف الأشرف والأحساء عدد من
 العلماء الأفاضل، منهم:

١- الشيخ أحمد بن حبيب الدندن، فقد استفاد منه

بالمراسلة بعد وفاة استاذة السيد هاشم السلطان عام ١٣٠٩هـ

(٢) للحاج الجواد الرمضان (مخطوط): الصفحة ١٥٦.

وكان يسأله عن مسائل علمية.

٢- العلامة الحجة السيد ماجد بن السيد هاشم العوامي
القطيفي المتوفى سنة ١٣٦٧هـ قرأ عليه في النجف الأشرف

بعض كتب الحكمة.

٣- المرجع الكبير السيد ناصر بن السيد هاشم الأحسائي
المتوفى سنة ١٣٥٨هـ درس عنده في الأحساء الحكمة
الآلهية حوالي عام ١٣١٩هـ

٤- العلامة الحجة المرجع الشيخ عبد الله بن معتوق
القطيفي التاروتي المتوفى سنة ١٣٦٢هـ تتلمذ عليه في
الأحساء سنة ١٣١٢هـ

٥- العلامة الميرزا موسى بن الميرزا محمد باقر بن
محمد سليم الأسكوئي، المتوفى سنة ١٣٦٤هـ

٦- المرجع الشيخ حبيب بن الشيخ صالح بن قرين
الأحسائي، المتوفى سنة ١٣٦٤هـ

٧- الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن الشيخ أحمد
الممتن الأحسائي، المتوفى سنة ١٣١٦هـ

٨- أخوه الشيخ حسن بن الشيخ عبدالله آل عيثان،
المتوفى سنة ١٣٤٩هـ.

٩- الشيخ حسين بن محمد بن عثمان الدندن، المتوفى
سنة ١٣٦٣هـ.

١٠ - ١١- ولدا المترجم له الشيخ حسن المتوفى سنة
١٣٦٧هـ، والشيخ علي المتوفى سنة ١٤٠١هـ.

قالوا في شأنه :

مما جاء في إجازة الميرزا محمد باقر بن محمد سليم
الأسكوئي للشيخ محمد آل عيثان بعد البسمة والحمد: (قد
استجازني الأخ المعتمد الشيخ المسدد، العالم الفاضل،
المدقق الفاضل، ذو القلب السليم، والذهن الوقاد المستقيم،
اللوذعي الألمعي، الذي قد فاق بالاعتدال في فهمه وذكاه
أقرانه والأمثال، حيث جمع رتبتي المعقول والمنقول واستعداً
لدرجة الاستيضاح للفروع من الأصول، المؤيد الممجيد،
جناب الشيخ محمد بن الشيخ الأواه الشيخ عبدالله بن الشيخ

علي بن عيثن الأحسائي، وفقه الله لما يحب ويرضى وأخذ بمجامع قلبه إلى مدارج التُّقى.

ولما رأته أهلاً لذلك - لما هو عليه من فوز عالي الدرجات، والرسوخ في اقتناء أنحاء الكمالات، وقوة استعداده لاستيضاح موضحات الأحكام من الدلائل الباهرات، وحُسن قابليته في ردّ المتشابهات إلى الآيات المحكمات، وتحمل الأنوار المشرقة عن آثار الأئمة السادات، عليهم سلام الله مادامت الأرضون والسموات - أجتُّ ملتمسه بالسمع والطاعة، مع كثرة الآضاعة وقلّة البضاعة.

فأجزته - سلمه الله - أن يروي عن مشائخي - الآتي ذكرهم - جميع مقرّواتي ومسموعاتي وكل ماصحّت لي روايته وجازت لي إجازته بجميع أنحاء التحمل من كتب الأخبار والأدعية والأذكار والخطب والمواعظ...).

- ترجم له صاحب (أنوار البدرين)، وكان ممن عاصر المؤلف، ووصفه في ترجمته بالكامل، ومما ورد في ترجمته:

(العالم العامل، الفاضل الأواه، الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله آل عيثان الأحسائي كان - سلمه الله تعالى - عالماً فاضلاً، مجتهداً كاملاً).

- وذكره تلميذه الميرزا موسى الأسكوئي (ت: ١٣٦٤هـ) في إجازته لولده الميرزا علي: (إسنادي إلى العالم الماهر، والنور الزاهر، علم الأعلام، المؤيد من الملك العلام، أويس عصره، وسلمان دهره، نادرة الأوان، وعين الإنسان، شيخي وسندي وأستاذي محمد بن عبد الله بن علي بن أحمد آل عيثان الأحسائي، أمطر الله عليه سحاب الرضوان، وأعلى مقامه في الخلد والجنان... - إلى أن يقول: - وله تصانيف مفيدة، ورأيتُ بعض رسائله في (الأحساء) وكان مرجعاً في التقليد في تمام تلك الناحية...).

- وقال عنه تلميذه العلامة الحجة الشيخ عبد الله بن معتوق القطيفي في إجازته للميرزا موسى الأسكوئي: (الشيخ الجليل، والفاضل النبيل، بحر علوم المعارف الربانية، وعين

الحكمة الآلهية، والحاوي للعلوم الشرعية العقلية والنقلية،
 شيخي وأستاذاي ومن عليه اعتمادي، الأمد الأوحد، التقى
 الشيخ محمد بن الشيخ عبدالله آل عيثان الأحسائي، قدس الله
 روحه ونفسه، وطيب رمسه).

- أما الحاج علي التاجر صاحب منتظم الدرین^(١) فقد
 كتب عنه: (العالم العامل، الفقيه الفاضل، الجليل الكامل،
 الأوحد الأواه، العلامة الشيخ محمد بن الشيخ عبدالله
 بن الشيخ علي بن الشيخ أحمد بن عيثان الأحسائي).

- وفي (طبقات أعلام الشيعة)^(٢) للعلامة الشيخ آقا بزرگ
 الطهراني ذكر مترجمنا قائلاً: (هو الشيخ محمد بن الشيخ
 عبدالله بن علي بن أحمد آل عيثان الهجري القاري

(١) كتاب منتظم الدرین، رقم الترجمة ٨٥٠ (مخطوط)، أما النسخة المطبوعة طباعة
 حديثة عام ١٤٣٠هـ، فإن ترجمة الشيخ محمد بن الشيخ عبدالله آل عيثان ومجموعة
 من تراجم الأعلام أسقطها المحقق، ومن دون لفت نظر منه للأسف الشديد، ومن وقف
 على النسخة المطبوعة سيصاب بملح شديد لكثرة العثرات التي وقع فيها المحقق، وهذا
 ماسدفع القارئ والباحث لمراجعة المخطوط ونسيان المطبوع وهذه من المفارقات.

(٢) طبقات أعلام الشيعة: ٢٣٣/١٧.

الأحسائي؛ عالم فاضل كامل ماهر متبحر جليل).

- ووصفه الدكتور الشيخ عبدالهادي الفضلي بـ (الفقيه المتكلم) في (دائرة المعارف الشيعية)^(٣)، قائلاً: (كان فقيهاً مجتهداً، ومتكلماً عارفاً).

وفاته:

أقام علامتنا في الحليّة، قرية من قرى الأحساء، مدة إحدى عشرة سنة، وتوفي فيها يوم الأربعاء ٢٦ / ذي الحجة سنة ١٣٣١هـ، ودفن في مقبرة ناظرة بالحليّة، وقبره معروف، وقد أرخ عام وفاته أخوه الكامل المؤتمن، الشيخ حسن، بقوله:

عَلَامَةُ الْعِلْمَاءِ أَلْبَسَ رُزْنَهُ
كُلَّ الْأَنْامِ مِنَ الْأَسَى جِلْبَاباً
لَهْفِي عَلَى قَمَرٍ تَكْوَرُ نُورُهُ

(٣) دائرة المعارف الإسلام الشيعية: ٤٠٧/٢.

فِي الْأَرْضِ وَاتَّخَذَ التُّرَابَ حِجَابًا
وَعَدَتْ تَنْوُحُ لِفَقْدِهِ أُمَّ الْعُلَى
مُذْ أَرَّخُوهُ (فِيَا لَبَدْرٍ غَابًا)

مؤلفاته :

من روائع أشراقات علماء الدين ما خلدوه من نتاجات
فقيهيه وكلامية، وهو ما يعبر عن خلاصة جهدهم وعمرهم
الذي قضوه في خدمة الدين والعالم الإسلامي، وقد رحلوا
وبقى ثمار عطائهم ينير طريق المسلمين، وقد صادقوا على
قول الشاعر حينما قال:

الخط يبقى زماناً بعد كاتبه

وصاحب الخط تحت التراب مدفون

وقد ذكرت مجموعة من المؤلفات للشيخ آل عيثان

- أعلى الله مقامه - في كُتب التراجم، جمعها السيد هاشم في

أعلامه على النحو التالي:

١- كتب - أعلى الله مقامه - أسئلة وجهها إلى أستاذه

الميرزا محمد باقر الأسكوئي عن بيان جفّ القلم، وأجابه عنها في رسالة وصفها الميرزا موسى الإحقاقي في إجازته لأبنة الميرزا علي بالرسالة الحسنة مفصّله^(١).

٢- هداية العباد إلى طريق الحق والرشاد: في أصول الدين وفروعه، مرتب على فصلين أولهما في أصول العقائد في خمسة أبواب: التوحيد، العدل، النبوة، الإمامة، المعاد. وجفّ قلمه - أعلى الله مقامه - في باب المعاد، والنسخة المخطوطة بخطه، وطبع عام ١٣٦٩هـ في المطبعة الحيدرية.

٣- شرح (الشهاب الوامض في أحكام الفرائض): المتن للسيد مهدي القزويني الحلبي المتوفى سنة ١٣٠٠هـ، فرغ منه في ١٧ رجب سنة ١٢٩٧هـ ثم طلب تلميذه الشيخ محمد بن عبدالله بن علي بن أحمد آل عيشان الأحسائي بشرحه، فشرحه في مجلدين ضخمين؛ وصفه صاحب الذريعة

(١) الأجازة بين الاجتهاد والسيرة: ٧١، وصورة من الرسالة موجودة في الأحساء ولكنها

بأنه شرح مزجي، فرغ من مجلده الثاني في اليوم العاشر من رجب سنة ١٣٠٠هـ.

٤- شرح (الرسالة الرضاعية) أو (اللمعات البغدادية في الأحكام الرضاعية): المتن لأستاذه السيد مهدي القزويني.

٥- رسالة في الطهارة والصلاة (الرسالة العملية): وهي رسالة فتوائية كثيرة الفروع، من أول الطهارة إلى آخر صلاة المسافر.

٦- الرد على الباكورة: تأليف بعض النصارى المعاصرين للشيخ المؤلف - أعلى الله مقامه - ألفه في رد الديانة الإسلامية والتنقيص لنبي الإسلام ﷺ، ولما رأى الكتاب في سنة ١٣٢١هـ الشيخ محمد بن عبد الله بن علي بن أحمد آل عيثان الهجري القاري الأحسائي، أقدم على الرد عليه، وفرغ من الرد ٧ جمادى الأولى ١٣٢٢هـ ورتبه على عدة مقامات يقرب من ثلاثة آلاف بيت، وكتب النسخة المخطوطة محمد حسن آل جلواح، ونضد على الحروف وطبع طباعة حديثه بتحقيق (مؤسسة أم القرى) عام ١٤٢٤هـ.

- ٧- أجوبة المسائل الكويتية: في علم الحكمة ومراتب الأئمة عليهم السلام، وردت من الشيخ حسين بن الشيخ علي الصحاف (ت: ١٣٤٣هـ). (وهو ما بين يديك).
- ٨- أجوبة المسائل الكويتية: وردت من بعض أهالي الكويت في علم الحكمة والكلام. واحتمل أن السائل هو نفسه الشيخ حسين الصحاف والتي تم إلحاق الأجوبة مع الأجوبة الماضية.
- ٩- رسالة في العصير العنبي.
- ١٠- رسالة في الزكاة والخمس.
- ١١- رسالة في الصوم: استدلالية.
- ١٢- رسالة في الطهارة: ذكر السيد هاشم: الظاهر أنّها رسالة استدلالية.
- ١٣- مناسك الحج.
- ١٤- الشهاب الرائق للقول بوحدة الناطق، المعروف بالرد على الركنية، ويسمى أيضاً (البرهان الرائق في القول

بوحدة الناطق).

- ١٥- رسالة في الزكاة: استدلالية.
- ١٦- رسالة في صحة صوم المستحاضة وما يتعلق بها.
- ١٧- رسالة في الطلاق وأقسامه.
- ١٨- رسالة في عدم جواز تقليد الأموات.
- ١٩- رسالة في علم الجفر.
- ٢٠- رسالة في القضاء: استدلالية.
- ٢١- رسالة في محاوراته مع الشيخ محمد بن الشيخ حسين الخليفة (ت: ١٣٤٨هـ).
- ٢٢- رسالة في مسائل متفرقة.
- ٢٣- رسالة في المعاملات: لعلها الجزء الثاني من رسالته العملية، التي كتبها لعمل مقلديه.
- ٢٤- رسالة في معاني الحروف.
- ٢٥- شرح بعض الأحاديث.
- ٢٦- شرح (اللوامع الحسينية) المتن للسيد كاظم بن السيد قاسم الحسيني الرشتي (ت: ١٢٥٩هـ).

٢٧- رسالة في حل بعض الألغاز الذي ورد في أبيات

من الشعر وهي:

أيا راكباً يطوي الفلا فوق أجرد
يَقْدُ الفَيَافِي فَذَفْدَاً بَعْدَ فَذَفْدِ
تَحْمَلُ رَعَاكَ اللهُ عَنِّي رِسَالَةً
تُبَلِّغُهَا أَهْلَ الْمَدَارِسِ فِي غَدِ
فَقُلْ لَهُمْ عَنْ تِسْعَةِ خُلُفُوا مَعَاً
وَعَنْ سَبْعَةٍ فِي وَسْطِ ثَوْبِ مُجْرَدِ
حَوَاجِبُهُمْ سَبْعُونَ فِي وَجْهِ وَاحِدِ
وَأَوْجُهُهُمْ تِسْعُونَ فِي خَلْقِ هُدْهُدِ

أبوهم له حرفان من إسم جعفر
وحرفان من اسمي علي وأحمد

٢٨- رسالة في حقيقة التقليد.

٢٩- رسالة في جناية العبد، مع مسائل متفرقة.

٣٠- رسالة في التعادل والتراجع.

- ٣١- رسالة في التصرف في مال الطفل.
- ٣٢- رسالة في البيع الفضولي.
- ٣٣- رسالة في أن الإنسان مختار في أفعاله أم لا؟.
- ٣٤- رسالة في الأخبار وما تتضمن من فعل الإمام المعصوم.
- ٣٥- الحاشية على كتاب (القوانين): في أصول الفقه.
- ٣٦- خواص القرآن.

ترجمة السائل
الشيخ حسين بن الشيخ علي الصحاف

أسمه ونسبه^(١):

هو الشيخ حسين بن الشيخ علي بن العلامة الشيخ محمد بن الشيخ حسين بن ناصر بن موسى بن حسين بن محمد الصحاف الربعي الأحسائي أصلاً الكويتي مولداً ومنشأ.

ولادته وتعليمه:

ولد في الكويت سنة ١٣٠٣هـ، بعدما هاجر إليها جده وأبيه في أواخر القرن الثالث عشر الهجري.

(١) اعتمدنا هذه الترجمة المختصرة من الكتب التالية:

١- كتاب أعلام هجر من الماضين والمعاصرين، للسيد هاشم محمد الشخص، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، مطبعة القدس: ٤٨٤ - ٤٩٦.

٢- أعلام الأحساء في العلم والأدب من الماضين في سبعة قرون ابتداءً من عام ٨٠٠هـ، للحاج جواد بن حسين آل رمضان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م: ٢٤٧.

٣- معجم علماء وأدباء الأحساء، للأستاذ أحمد بن عبدالمحسن البدر، (مخطوط): المجلد الأول.

وبالكويت نشأ الشيخ المترجم له وترعرع تحت رعاية والده الشيخ علي (ت: ١٣٢١هـ)، وأخيه الشيخ أحمد (ت: ١٣١٩هـ)، وفي الكويت - أيضاً - أخذ عنهما بعض الدروس العلمية.

وبعد وفاة والده سنة ١٣٢١هـ هاجر المترجم له إلى (النجف الأشرف) لإكمال دراسته وكان عمره حوالي عشرين عاماً، وحضر فيها على عدد من علمائها الأعلام منهم:

١- الشيخ موسى بن عبدالله أبو خمسين (ت: ١٣٥٣هـ).

٢- السيد ناصر بن السيد هاشم الأحسائي (١٣٥٨هـ).

٣- الميرزا موسى بن محمد باقر الأسكوئي (١٣٦٣هـ).

وبقي في (النجف) لطلب العلم حوالي عشرين عاماً كان يتردد خلالها - ظاهراً - بين النجف والكويت.

وعده أخوه الشيخ كاظم في (تذكرة الأشراف) في عداد الفقهاء المجتهدين والحكماء العارفين.

وفاته:

بعد أن أخذ المترجم بغيته من العلم في (النجف) كراً راجعاً إلى وطنه الثاني (الكويت)، وكان ذلك إبان الحرب العالمية الأولى.

وفي أثناء الطريق توقف المترجم له في مدينة (سوق الشيوخ) - من العراق - حيث فيها وافاه الأجل سنة ١٣٤٣هـ عن عمرٍ لم يتجاوز الأربعين عاماً، فكانت وفاته كارثة حقيقية على ذويه ومحبيه ولا سيما الشيعة الأحسائيين في (سوق الشيوخ والكويت).

وفي (سوق الشيوخ) تم تجهيزه وتكفينه قبل نقله إلى (الغري) ليدفن هناك، وبسبب الحرب العالمية^(١) تعطلت

(١) لعل الشيخ كاظم الصحف وقع في شبهة عند كتابة تاريخ الوفاة، فمن المعلوم أن الحرب العالمية الأولى توقفت عام ١٣٣٧هـ أي قبل التاريخ المذكور بستة سنوات، إلا إن هناك احتمال إن الشيخ الصحف أخطأ في (تذكرة الأشراف) بكتابة التاريخ فبدل ما يكتب ١٣٣٤هـ كتب ١٣٤٣هـ، علماً أن هذا التاريخ يعطي الشيخ حسين الصحف عمر أصغر من العمر الذي ذكره الشيخ كاظم ولا يمكن أن يقبله الأكثرية،

الجنزة ١٦ يوماً قبل أن تصل إلى (وادي السلام) حيث كان في استقبالها هناك المقدس السيد ناصر الأحسائي وعدد من العلماء الخليجين.

وينقل الشيخ كاظم - أخو المترجم له - عن المرجع السيد ناصر الأحسائي أنه قال: رغم تأخر الجنزة في الطريق وكون الوقت صيفاً ما وجدنا أي تغيير على الجثمان، وما شمنا منه إلا رائحة الكافور، وتم تشيع الجثمان ثم ووري في مثواه الأخير عند مقبرة الغري بجوار مرقد أمير المؤمنين عليه السلام.

مؤلفاته:

- ١- كتاب في الفقه.
- ٢- كتاب في أصول الفقه.
- ٣- كتاب في علم الحكمة.

فنقول الاحتمال الثاني هو ربما الآثار المتبقية من الحرب العالمية هي التي أعاقه وصول جثمان الشيخ حسين الصحاف إلى النجف الأشرف - والله أعلم -.

- ٤- الصارم الهندي في الرد على المعتدي: وهو رد على السيد محمّد مهدي القزويني الكاظمي.
- ٥- مسائل في علم الحكمة ومراتب الأئمة: سأل بها الشيخ محمّد بن عبدالله آل عيثن الأحسائي (ت: ١٣٣١هـ).

وصف النسخة:

يمكن وصف النسخة المصورة الوحيدة للمخطوط والتي اعتمدت تحقيقها على النحو التالي:

خط النسخة رديء، ولم يذكر الناسخ اسمه في نهاية الرسالة، وأنا لا أتفق مع ما ذهب إليه الحاج جواد الرمضان في كتابه (أعلام الأحساء)^(١)، والسيد هاشم الشخص في (أعلام هجر)^(٢) بأن النسخة بخط الشيخ محمّد بن الشيخ حسن بن علي الجلّواح الأحسائي حيث عرف ووصف قلمه

(١) أعلام الأحساء: ٢٤٧.

(٢) أعلام هجر: ٤٧٣/٤.

بالجميل والرائع، وهذا لا يتناسب مع النسخة التي اعتمدناها في التحقيق.

عدد صفحاتها: ١١٨ صفحة، فرغ منها يوم السادس من

شهر شعبان سنة ١٣٢٨هـ

وأضاف الشيخ المؤلف - أعلى الله مقامه - ٨ أوراق

بعدها تلقى مجموعة أخرى من الأسئلة من الشيخ حسين بن

الشيخ علي الصحاف كما يذكر في مقدمة إجابته وفرغ منها

يوم الخميس ٧ محرم الحرام سنة ١٣٢٩هـ.

ولعل هذا ما سبب اللبس لدى الحاج الرمضان والسيد

الشخص - سلمهما الله من كل شر - في ذكر وقت الفراغ

من الرسالة في عام ١٣٢٩هـ؛ لكونهما لم يلتفتا أن الكتاب

يحتوي على رسالتين وليس رسالة واحدة.

عدد الأسطر في الصفحة: مختلفة الأسطر.

خط النسخة: ممزوج بين النسخ والرقعة.

والمخطوط مرقم برقم تسلسلي في أعلى الورقة.

منهج التحقيق:

اعتمدت في تحقيق هذه الرسالة على مخطوط وحيد،
وبعد تنضيد حروف وكلمات المخطوط على الحاسوب،
قمت في عملي بما يلي:

- ١- تقطيع النص، وضبطه وتدقيقه.
- ٢- تخريج الآيات الكريمة.
- ٣- تخريج الأحاديث الشريفة والأدعية
وضبطها، وذلك بالعودة إلى كتب الحديث
المعتبرة.
- ٤- قمت وفي أضيق الحدود بإضافة بعض
الكلمات ليستقيم سياق المتن، وليتضح المعنى
منها، وجعلتُ هذه الإضافة بين عضادتين [].
- ٥- قمت بتصويب الأخطاء الكتابية في
المتن وأشارت إلى ذلك في الهامش

٦- وضعت عناوين تفصيلية تسهلاً للقارئ

ووضعتها بين عضادتين [].

١٠

الرجيم

سبب الرجيم وصل الرطل سيد الموجودات وصغر زعمنا جميع المخلوقات محمد واهل بيته خاصة وخالصته من المخلوقات وبعد تفقير الفقير المسكين الرجيم عنده ربه المنان محمد بن الرضوخ الشيخ عبد الرزاق عينا ان قد كتب الي جناب الاخ الوفي الضيف الشيخ صبيح بن الشيخ علي بن الشيخ محمد الصافي بعض مسائل كنت علمت من الفقير صلي بها طنا من بان السراب ماء والارضا وساء وكان لم يسمي الاجوابه بما هو الميسر اذا لا يستعمل بالمشور وفي الترميز والسنة بالانه صمد جيد فالتحري له بعد السلام

ويدل الامر الموروث بن الرضوخ او كونه حقيقة في المطلوب بالسير في الفقه المتعارف الواضح بل يد بالامر ما في قوله رقم ومفادنا في معنى الرضا الذي بان كفايتها في ظاهره وقد راعينا السير في هذا الباب وانما اذ بين والاقر بالصحيح على ما هو المشهور حقيقة في الوجه الذي هو مرجحان الفصل من الفقه في الشركة ولا فاعلم ان الرجحان يحتاج لكل من الودين الاصله المتى نعم لم يعرفه اطلاقا في الرجحان وهو لا يثبت الحقيقة كما عرفنا اطلاقا في كل الذي لا ينسب له احد دون ذلك في الرجحان مع انه حقيقة في كل وجه بالجملة فيجوز ان حقيقة الامر في الرجحان في الاثر الشرعيه قد اختلفت في الرجحان الرجحان ان سئل فها سرق الاثمان فيهما وعلم المراد على الرجحان لمن سار في تلك الزمان وخلافه الاكبر وما بعد النبي الا الاطلاق ومنها

أجوبة المسائل الكويتية

في علم الحكمة ومراتب الأئمة عليهم السلام

لشمس الشمس آية الله العظمى

الشيخ محمد بن الشيخ عبدالله آل عيثان

تحقيق:

أحمد عبدالهادي المحمد صالح

الرسالة الأولى



الْقُدْرَةُ



وصلّى الله على سيد الموجودات، وصفوته من جميع
المخلوقات، محمد وأهل بيته خاصة وخالسته من المكوّات.
وبعد، فيقول الفقير المسكين، الراجي عفوره المنان،
محمّد بن المرحوم الشيخ عبدالله بن عيثان، أنه قد كتّب إليّ
جناب الأخ، الوفيّ الصفيّ، الشيخ حسين بن الشيخ علي بن
الشيخ محمّد الصّحاف، بعض مسائل أشكلت عليه، يُريد من
الفقير جوابها، ظناً منه بأن السراب ماء، والأرض سماء، ولكن
لم يسعني إلا جوابه بما هو الميسور، إذ لا يسقط بالمعسور،
والله وليّ التوفيق والتسديد. إنه حميدٌ مجيدٌ.

[مدخل في السير والسلوك العرفاني]:

قال حرسه الله: بعد السلام، وبعد الأمر المقرون بقرائن
الوجوب أو كونه حقيقةً في المطلوب بالسير في القرية
الظاهرة... إلى آخره.

أقول: يريد: (بالأمر) ما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيراً فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا أَمِينًا﴾^(١)، والأمر بالصيغة على ما هو الحق، ليس حقيقةً في الوجوب، الذي هو رجحان الفعل مع المنع من الترك، وإنما هو لمطلق الرجحان، فيحتاج كل من الفردين إلى فصله المقوم.

نعم. له انصراف إطلاقي إلى الوجوب، وهو لا يثبت الحقيقة، كانصراف إطلاق [لفظة] رجل إلى ذي الرأس الواحد، دون ذي الرأسين، مع أنه حقيقةً في الكل.

وبالجملة: فمع انصراف صيغة الأمر وهي: ﴿سِيراً﴾ في

الآية الشريفة، قد اقترنت بقرائن الوجوب.

أيضاً منها: أن سوقها سوق الامتنان.

ومنها: وعيد الله جلَّ وعلا لمن سار في تلك القرى

بالإيمان، وخلافه الهلاك، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾^(١).

(١) سورة سبأ، الآية: ١٨.

(١) سورة يونس، الآية: ٣٢.

ومنها: أن الله تعالى جعل حزبه وأهل طاعته ثلاث

مراتب: القرى المباركة، والقرى الظاهرة، وعوام الشيعة.

وحيث أن الخلائق لا تقف عن السير بأرجل الأعمال،

والجاهل بالطريق إن سار بغير مرشد أمين، ودليل قوي مكين،
تاه في الطرقات، ووقع في المهلكات.

والعقل مستقل بوجوب إتباع ذلك المرشد، والاعتماد

على ذلك الدليل القوي؛ لأن التخلف عنه ضرر يجب دفعه،

فيكون الأمر بالسير للوجوب، إلا أنه أمر إرشادي، لا أمر

مولوي، نظير الأمر في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢).

ومنها: أن الرتبة الأولى من القرى لما كانت مباركة

بجميع أنحاء البركات في جميع العوالم على جميع البريات،

﴿إِنْ ذَكَرَ الْخَيْرَ كُنْتُمْ أَوْلَىٰ، وَأَصْلُهُ وَفَرَعُهُ، وَمَعْدَنُهُ، وَمَأْوَاهُ

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.

وَمُنْتَهَاهُ؛^(٣)، وقال رسول الله ﷺ: «لا تجد حقاً عند أحدٍ إلا بتعليمي وتعليم عليٍّ عليه السلام»^(١)، كان ما يطفح على غيرهم هو رشحٌ من فاضل بركاتهم، وإشراقٌ من أنوارهم، إلا أنه يختلف باختلاف القوابل في الصفاء والخلوص من الأكدار، وظلمة الأدبار، قوةً وضعفاً من أهل الرتبة الواحدة، فالأقوى صفاءً وخلوصاً هو الأقرب إلى القرى المباركة.

وإنما كان أصفى وأشد خلوصاً؛ لأنهم تأدبوا بآداب الله تعالى، وتخلّقوا بأخلاق الروحانيين، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ليس العلم في السماء فينزل إليكم، ولا في الأرض

^(٣) مقطع من الزيارة الجامعة الكبيرة لسائر الأئمة عليهم السلام. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٣٠٩/١، بحار الأنوار: ١٣٢/٩٩.

^(١) عن محمد بن سنان، عن ابن عباس، قال: «كنا عند رسول الله ﷺ فأقبل علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال له النبي ﷺ مرحباً بمن خلقه الله قبل أبيه آدم بأربعين ألف سنة. قال: فقلنا: يا رسول الله أكان الإبن قبل الأب؟ فقال: نعم، إن الله خلقني وعلياً من نورٍ واحد قبل خلق آدم بهذه المدة ثم قسمه نصفين، ثم خلق الأشياء من نوري ونور علي، ثم جعلنا عن يمين العرش، فسبحنا فسبحت الملائكة، وهللنا فهللوا، وكبرنا فكبروا، فكلٌّ من سبح الله وكبّره فإن ذلك من تعليمي وتعليم علي» مشارق أنوار اليقين: ٧٨، بحار الأنوار: ٣٤٥/٢٦.

فيصعد إليكم، ولكنه مجبول في ذواتكم، تخلقوا بأخلاق
الروحانيين يظهر لكم؛ ، وقال ﷺ: «خُلِقَ الإنسان ذا نفسٍ
ناطقة، إن زكاهما بالعلم والعمل فقد شابته جواهر أوائل
عللها، وإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شاركتها^(٢)
السبع الشداد؛^(٣)، فإذا بلغ الإنسان تلك الدرجة من الصفاء
والخلوص، كان فكره وعقله مرآة مقابلة لمنيريه القرى
المباركة، ومصدراً للفعل في تلك الرتبة، والعوام واقفون في
محل للمفعول به، والعقل مستقل بوجوب الطلب عليه من
المصدر؛ لأن به حياته وقوام دينه ودنياه، وليس للواقف في
محل المفعول به قابلية التلقي من القرى المباركة بغير واسطة
تلك القرى، لاستحالة الطفرة في الوجود.

وما يرى من تعلم العوام من القرى المباركة سماعاً
ونحو ذلك، فإنه إمّا من باب النزول أو الصعود ونحو ذلك.

(٢) في المصدر: شارك بها.

(٣) بحار الأنوار: ١٦٥/٤٠، عيون الحكم والمواعظ: ٣٠٤.

[تفسير ظاهر الظاهر]:

ومنها من باب تفسير ظاهر الظاهر: إنَّ وصف القرى بالظاهر، بمعنى أنهم ظاهر القرى المباركة، والظاهر ما لم يكن تابعاً لباطنه ودليلاً عليه لا يكون ظاهراً. وحيث أن القرى الظاهرة، ظاهر القرى المباركة ووجوب السير فيها بأرجل الأعمال، ومطابا الأقوال والأفعال، قد علم بضرورة العقول والآيات والروايات، فيجب السير في ظاهرها، الذي هو القرى الظاهرة بحكم العقل، فيكون الأمر بالسير إرشادياً أيضاً.

[التأويل]:

واعلم: أن تفسير القرى المباركة بالأئمة عليهم السلام، والقرى الظاهرة بعلماء آل محمد عليهم السلام ^(١)، إنما هو من باب التأويل

(١) بحار الأنوار: ٨٦/١٠٥.

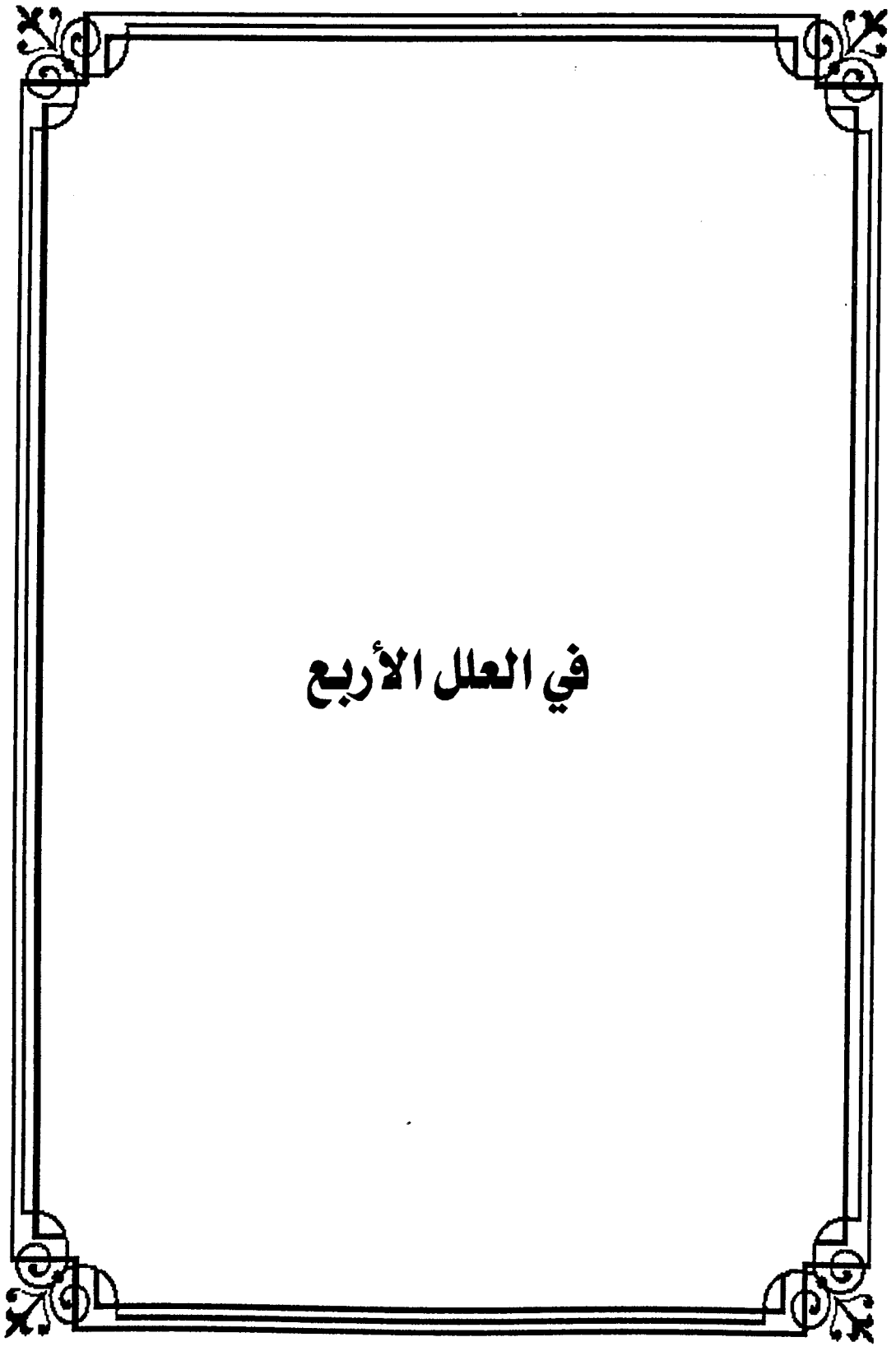
المدلول عليه بالروايات عن الأئمة الهداة عليهم السلام ^(٢)، وعليه يكون الليل عبارة عن دولة الباطل، والأيام عبارة عن دولة الحق.

(٢) عن إبراهيم بن إسحاق النهاوندي، عن عبدالله بن حماد الأنصاري، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «دخل الحسن البصري على محمد بن علي عليه السلام، فقال له: يا أبا أهل البصرة بلغني أنك فسرت آية من كتاب الله على غير ما أنزلت، فإن كنت فعلت فقد هلكت واستهلكت، قال: وما هي جعلت فداك؟ قال: قول الله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِירוًا فِيهَا لَيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ [سورة سبأ، الآية: ١٨] ويحك! كيف يجعل الله لقوم أمانا ومتاعهم يسرق بمكة والمدينة وما بينهما؟ وربما أخذ عبد أو قتل وفاتت نفسه، ثم مكث مليا، ثم أوما بيده إلى صدره وقال: نحن القرى التي بارك الله فيها، قال: جعلت فداك أوجدت هذا في كتاب الله إن القرى رجال؟ قال: نعم قول الله عز وجل: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَدَّ بِنَاهَا عَذَابًا لُّكْرًا﴾ [سورة الطلاق، الآية: ٨] فمن العاتي على الله عز وجل؟ الحيطان والبيوت أم الرجال؟ فقال: الرجال، ثم قال: جعلت فداك زدني، قال: قوله عز وجل في سورة يوسف عليه السلام: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [سورة يوسف، الآية: ٨٢] لمن أمروه أن يسأل؟ القرية والعير أم الرجال؟ فقال: جعلت فداك فأخبرني عن القرى الظاهرة، فقال: هم شيعتنا، يعني العلماء منهم. تفسير أبي حمزة الشمالي: ٢٧٢، تأويل الآيات: ٤٧٢/٢، بحار الأنوار: ٢٣٥/٢٤، مستدرک الوسائل: ٣١٦/١٧.

[تفسير الظاهر]:

وأما على تفسير الظاهر: فهي أجنبية عن جميع ما ذكر، سواء فسرت القرى المباركة بالشام أو مكة المشرفة، والقرى الظاهرة ما بين أحدهما، وأهل سبأ لتقارب القرى^(١).

(١) ذكر الطوسي في (تفسير التبيان: ٣٨٨/٨) تفسير الآية على النحو التالي: («وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا» ، قال قتادة ومجاهد: هي قرى الشام، وقال ابن عباس: هي بيت المقدس «قُرَى ظَاهِرَةً» ، قال قتادة: معناه متواصلة، لأنه يظهر الثانية من الأولى لقربها منها، «وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ» معناه جعل بين القرية الأولى والثانية مسيرة يوم لراحة المسافر ونزوله فيها، «سِيرُوا فِيهَا لَيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ» لا تخافون جوعاً ولا عطشاً ولا ظملاً من أحد، كأنه قيل لهم سيروا كذا، فقالوا «رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا» معناه إهم نظروا وملوا النعمة، فقالوا: لو كان جني ثمارنا أبعد مما هي، كان أجدر أن نشتهيها، كما قالت بنو إسرائيل «فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا» بدلا من المن والسلوى «وَوَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ» بارتكاب المعاصي «فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ» فضرب بهم المثل فيقال (تفرقوا أيادي سبأ) أي تشتتوا أعظم التشتت، قال الشعبي: أما غسان فلحقوا بالشام، وأما الأنصار فلحقوا بيبس، وأما خزاعة فلحقوا بتهامة، وأما الأزدي فلحقوا بعمان. وقيل: معنى «جَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ» أي أهلكناهم وألهمنا الناس حديثهم ليعتبروا «وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ» قال ابن عباس: مزقوا بين الشام وسبأ كل ممزق.



في العلل الأربع

قال سلّمه الله تعالى: فأقول - ولا قوة إلا بالله العلي العظيم - :
 (قد تمّ الدليل، واتضح السبيل، إن آل الله ﷺ العلل الأربع
 أجمع، وأنهم محل المشيئة، ومظهر الأفعال، والمدد من الله
 تعالى يتصل إليهم بغير انفكاك، ومنه يفيضون على جميع
 المخلوقات).

أقول: ظاهر عبارته - سلّمه الله تعالى - أنه لا إشكال
 عنده في هذه الجملة المذكورة، مع أنها مزلة للأقدام، ومزلة
 الأفهام.

[العلة الفاعلية وأقسامها] :

وبيان ذلك أولاً في الفاعلية: إنها إما علة تامة أو علة
 ناقصة^(١)، والمعلول إما الكليات أو الجزئيات أو الجميع، فهذه
 ست صور.

(١) العلة الناقصة: هي التي يكون تخلفه عنه غير مستحيل، وهي التي لا تستقل في
 الأحداث بنفسها بل تحتاج إلى مددٍ معها. مصطلحات علم الكلام: ١٠٥.

وإذا فُرِضَ أَنَّ العِلَّةَ تامة، وهي ^(٢) في ثلاث صور، فيلزم مقارنة وجود الأشياء لوجود آل محمد ﷺ ضرورة "عدم تخلف المعلول عن علته التامة" ^(١)، وغاية ما هناك هو التخالف في الرتبة، وهو لا ينافي التضاييف ^(٢) والتساوق بين المعلول ^(٣) والعلّة ^(٤).

^(٢) في المخطوط: وهو.

^(١) ما بين " " تعريف للعلّة التامة.

^(٢) التضاييف: تقابل حدين، بحيث يتوقف تصور كل واحد منهما على تصور الآخر، مثل: الأبوة والبنوة.

التعريفات: ٨٤، مصطلحات علم الكلام عند الشيخ أحمد الأحسائي: ٢٨.

^(٣) المعلول: هو الأثر الحادث عن العلة.

^(٤) العلة: ما يوجد بوجودها المعلول، ويعدم بعدمها.

ولها إطلاقات:

أحدهما: أنها تطلق على كل واحدة من العلل الأربع، الفاعلية والمادية والصورية والغائية.

وثانيهما: أنها تطلق على الكل بأنها واحدة من حيث المجموع.

وهذه العلل واجبة في كل شيء من نور وفيء، فلا يوجد شيء ولا يتحقق إلا بها، ذاتاً أو صفة، مادياً مجردياً، نورانياً ظلمانياً، سجينياً.

ومن المعلوم أن وجود محمد وآل محمد عليهم السلام قد سبق جميع من سواهم في كلِّ جهةٍ من جهات السبق، في السرمد^(٥)، والدهر^(١)، والزمان^(٢) بجميع مراتبهم الذاتية الثمان، التي هي: وجودهم، وعقلهم، وروحهم، ونفسهم، وطبيعتهم،

والعلل أربع، علتان داخلتان وهما مادة الشيء وصورته، وعلتان خارجتان العلة الفاعلية للشيء والغائية له، أي غايته والفائدة منه السابقة على الشيء تصوراً واللاحقة له وجوداً.

وبفقدان أحدهما لا يتكون الشيء ولا يدخل إلى عرصة الوجود، مثاله: السرير فإن له مادة وهو الخشب، وصورة وهو هيئة السرير، وفاعلاً وهو النجار، وغايته وهو الجلوس عليه أو غير ذلك. مصطلحات علم الكلام: ١٠٤ - ١٠٦

(٥) السرمد: وقت الإبداع والاختراع والمشية والإرادة، ومعناه: الوقت غير المتناهي. مصطلحات علم الكلام عند الشيخ الأحسائي: ٨٧.

(١) الدهر: وقت للمجردات عن المادة العنصرية، والمدة الزمانية سواء كان مجرداً عن الصور مطلقاً كالعقول، أم عن الصور التامة كالأرواح، أم غير مجرد كالنفوس، وهو قار الذات، ظاهراً على نحو قرار ما فيه من الجردات، بمعنى أن فيها التعاقب والتمايز والترقي والهبوط في كلِّ من الثلاثة بحسبه، إلا أن ذلك في العقول معني، وفي الأرواح رقيقة، وفي النفوس صور. مصطلحات علم الكلام عند الشيخ الأحسائي: ١١٨.

(٢) الزمان: متحدد معلوم يُقدَّر به متحدد آخر مَوْهم، كما يقال: آتيك عند طلوع الشمس. التعريفات: ١٥٢.

ومادتهم، ومثالهم، وجسمهم، بل وجسدهم أيضاً، فقد كملت جميع مراتبهم الذاتية، غيبي ذاتهم وشهوديها قبل الأنبياء، فضلاً عن غيرهم، وليس في العقل ما يحيل التقدّم المذكور بل هو ممكنٌ وواقعٌ، وروايات^(٣) الأئمة وخطبهم ناطقة به^(٤)، وما يرى من التأخر الدّياوي فإنما هو في بشريتهم.

[مناقشة من قال بالتقدم الرتبي]

آل محمد لا الفعلي]:

نعم. عَرَضَتْ شبهةٌ للبعض، نقلها لي مَنْ أثق به: أن ليس لمحمد وآل محمد عليهم السلام إلاّ التقدّم الرتبي، وما ورد عنهم

(٣) في المخطوط: ورواية.

(٤) عن مُرَازِم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال الله تبارك وتعالى: يا محمد إني خلقتك وعلياً نوراً - يعني روحاً - بلا بدنٍ قبل أن أخلق سماواتي وأرضي وعرشي وبحري، فلم تزل قهلاًني وتمجّدي، ثمّ جمعت رُوحكما فجعلتهما واحدة، فكانت ثمّجّدي وتقديسني، وقهلاًني، ثمّ قسمتها ثنتين، وقسمت الثنتين ثنتين، فصارت أربعة: محمد واحد، وعلياً واحد، والحسن والحسين ثنتان، ثمّ خلق الله فاطمة من نور ابتدأها روحاً بلا بدن، ثمّ مسحنا بيمينه فأفضى نُوره فينا. أصول الكافي: ٢٦٣/١، بحار الأنوار: ١٨/١٥.

ﷺ في ذلك فهو محمولٌ عليه، نظير تقدم معنى اللفظ على اللفظ، فإنه قبل التلفظ لا وجود لمعناه، وإنما يوجد بوجوده، ومعناه في الدهر ولفظه في الزمان.

والتحمل بالحمل المذكور، إمّا لاستحالة التقدّم أو لعدم وجود الدليل.

والأول: قد عرفت منعه.

والروايات في الثاني كثيرة، وهي مصرحة بذلك، مثل قولهم ﷺ: «إن الله تعالى خلقنا من طينة مكنونة مخزونة تحت العرش، ولم يجعل لأحد من الذي خلقنا منه نصيباً، ثم خلق شيعتنا من وراء ذلك»^(١)، كما لا يخفى على من تتبع

(١) عن محمد بن مروان، عن أبي عبد الله ﷺ، قال: سمعته يقول: «إن الله خلقنا من نورٍ عظمتِهِ، ثم صور خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه، فكنا نحن خلقاً وبشراً نورانيين لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيباً، وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا وأبدانهم من طينة مخزونة مكنونة أسفل من ذلك الطينة ولم يجعل الله لأحد في مثل الذي خلقهم منه نصيباً إلا للأنبياء، ولذلك صرنا نحن وهم الناس، وصار الناس همج، للتأرٍ وإلى التآرٍ؛ راجع: أصول الكافي:

خطبهم ﷺ وأخبارهم، وهي نصٌ في أن جميع مراتبهم الذاتية؛ من الغيبة والشهودية قد سبقت جميع المكونات سرمدياً في السرمد، ودهرياً في الدهر، وزمانياً في الزمان، فإن أجسامهم ﷺ زمانية، وهي سابقة على دهري الأنبياء ﷺ فضلاً عن غيرهم، كيف لا، ووجود حقائق الأنبياء ﷺ من شعاع أجسامهم ﷺ.

[حال أهل البيت ﷺ قبل خلق الخلق]:

فإن قلت: إذا كان محمد وآل محمد ﷺ قد وجدوا وليس مخلوقاً سواهم، يكونون ناقصين عن الكمال، وغير مملكين شيئاً؛ لأنَّ المالك غير المملوك، فلا يكون لهم مالٌ ولا كمالٌ، ولا جمالٌ ولا سلطنة إلا بعد ذلك.

قلت: والجواب عنه من وجهين، أحدهما ظاهري، والآخر باطني.

[الظاهري]:

أما الأول: فما تقول فيما بين النفختين من فناء جميع الأشياء، فهل هو نقص في سلطنتهم، وفي جمالهم، وكمالهم أو لا؟

فإن كان نقصاً في ذلك، فهو ليس نقصاً في ذواتهم ولا فيما هم عليه من خدمتهم الذاتية والفعلية لبارئهم وخالقهم؛ لأنهم ﷺ عنده ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾^(١).

والحاصل: فحالهم ﷺ قبل خلق الخلائق كحالهم فيما بين النفختين، مع ما نشاهد من أن سلطنتهم الفعلية قد تضعف وتقوى فيما قبل النفختين أيضاً، بل إذا لاحظت أحوال الدنيا من حين ما قتل قابيل - لعنه الله - هابيل ﷺ إلى رجعتهم ﷺ، من ظهور الفساد، وظلم العباد، وخراب البلاد، وحكم الطواغيت، وسلطنتهم، ونفوذ أمرهم ونهيهم، وعلو كلمتهم، وقوة شوكتهم، واستيلائهم على أهل الأرض

(١) سورة الأنبياء، الآيتان: ١٩، ٢٠.

في الطول والعرض، تعلم النقص والضعف المذكورين؛ لأنَّ الله جلَّ وعلا لا يفعل على مقتضى قدرته، وإنما يفعل على مقتضى الحكمة، على مقتضى القوابل من طلبها باختيارها ممن يسد فقرها، ويقضي حاجتها، بعد سؤاله لها سؤالها: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(١)، فأعطى سبحانه وتعالى كل طالب من نوع مطلوبه ومحبوبه، إنَّ خيراً فخييراً، وإنَّ شراً فشرّاً، بعد بيان جهات الخير والشر، والتمكين والاختبار، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾^(٢)، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾^(٣)، ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَتَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾^(٤)، مع إنا إذا نظرنا إلى أنفسنا وإلى ما أودعه الله جلَّ وعلا في

(١) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤٢.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٤٩.

(٤) سورة القصص، الآيتان: ٥، ٦.

حقائق المخلوقات، أن ابتداء النشوء غير تامه، والابتداء غير الانتهاء، فالكمال والسلطنة والجمال تدريجية الحصول، تدريجية الوجود.

مضافاً إلى هذا كله، أنَّ الممكن دائماً في السير الحثيث إلى الله جلَّ وعلا في الاستمداد من فوارة الجود والكرم، والمدد يصل إليه على حسب قابليته واستعداده، بعد طلبه من الكريم الجواد الفيّاض: ﴿كُلًّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾^(١)، ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صَنَّعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلُّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾^(٢)، ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾^(٣)، فهو بذلك السير بأرجل الأعمال الذاتية والفعلية الغيبية والشهودية دائماً يدور على قطب استغنائه استدارة

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٠.

(٢) سورة النمل، الآية: ٨٨.

(٣) سورة ق، الآية: ١٥.

كروية^(٤) على خلاف التوالي.

وبذلك المطلب، وتلك الاستدارة، يترقى السائر بما يصل إليه من المدد إلى درجاتٍ عالياتٍ وكمالاتٍ، فهو أبداً يترقى من قويٍّ إلى أقوى، ومن كاملٍ إلى أكمل، إن كان المدد محبوباً ومرغوباً وإلا فعلى العكس.

فتبين من ذلك أنّ كلّ كمالٍ أعلى فهو غير موجود لهم ﷺ قبل الوصول إليه، ولا يحصل إلا بعد المسير بأرجل الأعمال الذاتية والفعلية.

واحتمال أنهم ﷺ وقفوا عن الترقى من كمالٍ إلى أكملٍ منه، مخالفٌ لصريح الآيات والروايات، والعقول المستنيرة بأنوار الأئمة الهداة، لقوله تعالى: «أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ»^(١)، «وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ»^(٢)، «بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ

(٤) في المخطوط: كرية.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.

(٢) سورة ق، الآية: ٣٥.

يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ»^(٣)، «يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ
 أَوْتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ»^(٤) ونحو ذلك، وقول النبي ﷺ لَمَّا
 قَتَلَ عَلِيٌّ ﷺ عمرو بن عبد ودّ: «إِنَّ ضَرْبَةَ عَلِيٍّ ﷺ لِعَمْرُو
 تَعَادِلُ عَمَلِ أُمَّتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٥)، وقوله ﷺ للحسين
 ﷺ: «إِنَّ لَكَ لِدَرَجَاتٍ لَنْ تَنَالَهَا إِلَّا بِالشَّهَادَةِ»^(٦)، وقول أبي
 حمزة لعلي بن الحسين: «أذْكَرُكَ الْبَقِيَا عَلَى نَفْسِكَ، فَقَالَ ﷺ

^(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

^(٤) سورة المجادلة، الآية: ١١.

^(٥) عن النبي ﷺ قال: «لمبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن عبد ود أفضل من عمل
 أمتي إلى يوم القيامة». مناقب آل أبي طالب: ١٦٣/٣، حلية الأبرار: ١٦٠/٢، بحار
 الأنوار: ١٦٥/٣٦، شواهد التنزيل: ١٤/٢، إقبال الأعمال: ٢٦٧/٢، سعد السعود:
 ١٣٩.

^(٦) في حديث طويل ذكره السيد هاشم البحراني في (مدينة المعاجز: ١٠٩/٢) تحت
 عنوان: استحابة دعائه ﷺ في الخيرة حين أراد الخروج إلى الكوفة، وأنه رأى جده
 ﷺ في المنام. قال: «وإن لك في الجنان لدرجة عالية، لن تنالها إلا بالشهادة فأسرع
 إلى درجتك».

أفلا أكون عبداً شكوراً؛^(١)، وقال تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾^(٢)، وغير ذلك من تتبع الأخبار، وجاس خلال تلك الديار.

[الباطني]:

وأما الثاني: فلا يخلو إمّا أن يكونوا واقفين بذواتهم

(١) من رواية طويلة جاء فيها: «فأقبل جابر عليه يقول: يا بن رسول الله، أما علمت أن الله تعالى إنما خلق الجنة لكم ولمن أحبكم، وخلق النار لمن أبغضكم وعاداكم، فما هذا الجهد الذي كلفته نفسك؟!»

قال له عليّ بن الحسين عليه السلام: يا صاحب رسول الله، أما علمت أن جدّي رسول الله ﷺ قد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر فلم يدع الاجتهاد له، وتعبّد - بأبي هو وأمي - حتّى انتفخ الساق وورم القدم، وقيل له: أتفعل هذا وقد غفر لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر؟! قال: أفلا أكون عبداً شكوراً.

فلما نظر جابر إلى عليّ بن الحسين عليه السلام وليس يغني فيه من قول يستميله من الجهد والتعب إلى القصد، قال له: يا بن رسول الله، البُقى على نفسك، فإنك لمن أسرة بهم يُستدفع البلاء، وتستكشف الأواء، وبهم تُستمطر السماء.

فقال: يا جابر، لا أزال على منهاج أبويّ مؤتسماً بهما - صلوات الله عليهما - حتّى ألقاهما؛ أمالي الطوسي: ٦٣٧، مناقب آل أبي طالب: ١٦١/٤.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

وأفعالهم عن المسير والسفر إلى الله جلّ وعلا أو لا.

فعلى الأول: مع أنه نقصٌ في حقهم؛ لأن غيرهم سائرٌ ومسافرٌ إلى الله تعالى في المعرفة والخدمة الذاتية والفعلية، وهم عليه السلام ليسوا كذلك! وأي نقص أعظم من هذا، حاشاهم، حاشاهم، بل يلزم استغنائهم في تلك الحالة عن الله تعالى، وهو خلاف ضرورة العقول المستنيرة بأنوارهم عليه السلام، وقد قال سيدهم وفخرهم، نبينا محمد عليه السلام: «الفقر فخري، وبه افتخر»^(١)، بل ليس أحدٌ مما سوى الله جلّ وعلا إلا والفقير فخره، ولكنه فيه عليه السلام غير متناه، ولا يقف على حدٍّ ذاتاً وظهوراً، وهو لشدة سيره فيه يُرى واقفاً، مع أنه في الشدة ليس في الإمكان أشد منه، ومن رشحات شدته، ونفحة من نفحات وجوده.

مع هذا كله أنه يلزم انقطاع المدد عنهم عليه السلام، وفي تلك الحالة إمّا أن يكونوا أرباباً مستقلين أو فانين مضمحلين،

(١) عوالي اللآليء: ٣٩/١، بحار الأنوار: ٥٥/٦٩، مستدرک الوسائل: ١١/١٧٣.

مع النقص في ربوبية الله تعالى إما بالعجز أو بالبخل وغير ذلك من المفاسد.

والحاصل: إنَّ احتمال وقوف محمد ﷺ وآله آناً ما عن الترقى من درجةٍ إلى أعلى، ومن كمالٍ إلى أكمل من سوء الفهم، واعوجاج السليقة، ومرض العقل، وفقد مستمر الإدراك - نسأل الله تعالى بهم الثبات، والقرار على ما فيه رضاهم، ورضا الملك الجبار-

[الترقي هل هو نقص أم عين الكمال]:

فإن قلت: إذا كان الترقى يتجدد لهم آناً فآناً، يكونون فاقدين له في الآن الأول، وهذا نقصٌ بالنسبة إليهم ﷺ.

قلت: ليس هو نقصاً، بل ما هم عليه في الآن الأول أعلى ما يمكن من الكمال، بحيث لم يكن في ذلك الحال أكمل منه، ولا ينافيه، تجدد الأكمالية منه في الآن الثاني، انظر إلى الحديث القدسي، وهو قوله تعالى في شأن السائرين إليه: «كلما رفعت لهم علماً وضعت لهم حلاً، ليس لمحبتى غاية

ولا نهاية؛^(١) وهذا ليس نقصاً، بل هو عين الكمال الإمكانى.
 والحاصل: إنَّ الله جلَّ وعلا لا يُحدَّ ولا يتناهى، وقدرته
 صفة من لا يُحدَّ ولا يتناهى، فهي لا تحد ولا تتناهى، وفيضه
 وجوده، وكرمه أثر قدرته، فهي لا تتناهى.

[معنى تلقي أهل البيت للمدد الإلهي]:

فإن قلت: إنَّ ما لم يصل إليهم من المدد الذي به
 يحصل الترقى والزيادة في الكمال، لا شك ولا إشكال أنه من
 الإمكان لا من الأزل، إذ لا ريب أنه لا ينزل من الأزل إلى
 الإمكان شيء، ولا يصعد من الإمكان إلى الأزل شيء؛
 لاستحالة انقلاب الحقائق الثلاث: الوجود، والإمكان،
 والامتناع، وإمكانهم ﷺ الذروة العليا، فهو موجود بالفعل
 لا منتظر ولا مستقل.

قلت: لا منافاة في ذلك، فالمدد الجديد يصل إليهم من

(١) «وليس لحبتي علم ولا غاية ولا نهاية، وكلما رفعت لهم علما وضعت لهم علما؛

ذلك الأعلى، فكما أنّ ما لهم من الوجود الكوني أعلى مراتبه وأشرفها وأجمعها للكمالات، فكذلك إمكانهم ﷺ، فالمدد الجديد يصل إليهم من نوع إمكانهم، وإن اختلف في الشدة والضعف لا من إمكان غيرهم.

فإن قلت: أنهم وإن كانوا غير واقفين عن المسير إلى الله جلّ وعلا، فهم ﷺ يسيرون في الزمان، وفي الدهر، وفي السرمد، فيسيرون بأجسامهم في الزمان، وبمجرداتهم في الدهر، وبحقيقتهم في السرمد، والانتظار والاستقبال في خصوص الزمانيات، لأنها لها أول وحال وآخر محدود، ولا كذلك بالدهر والدهريات، والسرمد والسرمديات، فإنها كلها بالفعل، ليس فيها انتظار ولا استقبال، ولا يتأتى السير، ولا يتم إلا في الأوّل دون ما بعده.

قلت: «قد علم أولو الأبواب أن الاستدلال على ما هناك

لا يعلم إلا بما هاهنا؛^(١)، فالظاهر تابع للباطن ودليل عليه،
فحينما فرض في الجسم ووجد فيه لا من حيث الجسمية فهو
دليل على الباطن، وباطن الباطن، فللمجردات أوّل وحال
واستقبال من جنسها.

وكذلك السرمديات تختلف في مراتب القوة من قوي
إلى أقوى، ومن شديد إلى أشد، فيتم ويأتي فيها كالزمان
والزمانيات، وبذلك يحصل الترقى إلى مراتب الكمالات من
غير وقوف - سبحان من ﴿يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ
يَشَاءُ﴾^(٢) - .

[جميع ما عند أهل البيت في ملكه تعالى]:

وأما الجواب الثاني: فهو أنّ جميع ما هو لهم من مراتب

(١) روي عن الإمام الرضا عليه السلام انه قال: «قد علم ذووا الألباب أنّ الاستدلال على ما
هناك لا يكون إلا بما هاهنا؛ راجع: كتاب التوحيد: ٤٣٨، عيون أخبار الرضا
عليه السلام ٢/١٥٦، بحار الأنوار: ٣١٦/١٠.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

الكمالات الذاتية والفعلية والوصفية، وجميع الدرجات كلها موجودة بالفعل عند الله تعالى لا عند أنفسهم.

فهي موجودة عند الله تعالى في ملكه، قد أحدثها وعلمها على ما هي عليه في أمكنتها، وأوقات وجودها، قد أحاط بها على ما هي عليه، مع أنها غير موجودة عند أنفسها، وعند غيره، وهو معنى: «جَفَّ القلم بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة»^(١)، وهو غضُّ طريٍّ إلى يوم القيامة، بالنسبة إلى ما عندها وعند غيرها.

ووجهه الأول: أنه جلَّ وعلا وراء ما لا يتناهى بما لا يتناهى، فقد أحاط بها إحاطة بالفعل، فليس عنده استقبال وانتظار، إذ هما من لوازم الضعف والنقصان، يجلب عنهما الواجب الحقّ - تعالى علواً كبيراً - فليس عنده أول، فيكون ماضياً، أو آخراً فيكون منتظراً مستقبلاً، وله بل الأشياء كلها حاضرةً عنده بالفعل، ولذلك عبر بالفعل الماضي عمّا هو

(١) جامع البيان: ١٤٩/٩، تفسير الثعلبي: ١٥٤/٩، تفسير الرازي: ٢١٥/١٢، وورد

في بحار الأنوار: ٤٩/٢٨: (جف القلم بما فيه)

عندنا مستقبل غير موجود عندنا ولا في نفسه، في قوله تعالى: **﴿وَتَفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾**^(٢)، فالنفخ في الصور والصعق غير موجودين في أنفسهما، ولا عندنا، وعند الله تعالى موجودان بالفعل في ملكه، قبل وجودهما عند أنفسهما^(١) وعند غيرهما^(٢).

فهو تعالى عالم بالأشياء على ما هي عليه في أمكنة وجودها، وأوقات حدودها، في ملكه قبل وجودها. وهذا معلوم من أنه تعالى غير متناه ولا محدود؛ لكونهما من أوصاف الحدوث.

[إحاطة العالي بالسافل قبل وجوده]:

ومما يقرب كون العالي يحيط بالسافل قبل وجوده، ما روي عن جابر الأنصاري: «أنه لَمَّا عارض الحسن بن علي

(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٨.

(١) في المخطوط: وأنفسهم.

(٢) في المخطوط: غيرهم.

ﷺ في صلحه مع معاوية، قال ﷺ: إنما فعلت ذلك عن أمر رسول الله ﷺ، أتريد أن أريك رسول الله ﷺ؟

فقال: بلى. وإذا بالسمااء قد فُتحت، ونَزَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فقال ﷺ: يا جابر: إنك لم تكن مؤمناً حتى تُسَلِّمَ إليّ ابني الحسن ﷺ، وترضى بما يفعل. أتريد أن أريك معاوية؟ فقال: نعم. فحسف برجله الأرض حتى رأته في النار. مع أنه في ظاهره في الدنيا.

وكذلك قال للحسين ﷺ لَمَّا قام بالجهاد، ومحاربة يزيد - لعنه الله - مثله: أن أرى أم سلمة حين خروجه من المدينة إلى العراق، أرض كربلاء، ومصرعه، ومدفنه^(١). وجبرائيل: أرى يوسف بن يعقوب ﷺ أرض كربلاء وجميع ما جرى فيها قبل أن يولد الحسين ﷺ.

وليس ذلك إلا لأنَّ العالِيَّ يحيط بالسافل قبل وجوده، وغير ذلك، مثل: أن النبي ﷺ رأى ليلة المعراج الجنة

(١) راجع: بحار الأنوار: ٣٤٤/٤١.

وأهلها، والنار وأهلها.

[آل محمد علة فاعلية بالله]:

إذا عرفت هذا كله، فاعلم: أن كون آل محمد ﷺ علة فاعلية، إن بقيت العبارة على ما هي عليه، فهو غلوٌ ظاهرٌ، يجب تنزيههم ﷺ عنه.

وفي الواقع لا بدّ أن تُصرف العبارة إلى وجهٍ صحيحٍ لا يتطرّقه غلوٌ، إمّا بأن تُحمّل على المجاز لا على الحقيقة، أو على الحقيقة، لكن بلحوق ما يطرد المحذور المذكور، بأن يقال: أنهم ﷺ علة فاعلية بالله، بخلاف ما لو خليت عن اللحوق، فقلت: هم علة فاعلية، فإنها ظاهرة في الاستقلال، والاستقلال عن الله جلّ وعلا كفرٌ وزندقةٌ.

ولذلك قلنا: إن العبارة لو بقيت خالية عن اللحوق كانت مجازاً أو حقيقة.

والحاصل: أنه قد ورد عنهم ﷺ إن: «علة ما صنع

صنعه، وهو لا علة له؛^(١)، وقوله لهم ﷺ: «نحن صنائعُ الله، والخلق بعد صنائعُ لنا؛^(٢)، وقالوا ﷺ: «خلق الله الأشياء بالمشيئة، وخلق المشيئة بنفسها؛^(٣).

وبيان ذلك: في الخبر الأول والأخير أن صنعه والمشيئة في لفظها الأوّل، يحتمل: أن المراد بهما الفعل الماضي، الذي هو: شاء وصنع، المعبر عنه بالحركة الإيجادية.

ويحتمل: أن المراد به الصادر الأوّل، الذي هو المصدر، والمفعول المطلق، فنقول: شاء مشيئةً، وصنع صنعاً، وهو الحقيقة المحمدية ﷺ.

ويحتمل: أنّ كلاً من الوجهين مرادٌ.

وهذه الاحتمالات الثلاثة كلّها صحيحةٌ.

ومراده أيضاً كما يعلم من تصريحات بعض الأخبار،

وإشارتها، ودلالة العقول المستتيرة بأنوار أئمة الهدى ﷺ

(١) من الخطبة اليتيمة المروية عن أمير المؤمنين ﷺ.

(٢) مشارق أنوار اليقين: ٣٩، بحار الأنوار: ٥٨/٣٣.

(٣) أصول الكافي: ١/١١٠، التوحيد: ٣٣٩، بحار الأنوار: ١٤٥/٤.

كما يفسره الخبر الثاني المروي في (نهج البلاغة) عن أمير المؤمنين عليه السلام.

وقد نظم الشيخ حسين نجف ^(١) رحمته الله في هذا المعنى، في شأن أمير المؤمنين عليه السلام، بقوله:

هُوَ صَنَعُ الْإِلَهِ وَالْخَلْقُ [طِراً]

صَنَعُ مَنْ كَادَ أَنْ يَكُونَ إِلَهِاً ^(١)

(١) المعروف بالشيخ حسين نجف الكبير. أبو جواد حسين بن محمد بن الحاج نجف علي التبريزي النجفي. المولود في النجف عام ١١٥٩ هـ والمتوفى في النجف ليلة الجمعة الثاني من المحرم ١٢٥١ هـ. أحد الشخصيات الفذة في العلم والورع والتقوى. صنف كتاب الدرّة النجفية في الرد على الأشعرية في مسألة الحسن والقبح، وديوان شعر (مخطوط). تكملة أمل الآمل: ٥٢٩/٢، أعيان الشيعة: ٤١٣/٩، شعراء الغري: ١٦٢/٣.

وما ذكره المصنف - أعلى الله مقامه - للشيخ من ديوان الشيخ عبدالله الوايل، المسمى بـ(الدرر الفاخرة في مدح وثناء العترة الطاهرة): ٣٠٠/١ في القصيدة الرابعة عشرة، وهي عبارة عن تخميس للشيخ الوايل لأصل قصيدة الشيخ حسين نجف، ومطلعها:

ويبلغ عدد أبياتها (٢٤٨) بيتاً، وهي لم تطبع إلا في ديوان الشيخ عبدالله الوايل مخمسه، وذكر صاحب (شعراء الغري) الخمسة الأبيات الأولى منها فقط.

وحمله على كونهم علة غائية للخلق تخصيصاً أو تقييداً
من غير دليل.

[قول الأحسائي في العلة الفاعلية]:

بل قد ذكر بعض من حكم بكفر الشيخ أحمد قُدْرَتُهُ (٢)
من حيث كونه قائلاً بأنهم عَلَّةُ الْفَاعِلِ العلة الفاعلية.
[قلنا]: أنه أمر ممكن وغير مستحيل في العقول، وإنما
حكمتنا بالتكفير من حيث عدم [وجود] الدليل، وكونه خلاف
الإجماع، لكن عدم وجدان الدليل لا يدل على عدم الوجود،

(١) في المخطوط: إلهاً.

وقال بعد هذا البيت:

(٢) الشيخ أحمد بن الشيخ زين الدين بن الشيخ إبراهيم بن صقر بن إبراهيم بن داغر بن
رمضان بن راشد بن دهم بن شمروخ بن صولة آل صقر المهاشير القرشي الأحسائي
المطيرفي. المولود في شهر رجب سنة ١١٦٦هـ والمتوفى ١١/٢٢ / ١٢٤١هـ،
صاحب المؤلفات الكثيرة، منها: شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، شرح الفوائد الحكيمة،
صراط اليقين في شرح تبصرة المتعلمين للعلامة الحلي، شرح العرشية للملا صدر الدين
الشيرازي. أعلام مدرسة الشيخ الأوحاد: ١٣ - ٨٨.

والمسألة ليست محررة في كتب العلماء قديماً وحديثاً حتى تكون مورداً للإجماع نفيًا وإثباتاً.

والدليل كما عرفت وغيره موجودٌ، والمعنى في عليتهم عليهم السلام الفاعلية على حد ما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾^(٢)، فهل ترى أن ملك الموت شريك مع الله تعالى في قبض أرواح الخلائق، أو مستقل في ذلك، ولا يتفوه به من يتدين بدين الله تعالى.

وورد أيضاً: «أن لله تعالى ملكين خلّاقين يقتحمان في رحم المرأة لخلق النطفة»^(٣).

(١) سورة الزمر، الآية: ٤٢.

(٢) سورة الحديد، الآية: ١١.

(٣) عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن الله عز وجل إذا أراد أن يخلق النطفة التي مما أخذ عليها الميثاق في صلب آدم أو ما يبدو له فيه ويجعلها في الرحم حرّك للجَماع وأوحى إلى الرحم أن افتحي بابك حتى يلج فيك خلقي وقضائي الثافل وقدري، فتفتح الرحم بابها فتصل النطفة إلى الرحم فتزد في أربعين يوماً، ثم تصير علقة أربعين يوماً، ثم تصير مضغة أربعين يوماً، ثم تصير لحماً تجري فيه عروق مشبكة،

بل ذلك ليس إلا لأن الله تعالى «أبى أن يجري الأشياء إلا بالأسباب»^(٤)، وإن كان جلّ وعلا قادراً على أن يجريها بغير ذلك، ولكن حكمته تعالى، ونقصان بعض القوابل عن وصول الفيض الإلهي تقتضي تقدم الأسباب على مسبباتها، وتوسط الأعلى بينه وبين الأسفل في وصول المدد، من منبع الجود والكرم في الابتداء والاستمرار.

فإذا قال أحدٌ: بأن محمداً وآل محمد ﷺ هم السبب الأعظم الأقدم، فأبي قدح فيه، وأي خللٍ من العقائد يعتريه، مع أن السبب والسببية بالله تعالى، وفي يده وفي قبضته إيجاباً وإمداداً، بل لو خلاهما من يده ومن قبضته كانا فانيين مضمحلين، إذ الممكن لا يستقلّ عن الله تعالى طرفة عين أو أقلّ منها، وقد قال جلّ وعلا في محكم كتابه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ

ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكَينِ خَلَقَينِ يَخْلُقَانِ فِي الْأَرْحَامِ مَا يَشَاءُ اللَّهُ فَيَقْتَحِمَانِ فِي بَطْنِ الْمَرْأَةِ مِنْ قِمِّ الْمَرْأَةِ فَيَصِلَانِ إِلَى الرَّحِمِ... ; أصول الكافي: ٩٠٢/٦، باب: بدء خلق الإنسان وتقلبه في بطن أمه.

(٤) بصائر الدرجات: ٢٦.

لَفَرُّوْجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ
 أَيْمَانُهُمْ^(١)، وهم إناث الإماء، فقد حكم تعالى بملكيتنا لهن،
 بل وغيرهن من الأحوال كذلك، فهل ترى أن الله تعالى ليس
 مالكاً لذلك، أو أن ملكيته تعالى مجازية وملكيتنا حقيقية أو
 بالعكس، أو أنه تعالى شريك معنا في الملكية، أو ليس هو
 جلّ وعلا، هو المالك لما ملكنا، والقادر على ما أقدرنا عليه.

واحتمال: أنه تعالى مالك كملكية السيد لمال عبده، كما
 يُنقل عَمَّنْ لم يذق ثمرة الجنان، ولم يشرب من حوض كوثر
 سيد الأنام، فتكون ملكيته تعالى بالتبعية لملكيته لنا، مع أنه من
 باب: ﴿الْكُمُ الذَّكْرُ وَكَلَةُ الْأُنثَى﴾^(١)، أنه متى كانت هذه التبعية؟
 وفي أيّ وقت حصلت؟ والأموال التي تنبت في الأرض،
 كالمعادن في الأراضي المباحة، وما في قعور البحار من اللؤلؤ
 والمرجان، وما فيها أيضاً من السموك، وحيوانات البر قبل

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٥ و ٦. وسورة المعارج، الآية: ٢٩ و ٣٠.

(٢) سورة النجم، الآية: ٢١.

الحياز وغير ذلك.

فهل هي قبل الحيازة المملوكة ملك لله تعالى حقيقة، وبعد ذلك كانت مملوكة له بالمجاز ومن حيث التبعية، أو أنها ليست مملوكة لله تعالى قبل الحيازة، وهل هذا إلا جهل بعموم السلطنة لله تعالى وقدرته وقهاريته بأن يكون الذي أوجدها من العدم إلى الوجود في الغيب والشهود وحفظها من المهالك والمرديات وغذاها بما يليق بها في جميع الحالات مما تحتاج إليه في جميع الأوقات ليس مالكا لها حقيقةً، والعاجز عن جميع ذلك هو المالك لها: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾^(٢)، كيف وهذا العاجز مثلها في الفقر والاحتياج الدائمين المستمرين إلى الله تعالى، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ولا موتاً ولا حياة، ولا غير ذلك إلا بعطاء الله تعالى وإمداده .

(٢) سورة النجم، الآية: ٢٢.

[نسب الأثر إلى الأسباب]:

ونزيد في الأمر وضوحاً: أنا نرى بالوجدان والعيان، أنّ الأثر يُنسب إلى كُلِّ واحدٍ من الأسباب المترتبة حقيقة، فيقال: إنّ فلاناً قَتَلَ فلاناً حقيقة، وإنما قتله بالسيف، فالسيف قاتل حقيقة، وفلان قاتل حقيقة.

والنار محرقة للحطب حقيقة، ومن ألقاه فيها مُحَرِّقٌ له حقيقة، فنار الآخرة محرقة للكافر وأشباههم حقيقة، والله جلٌّ وعلا مُحَرِّقٌ لهم حقيقة.

وزيد ابن معاوية - لعنه الله - قاتل للحسين عليه السلام حقيقة، وابن زياد - لعنه الله - قاتل له حقيقة، وكذلك عمر بن سعد - لعنه الله - والشمر - لعنه الله -.

واختلاف الحثيات لا ينافي الحقيقة، بأن يقال: إنّ النار محرقة للحطب من حيث المباشرة، وزيد محرق له من حيث إلقائه فيها.

وزيد - لعنه الله - لو قاتل من حيث إنه أمرٌ ومُعْطٍ قوة

على ذلك ببذل الأموال، وتجميع الجنود والعساكر، وغير ذلك مما يتوقف عليه القتل، وابن زياد قاتل من حيث أنه أنفذ أمر يزيد - لعنه الله - وكذلك عمر بن سعد - لعنه الله - وكون كل منهم قاتل حقيقة إمّا على الاشتراك اللفظي أو على الحقيقة بعد الحقيقة.

[أسباب عدم صحة إطلاق

العلّة الفاعلية على الذات]:

مع أنّ كل مخلوق لا بد له من العلل الأربع: الفاعلية، والمادية، والصورية، والغائية، ولا يصح أن تكون ذات الله تعالى علّة فاعلية لوجوه:

الأول: ما علم من مذهب أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم أنّ أسماء الله توقيفية ومتوقفة على النقل عن الأئمة عليهم السلام ^(١)، ولم يُسمع تسمية الله تعالى بذلك الاسم، لا في القرآن

(١) قال الإمام الرضا عليه السلام لسليمان المروزي: «فليس لك أن تسميه بما لم يُسمَّ به نفسه؛ التوحيد: ٤٥١، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٦٧/٢، بحار الأنوار: ٣٣٦/١٠.

الشريف، ولا في خطب الأئمة عليهم السلام، ولا في رواياتهم، مع
 أنا ما هو كمال في المخلوق لا يصح وصف الله تعالى به،
 فالعقل كمال في المخلوق، ولا يصح وصف الخالق به، فلا
 يقال: أن الله تعالى عاقل أو ذو عقل، أو يقال: رأس الله، أو
 رجل الله، وليس ذلك إلا لقصورنا عن إدراك ما يليق به من
 الأسماء والصفات.

الثاني: أن المعلول مذكور في العلة بالقوة، فيلزم أن
 تكون ذات الواجب محلاً للحوادث، ومقترنة بها، والاقتران
 صفة حدوث للمقترنين.

والظرفية خلاف الصمدية، ويلزم الولادة، إذ كانت
 الأشياء مذكورة في الذات بالقوة؛ فبرزت إلى الفعل وهو
 الولادة.

ويلزم أيضاً: أن تكون ذات الله تعالى محلاً للحوادث،
 ومحل الحادث حادث.

ويلزم أيضاً: تغير الذات؛ لأن الأشياء كانت فيها بالقوة،

ثم صارت بالفعل.

ويلزم أيضاً: قدّم الأشياء أو حدوث الذات لاتحاد الحال والمحلّ في الصقع.

ويلزم أيضاً: المناسبة بين الحال والمحلّ.

ويلزم أيضاً: التضاييف؛ لأنّ العلة والمعلول من المتضاييفين، وإن تقدمت العلة في الرتبة، فلا تكون ذات الله تعالى علةً أبداً، ولذلك قال سيد الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: «علة ما صنع صنعه، وهو لا علة له».

[الفعل]:

ونزيد المسألة بياناً: أنّ خالق، صفة فعلية لله تعالى لا صفة ذاتية، وكما ترى أنه يصح نفيه، فتقول: ليس بخالق في الأزل، وهو خالق في الحدوث، وليس خالقاً لآدم عليه السلام والأنبياء عليهم السلام الآن وخالق لهم قبل ذلك، مع ما ترى أنّ الصفة الذاتية لا تفارق الذات ولا تنفك عنها؛ لأنها ذاتي للشيء، وما بالذات لا يفارقها، فلا يجوز أن يقال: إنّ الله

تعالى ليس بقادر، وليس بعالم، ونحوهما من الصفات الذاتية.
 وخالق: اسم فاعل، وفاعل هو المسمى، وهو أيضاً اسم
 فاعل، أيضاً فهو يدور على نفسه على التوالي، ونفسه تدور
 عليه كذلك، وهو معنى «خَلَقَ [الله] الْمَشِيئَةَ بِنَفْسِهَا»^(١)، فخالق
 صفة فعلية مشتقة من خَلَقَ، من حيث تأثيره، ومن أثره الذي
 هو المصدر، مثل: ضرب ضرباً، فضرباً هو محل ضرب
 وانفعاله الذي لا يوجد ولا ينوجد إلا به، مثل الكسر
 والإنكسار، فيتركب منهما مشتقات ثلاثة: مكسور، ومنكسر،
 وكاسر.

فالأول: من حيث كون الذات ظاهرة بالمكسورية.

والثاني: من حيث كونها قابلة للأثر، ومنفعلة به.

والثالث: من حيث التأثير للأثر الذي هو المصدر، فصيح
 على تلك الهيئة لبيان ظهور الذات بفعالها ظهوراً فعلياً في
 مرتبة الفعل وجوداً، وأعلى وأشرف من حيث أنه على

(١) أصول الكافي: ٦٤/١.

الذات، وظهورها به ظهوراً فعلياً لا ذاتياً، فهو يحكي عدم استقلالية (كسر)، الذي هو الفعل الماضي في نفسه وفي تأثيره، بل هو قائم بذات الكاسر قياماً صدورياً، بلا كيف لذلك القيام.

وبالجملة: فالقدرة الباهرة أنّ فعل الله جلّ وعلا قائمٌ بالله قياماً صدورياً، من غير مباشرةٍ ولا كيفٍ لذلك القيام، لأنّ الكيف من آثار فعل الله تعالى، ومخلوق به، ولا يجري عليه ما هو أجراه.

والمباشرة تستلزم المناسبة، وهي تستلزم المشابهة ولو في الجملة كما لا يخفى، فتفعل الأشياء وتنقاد لمشيئته تعالى، من غير مباشرة لها، ولا لمشيئة بلا كيف لذلك. ووجود مشيئته تعالى موقوفٌ على محلّها ومتعلّقها، وهو حقيقة محمد وآل محمد ﷺ لَمَّا عَلِمَ من ضرورة مذهب الشيعة أنهم ﷺ قد سبقوا كلّ سابق، وفاقوا كلّ لاحق^(١)،

(١) إشارة إلى قول الإمام الهادي ﷺ في الزيارة الجامعة الكبيرة: «ولا يسبقه سابق».

ذاتاً ووجوداً وأوصافاً وأفعالاً وغير ذلك، وفي مدح الله تعالى لهم غنى عن مدح المادحين، كما تحكيه آية النور في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١) الخ. ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ يَازِّنُهُ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾^(٢) وأي صراحة أعظم من ذلك!!

وانظر إلى دعاء الحجة عليه السلام في شهر رجب: «أسألك بما نطق فيهم من مشيتك، فيهم ملأت سماءك وأرضك»^(٣).
وقول علي عليه السلام في شأن النبي عليه السلام: «أقامه في سائر

(١) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٢) سورة الأحزاب: ٤٥، ٤٦.

(٣) من الدعوات التي تقرأ في كل يوم من رجب: «أسألك بما نطق فيهم من مشيتك، فجعلتهم معادن لكلماتك، وأركاناً لتوحيدك، وآياتك ومقاماتك، التي لا تعطيل لها في كل مكان، يعرفك بها من عرفك، لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقتك، فتقها ورتقها بيدك، بدؤها منك وعودها إليك، أعضاء وأشهاد، ومناة وأذواد، وحفظة ورواد، فيهم ملأت سماءك وأرضك». مصباح المتجهد: ٨٠٣، إقبال الأعمال: ٢١٤/٣، مصباح الكفعمي: ٦٧٤.

عالمه في الأداءِ مقامةً؛^(٤).

وقولهم ﷺ: «نحن محالّ مشيئة الله تعالى وألسنة إرادته؛ «قولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا»^(١)، و «اجعلوا لنا ربا نؤوب إليه»^(٢) «إن ذكر الخير كنتم [أوله و] أصله... إلى آخره»^(٣).

«إِرَادَةُ الرَّبِّ فِي مَقَادِيرِ أُمُورِهِ تَهْبِطُ إِلَيْكُمْ... إِلَى آخِرِهِ»^(٤)، و «ما وسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن».

[صحة إطلاق العلة الفاعلية على آل محمد]:

^(٤) من خطبة أمير المؤمنين يوم الغدير. مصباح المتجهّد: ٧٥٣، إقبال الأعمال:

٢/٢٥٥، مصباح الكفعمي: ٨٨٢.

^(١) في الاحتجاج: ٤٥٣/٢: قولهم ﷺ: «لا تتجاوزوا بنا العبودية، ثم قولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا».

^(٢) في مختصر بصائر الدرجات: ٥٩: «اجعلوا لنا ربا نؤوب إليه وقولوا فينا ما شئتم».

^(٣) مقطع من الزيارة الجامعة الكبيرة المروية عن الإمام الهادي ﷺ.

^(٤) أصول الكافي: ٥٨٦/٤، باب: زيارة قبر أبي عبدالله الحسين بن علي ﷺ.

والحاصل: أنّ من تتبع الأدعية والآيات، والخطب والزيارات، يجد ذلك صحواً بلا قتام، ونوراً بلا ظلام، وخالصاً صافياً بلا زحام، فإذا كانوا عليهم السلام محل مشيئة الله تعالى، وأنها تنطق فيهم، وأنهم مهبط إرادة الربّ في مقادير أموره، وأنهم الذين وسعوا جميع الفيوضات الإلهية، فهم عليهم السلام ينطقون بمشيئة الله؛ والمشيئة تنطق بهم في التكوين وفي التشريع، فكانوا عليهم السلام علة فاعلية بمشيئة الله تعالى، وهي علة فاعلية بهم حقيقة في المقامين، وليس ذلك لعجز في قدرة الله تعالى، ولا لنقص في مشيئته، بل لعجز من سواهم وضعفه عن تلقي جميع الفيوضات الإلهية، والشئون الربّانية من غير وساطة أولئك العبيد الأقوياء، بل وضعفهم عن تلقي أقل فيض من تلك الفيوضات، وقصور قوا بل من سواهم، مع تنزهه وتكرمه عن مخاطبة من سواهم بغير واسطتهم في التكوين وفي التشريع - سبحان من اتخذ ولياً من العز، ولم يتخذ ولياً من الذل - كما ترى ذلك في التشريع، أنه خاطب

الرعايا على لسان الأقوياء، ولم يخاطبهم بالتكاليف الشرعية من غير واسطة الأنبياء والرسل، بل إنه لم يخاطب الطفل المميز غير البالغ إلا على لسان أبيه، كل ذلك تنزهاً وتجبيراً، ولذلك سمي صاحب الشريعة شارعاً، وهذا معلوم عند أهل الأديان.

والتكوين مثل التشريع: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾^(١)، فكما إنَّ حكم الرسول ﷺ في التشريع هو حكم الله، وأمره أمر الله، ونهيه نهي الله، فكذلك فعله في التكوين فعل الله، وأمره أمر الله، ونهيه نهي، وعزائمه عزائمه، ورخصه رخصه فيهما.

فإذا كانوا عَلَمًا علة فاعلية بالله وبفعله؛ لأنهم: ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ۖ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهٖ يَعْمَلُونَ﴾^(١)، لم يكن في ذلك محذوراً، بل هو الشرف من الله تعالى

(١) سورة الملك، الآية: ٣.

(١) سورة الأنبياء، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

والكرامة والحبور، وهو تعالى مع ذلك هو المالك
لذواتهم وفاعليتهم^(٢)، وهما في قبضته وتصرفه، ليس
لهما غنى عنه، ولا استقلال طرفة عين.

كيف وفقهم إليه تعالى هو فخرهم^(٣)، وحينئذ فينطبق
على ما ذكرنا قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ آيِقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾^(٤)،
كما يروى في بعض الآيات الآفاقية.

كالحديدة المحماة بالنار، فإن الحديدية محرقة حقيقة،

(٢) يشير المؤلف - أعلى الله مقامه - أن الفاعل والموجد في الحقيقة والمتصرف في جميع
الأشياء ليس إلا الواجب الحق عز شأنه لا غيره، وهو القائم بذاته المستقل في صفاته،
وما سواه كائناً ما كان ممكن، والممكن فقير ومحتاج، ولا يمكنه الاستغناء عن الحق
طرفة عين أبداً. لأن الإمكان يناهى الاستقلال ذاتاً دائماً لا في آن دون آن، وإلا لا
نقلب ذلك الآن واجباً، وهذا خلاف؛ فالمقتضى لاحتياجه وفقره في حال وجوده
وصدوره بعينه معه في كل حال لا يفارقه، فإذا كان الممكن عاجزاً صرفاً، وفقراً محضاً
استحال منه سد فقر مثله استقلالاً أو شراكة من الغني بالطريق الأولى، فلا مؤثر في
الوجود إلا الله، ولا فاعل ولا متصرف حقيقة سواه.

(٣) قال ﷺ: «الفقر فخري وبه أفتخر على سائر الأنبياء؛ عوالي اللآليء: ٣٩/١،

بحار الأنوار: ٣٢/٦٩.

(٤) سورة الكهف، الآية: ١٨.

والنار محرقة حقيقية ، ومع ذلك فالحديدية من حيث هي لا تملك شيئاً من الإحراق، وليس حيث أحرقت الحديدية بالنار رفعت النار يدها عن الحديدية وعن إحراقها وعن ما حلَّ فيها من فعل النار، بل ذلك في يد النار، وفي قبضتها، في البدء والاستمرار.

فالحديدية مُظهِرَةٌ لفعل النار، حيث أُلقت في هويتها مثالها فأظهرت عنها أفعالها^(١)؛ لأن غير الحديدية وأشباهها لا يتحمل فعل النار، إذ لو علقت به وباشرته فنى وضمحل، كالحطب ونحوه.

كما علم: أنه لَمَّا تجلّى الله تعالى بفعله لموسى ﷺ على الجبل تدكدك، ومات السبعون رجلاً الذين معه، وصعق موسى، وغشي عليه؛ لأنَّ قابليته أقوى من أولئك، ولذلك لم

(١) هذه العبارة مأخوذة من قول الإمام علي ﷺ عندما سئل عن العالم العلوي، فقال: «صور عارية عن المواد، عالية عن القوة والاستعداد، تجلّى لها فأشقرت وطالعها فتألأت، وألقى في هويتها مثاله؛ فأظهر عنها أفعاله؛ راجع: مناقب آل أبي طالب:

يمت.

والحاصل: إن الحديدة علة فاعلية للإحراق بالنار، وهي مثال محمد وآل محمد عليهم السلام، وليسوا ناقصين في العلية بعد تعلق المشيئة التأثيرية لما سواهم، وقبل ذلك لا يوصفون بالعلية. فأسفر الصبح، وارتفع الكلام لمن كان له عينان.

[إشكالات من قال بعدم صحة إطلاق

العلة المادية على آل محمد]:

الثاني: في بيان ما يتوهم من القدح في العلة المادية. وهو استلزام وحدة موجوديتهم مع غيرهم؛ لأنهم عليهم السلام إذا كانوا مادة للأشياء كانوا بمنزلة الكلي المتخصص بمشخصاته.

ثم أيضاً - على هذا الوهم الفاسد-: إنَّ المشخصات من جملة الأشياء، فيكونون عليهم السلام مادة لها.

وأيضاً يلزم: أيضاً أن يكونوا مادة للكافر، والنار تتعلق بالمادة، وغير ذلك من المفاسد المترتبة على كونهم عليهم السلام

علّة مادية، بل هي أشنع وأفضح وأقبح من كونهم ﷺ علّة فاعلية.

[دفع الإشكالات وصحة إطلاق

العلّة المادية لآل محمد]:

والجواب - عن هذا التوهم الفاسد - : إنّ العلة المادية ليست هي ذواتهم، وإنما هي أشعتهم، في المؤمنين وعكوساتهم في الكافرين والمنافقين، كما دلّت عليه الأدلة اللفظية، والآيات الآفاقية، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَتَذِيرًا ۖ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾^(١). فإذا نظرنا إلى السراج، رأينا أنه ليس في أشعته منه شيء أصلاً، وليس من ذاته شيء مادة للأشعة، ولم ينزل من رتبة ذاته إلى الأشعة شيء، ولم يصعد منها إلى رتبته شيء منها، غير أنّ حقيقته من جميع الجهات.

نعم. مغايرتها له ليست بينونة وعزلة، نعم. وإنما هي

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٥ ، ٤٦ .

مغايرة صفة.

فمعنى كون السراج مادة للضياء المنبث، أنّ شعاعه مادة للضياء، وشعاع السراج أثر فعله، أعني: أضاء، وقالوا عليهم السلام: «إنّ الله جلّ وعلا خلقنا من طينة مكنونة مخزونة تحت العرش لم يجعل لأحد من الذي خلقنا نصيباً ثم خلق شيعتنا من طينة وراء ذلك؛^(١) وفي بعض الروايات: «فإنّ شيعتنا خلقوا من فاضل طينتنا»^(٢)، والفاضل والوراء لا يكونان، ولا يصح في المقام إلاّ للشعاع.

إذ الخالق حكيمٌ عليمٌ قادرٌ، وكلامهم عليهم السلام يفسر

(١) عن محمد بن مروان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سمعتَه يقول: خلقنا الله من نور عظمتَه، ثمّ صور خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه، فكنا نحن خلقنا نورانيين لم يجعل لأحدٍ في مثل الذي خلقنا منه نصيباً، وخلق أرواح شيعتنا من أبداننا، وأبدانهم من طينة مخزونة مكنونة أسفل من ذلك الطينة ولم يجعل الله لأحدٍ في مثل ذلك الذي خلقهم منه نصيباً إلاّ الأنبياء والمرسلين، فلذلك صرنا نحن وهم الناس، وصار سائر الناس همجاً في النار وإلى النار» بصائر الدرجات:

بعضه بعضاً.

بل إنّما أُسْمِيَ الشيعة بهذا الاسم؛ لأنهم مخلوقون^(١) من الشعاع، على أحد الوجهين الذين بينه فيهما من حيث المشايعة^(٢)، وهي المتابعة، وكلاهما صحيحان، بل يمكن ردّ كلّ منهما إلى الآخر؛ لأنّ تبعية الشعاع للمنير ذاته. فاتضح كون أهل البيت عليهم السلام علة مادية للشيعة. وأمّا الكفار والمنافقون، فخلقوا من عكس الشعاع.

[مفهوم قاعدة مخروط النور والظلمة]:

(١) في المخطوط: مخلّقون.

(٢) عن أبي حمزة الثمالي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنّ الله تعالى خلقنا من أعلى عليين، وخلق قلوب شيعتنا مما خلقنا منه، وخلق أبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تموي إلينا، لأنّها خلقت مما خلقنا، ثم تلا هذه الآية: ﴿كَلَّا أَنْ كِتَابَ الْأُنْبُرَارِ لَفِي عَلِيّينَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلِيّونَ . كِتَابٌ مَرْقُومٌ . يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾، وخلق عدونا من سجين، وخلق قلوب شيعتهم مما خلقهم منه، وأبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تموي إليهم لأنّها خلقت مما خلقوا، ثم تلا هذه الآية: ﴿كَلَّا أَنْ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سَجِينٍ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٍ كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾. أصول الكافي: ٣٣١/٢، بصائر الدرجات: ٣٥، المحاسن: ١٣٢/١.

والإشكال في كونهم عليه السلام علة مادية لهؤلاء، فإن عكس الشعاع ظلمة ليس بشعاع.

والجواب: إنَّ العبارة الجامعة للصنفين، بأن يقال: إنَّ معنى كون محمد وآله عليه السلام علة مادية لجميع مَنْ سواهم، أنهم عليه السلام بدء مواد الأشياء، إمَّا منهم عليه السلام كالأشعة، أو بهم كعكوساتها.

أو يقال: إنَّ كلَّ شيء لا بدَّ له من لطيفةٍ من الوجود، وهو خيرٌ محضٌ، وهم أصل كل خير^(١).

وهذا الوجود من شعاعهم عليه السلام، إلا أنَّ كبار المنافقين قاعدون عند رأس مخروط النور، عند قاعدة مخروط الظلمة، ومخروط الظلمة شيء، وله وجود أيضاً، فهو من شعاعهم أيضاً.

فقاعدة مخروط الظلمة الكلية من جانب الشمال عند

(١) إشارة إلى ما ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة: «إن ذكر الخير كنتم أوله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه».

رأس مخروط النور في رتبة الأنبياء ﷺ غير نبينا محمد ﷺ؛ لأنه يصدر منهم خلاف الأولى بالنسبة إليهم، ولا كذلك نبينا وأهل بيته ﷺ، ولذا كان كبار المنافقين في مقابلة الأنبياء من جانب اليمين، لا في مقابلة نبينا ﷺ وآله وأهل بيته ﷺ، إذ لم يصدر منهم خلاف أولي مطلقاً، فنوريتهم كرة مصممة لا مخروطة كما في الأنبياء ﷺ.

ولا تتوهم من هذا الكلام أنّ رأس مخروط النور في رتبة الأنبياء ﷺ، هو وجود قاعدة مخروط الظلمة الكلية التي هي موقف كبار المنافقين وحققتهم؛ لأنه على هذا يكون ما فيهم من الوجود أقوى وأشد من ما في مؤمني الإنس، والضرورة الدينية والعقلية على خلافه، لأنّ الواقف حقيقة عند رأس مخروط النور في رتبة النور في رتبة الأنبياء هو قاعدة مخروط النور في رتبة الإنس، وإنما قاعدة مخروط الظلمة الكلية التي هي حقيقة كبار المنافقين عند رأس مخروط النور من آخر رتبة من دائرة العقل.

وإنما ذكرنا ما تقدم لبيان التقابل خاصة كما لا يخفى.

[دعوى عدم اتّصاف المادة للحسن والقبح]:

تنبيهان:

التنبيه الأول: قد يتوهم أنّ المادة من حيث هي لا تتصف بحسن ولا قبح، بل هي حقيقة هيولانية لجميع العالم، من غير فرق بين محمد وآل محمد عليهم السلام وبين كبار المنافقين، وإنّما حصل الاختلاف بالفصول وبالصور في الجزئيات، فكانا محللاً للحكم بالحسن والقبح، ولذلك ترى في الشرع أنّ الكلب نجس العين ولا يملك، فإذا مات واستحال ملحاً مُلْك، وكان طاهراً.

وإذا نزا على شاة فأولدها، فإن كان الولد بصورة الشاة، كان طاهراً ولحمه حلالاً، وإن كان بصورة الكلب، كان نجساً وحرماً ولا يملك، والمادة في الجميع واحدة، ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً قَبَعَتْ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ

وَمُنذِرِينَ^(١)، والترتيب في السلسلة الطولية إنما هو في خصوص التشريع دون التكوين، كما يعطيه قولهم ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ نُورِهِ وَصَبَّغَهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ... الخ»^(٢) حيث كان العنوان هو الإيمان، وهو ليس إلا في التشريع.

[رد دعوى عدم اتصاف المادة للحسن والقبح]:

قلت: والجواب عن ذلك من وجوه:

الأول: أن كون المادة من حيث هي لا تتصف بحسن ولا قبح غير صحيح، لأن المادة شيء مخلوق لله تعالى جل وعلا بالضرورة، وحينئذ فإما أن يكون تعالى قد خلقها على جهة الجبر والإلجاء والاضطرار، أو على جهة الاختيار. وعلى الأول فهو باطل بالضرورة، لأن الله تعالى مختار، وأن المختار لا بد أن يكون مختار.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

(٢) بصائر الدرجات: ١٠٠، بحار الأنوار: ٧٥/٦٤.

إِمَّا إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَخْتَارٌ، بِمَعْنَى: إِنْ شَاءَ فَعَلَ وَإِنْ شَاءَ لَمْ يَفْعَلْ، فَلِأَنَّهُ كَمَالٌ، وَالْإِضْطِرَارُ نَقْصٌ، يُنَزَّهُ عَنْهُ الْوَاجِبُ الْحَقُّ - تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا -.

وَأَيْضًا: أَنَّهُ تَعَالَى لَوْ فُرِضَ مُضْطَرًّا، فَهَذَا الْإِضْطِرَارُ إِمَّا مِنْ حَيْثُ ذَاتِهِ، فَيُلْزَمُ قَدَمُ الْأَشْيَاءِ وَاقْتِرَانُهَا بِهِ، وَيُلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ حَدُوثُهُ، وَأَنَّ لَا فَضْلَ لَهُ، وَلَا سُلْطَنَةَ لَهُ عَلَيْهَا، وَعَجْزُهُ أَيْضًا؛ لِأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى التَّرْكِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَفَاسِدِ.

وَبِذَلِكَ يَبْطُلُ مَا تَوَهَّمَهُ الْبَعْضُ، مِنْ أَنَّهُ لَيْسَ لِلْحَقِّ تَعَالَى إِلَّا وَجْهٌ وَاحِدٌ، فَلَيْسَ لَهُ إِنْ شَاءَ فَعَلَ وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ، بَلِ الْآيَاتُ وَالرَّوَايَاتُ تَنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهَا بِاخْتِيَارِهِ، سَبْحَانَ مَنْ: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^(١)، مَعَ مَا نَرَى مِنْ تَخْصِيصِ بَعْضِ الْحَوَادِثِ بِبَعْضِ الْأَوْقَاتِ، وَبَعْضِهَا بِأَوْقَاتٍ أُخْرَى، وَكَيْفَ يَجْتَمِعُ هَذَا مَعَ الْإِضْطِرَارِ؟.

وَأَمَّا أَنَّ الْحَوَادِثَ مَخْتَارَةَ فِي وُجُودِهَا، مَوَادِّهَا وَصُورِهَا؛

(١) سورة الرحمن، الآية: ٢٩.

فلأنها أثمر فعل المختار، والأثر يشابه صفة مؤثره؛ ولأنَّ اختيارها أكمل من اضطرارها، وفعل الحكيم القادر يجري على أكمل ما ينبغي، وشعورها واختيارها مقارنان لوجودها مع ما نرى من اختلاف الأشياء في حقائقها، وقوتها وضعفها، وصفائها وكدورتها، وغير ذلك من الاختلافات، فلو لم تكن مختارة للزم الترجيح من غير مرجح، ونسبة فعل الله تعالى إليها على حد سواء: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾^(١)، وليس ذلك إلا من اختلاف قوابلها واختيارها.

[حقيقة الشيء مادته لا صورته]:

الثاني: إنَّ كونها هي محلّ الحكم غير صحيح، كما ترى أنّ المملوك والطاهر هو ذات الحيوان وذات الملح لا صورتها، والحلال هو الذات.

نعم. الصورة عنوانٌ ودليلٌ على ذي الصورة، فهي علامة على حلية المادة وطهارتها، وقبولها للملكية، إذ الشيء حقيقته

(١) سورة الكهف، الآية: ٤٩.

بمادته لا بصورته، لا كما توهمه البعض؛ لما يلزم من المفسد الاعتقادية الموجبة للكفر.

[اختلاف الأشياء]:

وأما الآية الشريفة: فالأمة واحدة من حيث الصدور من فعل الله تعالى، وهو واحد، نسبه إلى الأشياء على حد سواء، وإنما اختلفت الأشياء باختلاف قوابلها في الشرع الوجودي، هو الذي: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾^(١)
كَقَطْرِ الْمَاءِ فِي الْأَصْدَافِ ذُرًّا

وَفِي بَطْنِ الْأَفَاعِي صَارَ سُمًّا^(٢)

وكالبذر في الأرض، وهو كما ترى يختلف سبقاً وتأخراً، وقوة وضعفاً، وصغراً وكبراً، وصحة وفساداً، مع أنّ البذر واحد، والباذر واحد، وفعل الباذر واحد، فاختلف الحال من النباتات باختلاف المحل: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ

(١) سورة الرعد، الآية: ١٧.

(٢) من شعر أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام: ١١٠.

تَبَاتًا^(٢).

[ثبوت السلسلة الطولية في التشريع والتكوين]:

الثالث: إن الاستدلال على السلسلة الطولية^(١) في خصوص التشريع بقوله ﷺ: «إن الله خلق المؤمنين من نوره»^(٢) غير صحيح؛ لأنهم ﷺ قالوا: «إن شيعتنا منّا خلقوا من فاضل طينتنا»^(٣)، وقالوا ﷺ: «إن الله تعالى خلقنا من طينة مكنونة مخزونة تحت العرش، لم يجعل لأحد من الذي خلقنا نصيباً، ثم خلق شيعتنا من طينة وراء ذلك»؛ وقال ﷺ: «أول ما خلق نوري، ثم بقي ما شاء الله، ثم نظر إليه بعين الهيبة، فغرق، فخلق من كل قطرة روح نبي من الأنبياء»؛ نقلته

(٢) سورة نوح، الآية: ١٧.

(١) السلسلة الطولية: هي مراتب الموجودات في العلية والمعلوية. ومعنى ذلك: إن السافل شعاع العالي، كالشعاع للسراج. جوامع الكلم (ط. حجري): ٤٠٨/٢، جواب ميرزا محمد علي.

(٢) فضائل الشيعة: ٢٦.

(٣) مشارق أنوار اليقين: ٣٧٠، بحار الأنوار: ٣٠٣/٥٣.

بالمعنى، وهذا كما ترى صريحٌ في أن السلسلة الطولية في التكوين أيضاً.

فإن فُرِضَ وجه توهمٍ في الأول، فالروايات الثلاث الأخر تفسره، مع أنه إذا ثبتت السلسلة الطولية بذلك الخبر في التشريع ثبتت في التكوين بحكم: «مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ»^(١)، ولأنَّ الْجَمَالَ إذا كان له جمالٌ ولجماله جمال، وهكذا إلى المراتب الثمان في التكوين أيضاً، كما في التشريع كان أكمل، ولا يترك الله تعالى فعل الأكمل ويفعل الناقص، مع أنَّ التشريع مع روح التكوين وهو ظاهر، والظاهر تابعٌ للباطن، ولذا كان دليلاً عليه إذ كان غائباً.

[المشابهة والمجانسة بين الشعاع والنور]:

التنبيه الثاني: إنَّ المراد بكون الشيعة من الشعاع وغيرهم من عكسه على اختلاف المراتب، واختلاف أهل المرتبة

(١) سورة الملك، الآية: ٣.

الواحدة في القوة والضعف على جهة النوعية، فلا ينافيه انقلاب من هو من الشيعة إلى العكس، وانقلاب من هو من عكس الشعاع إلى الشعاع بسبب...^(٢) الأعمال، فإنه بها يحصل الكسر والصوغ بحكم: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾^(٣)، ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾^(٤)، فإن اعتقاد الوحدانية لله تعالى يوجب حسن الصورة الظاهرية على حسب ذلك المعتقد، فإن انضم إليه اعتقاد النبوة والولاية، وموالاته من وإلى محمداً وأهل بيته، كان حسناً باطنياً، ومستقيماً في الباطن، والظاهر معتدلاً، وهذا يختلف أيضاً باختلاف الاعتقاد قوةً وضعفاً، وقراراً وتزلزلاً، وكذلك يختلف أيضاً بحسب أعمال الجوارح.

والحاصل: أنه إذا كان الشخص مصداق قول أمير المؤمنين عليه السلام: «خَلِقَ الْإِنْسَانَ ذَا نَفْسٍ نَّاطِقَةٍ، إِنْ زَكَاهَا بِالْعِلْمِ

(٢) كلمة غير واضحة القراءة في المخطوط.

(٣) سورة ق، الآية: ١٥.

(٤) سورة النمل، الآية: ٨٨.

والعمل فقد شابته جواهر أوائل عللها، وإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد؛ كان إنساناً بما هو إنسان.

والحاصل: إن الناس مختلفون في شدة الصفاء والخلوص من الظلمة، فكلما قرب من المنير كان أشد صفاءً وخصوصاً وضياءً كحقائق الأنبياء عليهم السلام، وهكذا مترتباً إلى الإنس وما بعدهما من بقية المراتب ^(١).

(١) ذكر ترتيبها العلامة الشيخ أحمد الأحسائي في الفائدة الرابعة عشر في (شرح الفوائد: ٥٢/٣)، على النحو التالي: (فخلق من صفوته نور محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، ثم خلق من صفوة الباقي أنوار الأنبياء عليهم السلام، ثم خلق من صفوة الباقي أنوار المؤمنين من الإنس، ثم المؤمنين من الجن، ثم الملائكة، ثم الحيوانات، ثم النباتات، ثم المعادن، ثم الجمادات).

وذكر الميرزا موسى الأسكوئي في كتابه: (إحقاق الحق: ٢٧٤): (ولا توجد شراكة في المراتب الثمانية، وعدم اتحادها في الطينة، وعدم وجود للمرتبة السافلة في مقام المرتبة العالية، ولا ربط بينهما إلا بالعلية والمعلولية، يعني: شعاع العالية علة ماديسة للمرتبة السافلة، وهي أنزل من العالية بسبعين مرتبة، كما هو شأن المعلول بالنسبة إلى علته، والنور إلى منيره، والأثر إلى مؤثره، ويُسمى هذا عند الشيخ الأوحد « السلسلة الطولية »، يعني كل مرتبة في طول الأخرى لا في عرضها، كما ذكر الحكماء، وشعاع العسالي علة للسافل، ولا يلزم من القول به عيب ولا إشكال بوجه).

وإن قدر لك وجه اشتباه في أنّ المادة تنقلب بمعالجة الأعمال، فانظر إلى الرمل كيف يكون زجاجاً، وإلى الزجاج كيف يكون بلوراً، وإلى النطفة كيف تكون علقة، وهي كيف تكون مضغة، وهي كيف تكون عظماً، وإلى الكلب النجس إذا مات كيف يكون ملحاً، وإلى ثمرة النخل في حالاته من بدئه إلى أن يكون رطباً وتمرّاً، وغير ذلك من الآيات الآفاقية الدالة على حكم المواد الغيبية.

وبالجملة: فكما أن القرآن التدويني فيه المُحكّم والمتشابه، والحقيقة والمجاز، والكناية والاستعارة، والناسخ والمنسوخ، والمجمل والمبين، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، فكذلك في القرآن التكويني، فالمحكّم الأول الحقيقي فيه هو محمدٌ وآله عليهم السلام، والمحكّم الحقيقي الثاني هو الأنبياء عليهم السلام وهكذا.

والإنسان المجازي المتشابه هم كبار المنافقين، ﴿فَأَمَّا

الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ﴿١﴾ .

والمسوخ: هو المواد المنقلبة إلى مادةٍ أخرى.

والناسخ: هو المادة الثانية.

ولا ينافي ما ذكرنا ما في قول الشاعر:

كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ مَعْنَى كُلِّ شَيْءٍ فَتَفْطِنُ وَاصْرِفِ الذَّهْنَ إِلَيَّ

كثرةٌ لا تنهاى [عددًا] ^(٢) قد طوتها وحدة الواحد طي

فإنه من الحكمة، ولكن بنظرٍ آخرٍ غير ما قررنا.

[صحة إطلاق العلة الصورية على آل محمد]:

الثالث: كونهم عليهم السلام علة صورية، وبيان ذلك.

يعلم ممّا قررنا في بيان كونهم عليهم السلام علة مادية، قالوا

عليهم السلام: «إن الله خلق المؤمنين من نوره، وصبغهم في رحمته،

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٢) في المخطوط: أبدا، وما أثبتناه من الرسالة التبوية للشيخ الأحسائي.

[وأخذ ميثاقهم لنا بالولاية،] والمؤمن^(٣) أخو المؤمن لأبيه وأمه؛ أبوه النور وأمه الرحمة؛^(١)، وقال رسول الله ﷺ: «أنا وعلي أبو هذه الأمة»؛^(٢)، وقال الله تعالى: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾^(٣)، فإنها بدلاله الإشارة، قد اتخذ الهادين أعضاءاً لخلقه في العلة المادية كما تقدم، وفي العلة الصورية أيضاً.

[معنى كتابة أسماء آل محمد على صفحات الوجود]؛

وفي زيارة أمير المؤمنين ﷺ: «السلام عليك يا من كتب اسمه في السماء على السرادقات»؛^(٤) وفي دعاء الحجة

^(٣) في المخطوط: فالؤمن.

^(١) بصائر الدرجات: ١٠٠.

^(٢) علل الشرائع: ١/١٥٤، عيون أخبار الرضا: ١/٩١، معاني الأخبار: ٥٢، مناقب آل أبي طالب: ٣/١٢٦، مشارق أنوار اليقين: ٤٣.

^(٣) سورة الكهف، الآية: ٥١.

^(٤) مقطع من زيارة أمير المؤمنين ﷺ، زاره بها الإمام الصادق ﷺ يوم السابع عشر من شهر ربيع الأول، وهو يوم مولد النبي ﷺ، وذكر الشهيد الأول في المزار أن هذه الزيارة مختصة بليلة ٢٧ رجب. المزار للمشهدي: ٢٠٨، إقبال الأعمال: ٣/١٣٢، المزار للشهيد الأول: ٩٣، بحار الأنوار: ٩٧/٣٧٤.

ﷺ في شهر رجب: «أَعْضَادٌ وَأَشْهَادٌ»^(٥)، وقال أمير المؤمنين
في حديث السحابة المنقول عن سلمان الفارسي، أنه ﷺ قال
فيه: «وبأسمائنا التي كُتبت على الليل فأظلم، وعلى النهار
فأضاء واستنار»^(١)، وفيه أيضاً «أسماؤنا مكتوبة على السماوات
فأقامت، وعلى الأرض فانسطحت، وعلى الرياح فذرت،
وعلى البرق فلمع، وعلى النور فسطع وعلى الرعد فخشع»^(٢)،

^(٥) مما خرج على يد الشيخ الكبير أبي جعفر محمد بن عثمان بن سعيد ؓ من الناحية
المقدسة. مصباح المتجهد: ٨٠٣، مصباح الكفعمي: ٦٧٥.

^(١) في باب الدعاء في حفظ القرآن من كتاب الدعاء الوارد في (أصول الكافي):
٦٢٠/٢) من دعاء طويل مروى عن أبي عبد الله ﷺ، أوله: «اللهم إِنِّي أَسْأَلُكَ وَلَمْ
يَسْأَلِ الْعِبَادُ مِثْلَكَ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ نَبِيِّكَ وَرَسُولِكَ؛ إِلَى أَنْ يَقُولَ: «وَأَسْأَلُكَ
بِاسْمِكَ الَّذِي وَضَعْتَهُ عَلَى اللَّيْلِ فَأَظْلَمَ وَبِاسْمِكَ الَّذِي وَضَعْتَهُ عَلَى النَّهَارِ فَاسْتَنَارَ».
^(٢) في (مشارك انوار اليقين: ٣٠٣) خطبة أمير المؤمنين تعرف بـ (الخطبة النورانية)،
مروية عن سلمان وأبو ذر، عن أمير المؤمنين ﷺ، منها هذا الجزء من الخطبة: «أنا
الذي | كتب اسمي على العرش فاستقرّ، وعلى السماوات فقامت، وعلى الأرض
فرست، وعلى الريح فذرت، وعلى البرق فلمع، وعلى الوادي فهمع، وعلى النور
فسطع، وعلى السحاب فدمع، وعلى الرعد فخشع، وعلى الليل فدجى وأظلم، وعلى
النهار فأنار وتبسم».

وقد ورد عنهم عليه السلام: «إِنَّ وَلَايْتَنَا عُرِضَتْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَمَنْ قَبَلَهَا زَكَ وَطَابَ، وَمَنْ أَنْكَرَهَا خَبِتَ وَخَابَ»؛ أولئك ﴿طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾^(٣)، ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٤) وغير ذلك كثير في رواياتهم، تركنا ذكره حذراً من التطويل.

إذا عرفت ذلك. فاعلم: أن أسماءهم المكتوبة على الأشياء هي أشباح أشباحهم، وصور أمثالهم، لا المراد بها كتابة الألفاظ الاسمية كلفظ محمد عليه السلام وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

[أسرار ومراتب أهل البيت المودعة في سفينة نوح]:

كما يرشد إلى ذلك ما ورد في شأن سفينة نوح عليه السلام: أن جبرائيل عليه السلام أتى إليه بمئة مسمار، وتسعة وعشرين مسماراً، مئة وأربعة وعشرون على عدد ألوف الأنبياء عليهم السلام باعتبار

(٣) سورة النساء، الآية: ١٥٥.

(٤) سورة المطففين، الآية: ١٤.

التصنيف، بأن يكون كل صنف من الأنبياء ﷺ له اسم مسمار، والخمسة المسامير الباقية بأسماء أهل العباء الخمسة ﷺ.

وهنا معان مطوية في هذا الحديث الشريف:
أحدها: كيف كان المسمار الواحد اسماً لألف من الأنبياء ﷺ، ولكل واحدٍ من أهل العباء ﷺ مسمار واحد؟

الثاني: كيف صارَ المقابل للواحد من أهل العباء ألفاً من الأنبياء ﷺ من غير زيادة ولا نقصان؟

الثالث: أنه كيف سمرت مسامير أهل العباء ﷺ في مقدّم السفينة، ومسامير الأنبياء ﷺ وراءهم إلى مؤخرها؟

والجواب عن السؤال الأول: إنّ الذي يختلج ببالي على ما أفهم - والله أعلم - إنّ الواحد من أهل العباء يزيد على الواحد من الأنبياء ﷺ بألف مرتبة، فيكون الواحد من أهل العباء ﷺ مساوياً لألفٍ من الأنبياء ﷺ.

والمرادُ من أهل العباء عليه السلام هو بشريتهم؛ لأنَّ لا نسبة بين ذواتهم وغيرهم حتى يفرق بينهم بأكثرية الرتبة وأقليتها. كيف وهم عليه السلام في مقام: «لا يطمع في إدراكه طامع»^(١)، فلو كان الفرق بين ذواتهم وبين غيرهم من الأنبياء بذلك لكان مقامهم عليه السلام مدركاً لنا، فضلاً عمَّن هو أعلى منَّا، مع أنَّ الواحد في رتبة الألف، غير أنه يزيد عليه بالكثرة، كما ترى أنَّ الواحد جزء [من] الألف، والألف عبارة عن مجموع الآحاد، ويشير إلى هذا أنَّ مسمار أهل العباء هو اسم الاسم، ومن ذلك تعرف الجواب عن الثاني، ولا يلزم منه تساوي الأنبياء عليه السلام في الدرَّجة.

وأما الثالث: وهو اختصاص مقدّم السفينة بمسامير أهل العباء عليه السلام فلأنَّ المقدّم هو أول ما يلاقي الأهوال، وشدائد الأمواج، وابتداء شقِّ الماء حين جريان السفينة، فناسبه من الأسماء أقواها وأشرفها وأسناها.

(١) الزيارة الجامعة الكبيرة.

ثم أنه هل المراد بالمقدّم هو الحسّي أو المعنوي الذي هو سكانها، أو الجميع وجوه، ولعلّ الأخير هو الأقرب، ولا ينافيه سَمَرُ المسامير الخمسة مرتين، وهذا الكلام كلّه جملة معترضة إلا موضع الاستشهاد.

[تصوير الشيعة بنور الولاية]:

ومنها: قولهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ «شيعتنا منا خلقوا من فاضل طينتنا، وعجنوا بنور ولايتنا، فإن العجن صريح في التصوير بنور الولاية، الذي هو الصبغ في الرحمة، كما في الحديث المتقدم، وكما في قوله تعالى: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ (لأوليائه، وشيعته) وَظَاهِرُهُ (أي: عكسه) مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ﴾^(١) لأعدائه، وهو التصوير بصورة الإنكار، فعلي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ هو باب ذلك السور كما فسرته بذلك الروايات عن الأئمة الهداة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كقوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى

(١) سورة الحديد، الآية: ١٣.

الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ^(١) إذ هو بمعنى الآية التي قبلها.

[صور الشيعة من صور هياكل وأشباح أهل البيت]:

والحاصل: إن الروايات والآيات القرآنية دالة على كون صورة الشيعة مثال صورة الأئمة عليهم السلام، وصور أشباحهم عليهم السلام، الذي هو الصبغ في الرحمة، ويدل على ذلك أيضاً ما كتبه الله تعالى في ألواح الآفاق، من أن المحب إذا خاطب حبيه بكلام حسن لطيف، ومنطق أديب طريف، وواجهه بوجه مسفر صبيح، وقلب مائل إليه ومقبل إليه، ومنعطف عليه، تظهر على ذلك الحبيب حالة فرح واستبشار ورحبة، وانتشار وسرور وابتهاج، قد امتلأت بذلك مشاعره، وبواطنه وظواهره، وكل ينال نصيبه من الكتاب، فيلبس من ذلك صورة ظهور ذلك المحب، ويتجلبب بجلباب تجليه له، ويستتير بإشراق نوره، وفاضل ظهوره، ولذلك ترى أن

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

الحكيم المطلق جلّ وعلا إذا أراد قبض روح أحدٍ، وكان من أهل الإيمان، أرسل إليه عزرائيل في صورةٍ حسنةٍ، وإن لم يكن من أهل الإيمان أرسله في صورةٍ هائلةٍ، وكما في مالك خازن النيران، ورضوان خازن الجنان.

فظهر كالشمس، وأبين من الأمس، أنّ محمداً ﷺ وأهل بيته عليهم السلام هم العلة الصورية لجميع من سواهم. أمّا شيعتهم فمن صور هياكلهم، ومثال صورهم، التي هي هياكل التوحيد بشروطه.

وتلك الهياكل هي صورة الولاية الحامل لها الولي المطلق، كما قال ﷺ: «أنا الذي ولايتي ولاية الله تعالى»، وقال ﷺ: «أنا صاحب الأزلية الأولى»^(١).

[صور المخالفين على عكس صور أهل الإيمان]:

وأما غير شيعتهم، فصورهم من عكس صور أهل

(١) مقطع من خطبة أمير المؤمنين عليه السلام تعرف بالخطبة التطنجية. مشارق أنوار السيقين:

الإيمان: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكَبِّاً عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٢)، فأهل الإيمان، أهل الاستقامة والاعتدال، وأهل الحُسن والجمال، وأهل التمام والكمال؛ لأنهم آخذون بحجزة أئمتهم، وهم آخذون بحجزة نبيهم ﷺ، وهو آخذ بحجزة الله تعالى، وعلى الأصول تبنى الفروع، والنور يتبع المنير.

وغير أهل الإيمان، أهل الانعكاس، وأهل الاعوجاج، وأهل النقصان، وأهل الظلمة والطغيان، ذوي الصور القبيحة، والأخلاق الذميمة، وغير ذلك من دواعي ظلمة الإنكار، لسؤال الملك الجبار: «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ وَمُحَمَّدٌ ﷺ نَبِيِّكُمْ؟ [وعلي أمامكم]؟ والأئمة الهادون ﷺ أئمتكم؟»^(١)، فإن الكل قد أجاب بالربوبية والنبوة - سبحانه من سجده له سواد الليل وضياء النهار - فالكافر والمنافق لما أجابوا بالربوبية والنبوة، ألبسهم الله تعالى صورة الاستقامة في الظاهر ﴿جَزَاءُ

^(٢) سورة الملك، الآية: ٢٢.

^(١) تفسير القمي: ٢٤٧/١، مختصر بصائر الدرجات: ١٦٧.

بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»^(٢)، وهي صورة الإنسانية.

وفي الباطن على ما يقتضيه إنكار الولاية: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾^(٣)، «يَا عَلِيُّ: مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي اللَّهِ وَلَا فِيَّ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفُوا فِيكَ»^(٤)، فصُوروا في الباطن بصورة الإنكار، وأخفاها الله تعالى في الدنيا لحكم وأسرار، بحكم تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾^(١)، ويظهر ذلك يوم تُكشَفُ السرائر، وتبدوا الضمائر، «يا من أظهر الجميل، وستر القبيح، يا من لم يكشف السريرة»^(٢) فالسريرة والقبيح والضمائر هو باطن الكافر، والمنافق من صورة الإنكار، ولذلك ورد عن أبواب مدينة

(٢) سورة السجدة، الآية: ١٧.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٤٩.

(٤) قال النبي ﷺ: «ما اختلفوا في الله ولا فيَّ، وإنما اختلفوا فيك، يا علي» مشارق

اليقين: ٢٥٢ و ٣٦٤.

(١) سورة طه، الآية: ١٥.

(٢) «يا من أظهر الجميل وستر القبيح! ولم يهتك الستر عني». أصول الكافي:

علم النبوة: «إنَّ الناس يوم القيامة يحشرون على صور شتى، منهم على صورة القرد، ومنهم على صورة العقرب... الخ»^(٣) ومنهم على صورة الإنسان، وهو من أجاب بالولاية، جازماً بها، عازماً على القيام بها وبحدودها وشرائطها، فإنه صورة الله تعالى إنساناً ظاهراً وباطناً.

فظهر من هذا البيان معنى كون محمد وآل محمد ﷺ علة صورية لجميع مَنْ سواهم.

(٣) عن البراء بن عازب قال: كان معاذ بن جبل جالساً قريباً من رسول الله ﷺ، في منزل أبي أيوب الأنصاري وسؤاله عن: «يَوْمٌ يُنْفَخُ فِيهِ الصُّورُ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا»، وقوله ﷺ: تحشر عشرة أصناف من أمي أشتاتا، قد ميزهم الله تعالى من المسلمين، وبدل صورهم، فبعضهم على صورة القردة، وهم: القتات، وبعضهم على صورة الخنازير، وهم: أهل السحت، وبعضهم منكسون أرجلهم من فوق ووجوههم من تحت، ثم يسحبون عليها، وهم: الأكلون الربا، وبعضهم عمى يترددون، وهم الجاثرون في الحكم، وبعضهم بكم لا يعقلون، وهم: المعجبون بأعمالهم، وبعضهم يمضغون ألسنتهم وهم: العلماء والقضاة الذين خالفت أعمالهم أقوالهم، وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم، وهم: السعاة بالناس إلى السلطان، وبعضهم أشد تننا من الجيف، وهم: الذين يتمتعون بالشهوات واللذات ويمنعون حق الله في أموالهم، وبعضهم يلبسون جبابا سابعة من قطران لازقة بجلودهم، وهم: أهل التحير والخيلاء.

تفسير مجمع البيان: ٢٤٢/١٠، بحار الأنوار: ٩٧/١٠٨.

[الإجماع على أن محمداً وآله

هم العلة الغائية للكائنات]:

الرابع: في بيان كونهم ﷺ علة غائية: وقد أجمعت الشيعة على ذلك، بل لعلّه من ضروريات المذهب، بل هو كذلك عند أهل البصيرة منهم^(١)، فضلاً عن علمائهم، وقد جاء في الحديث القدسي، خطاباً لنا ﷺ: «خلقتك لأجلي، وخلقتُ الخلق لأجلك»؛ وقال أمير المؤمنين ﷺ: «نحن صنائع ربنا، والخلق بعد صنائعنا»^(٢) على أحد الوجهين^(٣)، والروايات المتكثرة الدالة بمنطوقها على ذلك، مثل قولهم ﷺ: لولانا لما خلق الله كذا، ولولانا لما خلق الله كذا، بل هو معلوم في حقّ النبي ﷺ عند العامة، ومن المعلوم عندنا

(١) يقصد علماء العامة، ولمن راجع مثلاً المودة للقدوزي وغيره يجد هذا الأمر بيّن ظاهراً.

(٢) مقطع من توقيع صادر من الناحية المقدسة ﷺ. راجع: الاحتجاج: ٥٣٦/٢.

(٣) لعلّه - أعلى الله مقامه - يشير بأحد الوجهين إلى الرواية الأخرى: «نحن صنائع ربنا والخلق بعد صنائع لنا».

معاشر الإمامية مساواة أهل البيت عليهم السلام في غير الخصائص^(١)، وهذا ليس منها بالضرورة والإجماع.

والحاصل: أن هذه الجملة لا إشكال فيها عند الإمامية،

وإنما الإشكال في معنى كونهم عليهم السلام علة غائية.

ووجه الإشكال، أنّ المقرر عند العلماء في معنى العلة الغائية، وتفسيرها: بأنها المتقدمة في التصور والمتأخرة في الوجود عنه، ويمثلون لذلك في صنع السرير، فإن الصانع له لا بُدَّ أن يتصور قبل الصنع، غاية الصنع، لئلا يكون فعل العاقل عبثاً، والغاية هي الجلوس عليه، وهو متأخر عن صنعه كما ترى.

وهذا المعنى لا ينطبق على ما نحن فيه، الذي هو كون

الأئمة عليهم السلام علة غائية.

(١) قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «كل ما كان للرسول صلى الله عليه وآله فلنا مثله إلا النبوة

والأزواج؛ بحار الأنوار: ٣١٧/٢٦.

وقال الشيخ الصدوق قده في (الهداية: ٢٧): «إن كل فضل آتاه الله عز وجل لنبيه

فقد آتاه الإمام إلا النبوة؛.

أما بالنسبة إلى التَّصوُّر قبل الوجود؛ فلأنَّ ذلك مستحيلٌ على الله جلَّ وعلا؛ لأنَّ التَّصوُّر من لوازم ذي الجوف، وهو تعالى أحدٌ صمدٌ؛ ولأنَّ هذا التَّصوُّر إن كان حادثاً فيكون الله تعالى محلاً للحادث، ومعرضاً له، ومحلَّ الحادث وما يعرض عليه حادثٌ.

ثم ننقل الكلام إلى هذا التصور الحادث، ونقول: لا بد له من غاية، ولا بدَّ من تصورها قبل وجودها وهكذا، فيتسلسل أو يدور، مع أنَّ احتياج المخلوق إلى تصور غاية صنعه، قبل إيجاده لعجزه عن الإحاطة بالغاية، وعن معرفتها، وعن التمكن من قصدها وإرادتها بدون تصورها، ولا كذلك الواجب الحق، والقادر المطلق، فإنه ينزه عن ذلك، ويجلُّ عما هنالك، ولذلك قال عليه السلام: «إن الله جلَّ وعلا لا يفكر ولا يرى ولا تعرضه البدوات، وإنما إرادته أحداثه لا غير، يقول للشيء كن فيكون».

وإن كان التصور قديماً غير ذات الواجب، تعددت

القدماء، وأدلة التوحيد تبطله، كدليل الفرجة، ودليل التمانع،
ودليل التركيب، وغيرها.

[معنى سبق محمد وآل محمد الكون والمكان والزمان]:

وأما بالنسبة إلى الوجود، بمعنى كون وجود الغاية متأخراً، فهو غير صحيح، بل هو باطل، وزيدٌ مجتثٌ زائلٌ؛ لأنَّ وجود محمد وآل محمد عليهم السلام قد سبق الكون والمكان والزمان، فلهم السبق الذاتيُّ الإمكانى بجميع معانيه، كما هو معلومٌ عند الشيعة [من] علمائهم، وذوي البصيرة من عوامهم تبعاً لرواياتهم عليهم السلام وخطبهم.

وما يروى من التأخر الدنياوي فإنما هو لعرض بشريتهم المتولدة من أبي طالب وعبد الله عليهما السلام، فليست ذواتهم الشريفة هي العلة الغائية، ولا عرض بشريتهم، بل العلة الغائية في خلق المخلوقات ووجودها، هي ظهور سلطنتهم على مَنْ سواهم، وظهور مالكيتهم لمن سواهم، وظهور فضلهم وكرمهم وجودهم على غيرهم، كيف وهم «أولياء النعم»

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾^(١)، وهذا الظهور مساوقٌ لوجود الأشياء، غير متقدّم ولا متأخر ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢)، «كنت كنزاً مخفياً [فأحببت أن أعرف] فخلقت الخلق لكي أعرف»^(٣)، ومعرفة الله تعالى معرفتهم، انظر إلى الإشارة بصريح العبارة.

[العلة الغائية مساوقة لمعلولها]:

بل إذا نظرنا إلى الآيات الآفاقية، رأينا أنّ كلّ علةٍ غائيةٍ مساوقةٍ في الوجود لمعلولها، مثلاً: صنع النجار للسريّر، لو كان علته الغائية هي الجلوس عليه، كما زعم من زعم، فقد لا يحصل جلوس عليه أصلاً، بأن يحترق قبل الجلوس، أو يتكسر أو نحو ذلك، فتبطل الكلية المأخوذة عن مشكاة النبوة، وهي: أنّ كلّ موجودٍ لا بُدَّ له من العلل الأربع: الفاعلية

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٣) بحار الأنوار: ١٩٩/٨٤.

والمادية والصورية والغائية، بل إذا تتبعت الأشياء تجدها مثل صنع السرير، فإن الذي يُشترى عرصة^(١) لبنينها داراً، فقد لا تبنى أصلاً، أو يشتري داراً ليسكنها، فقد لا تسكن أصلاً، أو يتجر لأجل الربح أو لأجل القوت، فقد لا يحصل ربح بل تحصل الخسارة، ومنه ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾^(٢).

والحاصل: إنَّ القول بأن العلة الغائية هي المتأخرة في الوجود عن المعلول خالٍ عن التحقيق، وقد دخل قائله في المضيق، والكلية صحيحة لا راد لها، لكن العلة الغائية في صنع السرير صلوحه للجلوس عليه، وفي العرصة صلوحها للبناء، وللدار صلوحها للسكنى، والصلوح كما ترى مساوق لصنع السرير ولشراء العرصة ولشراء الدار، فظهر من هذا البيان معنى كون الأئمة عليهم السلام علة غائية لجميع الأشياء

(١) العرصة: كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء، والجمع العراض والعرصات.

الصحاح: ١٠٤٤/٣ فصل العين، تاج العروس: ٣٠٤/٩ مادة عرص.

(٢) سورة القصص، الآية: ٨.

بمجردها وماديا غير غيبها وشهادتها، جوهرها وعرضها، لأن الله تبارك وتعالى ملكاً محمداً وآل محمد ﷺ جميع ما حوته دائرة الإمكان من الجواهر والأعراض والأعيان في جميع العوالم والأكوان، قال الله تعالى في الحديث القدسي مخاطباً للنبي ﷺ: «خلقتك لأجلي، وخلقت الخلق لأجلك»؛
 والحاصل: إن استبعد عليك شيء مما ذكرناه أو لم نذكره مما أعطى الله تعالى محمداً وآل محمد ﷺ فقف عند قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَاداً لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾^(١)،
 ﴿فَتَلَقَى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾^(٢) ونحن الكلمات التي آدم قد تلقاها.

ومن ذلك تعرف أن العلة الغائية في خلق الله تعالى لهم

هي ظهور الواجب بهم لهم.

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٧.

أهل البيت عليهم السلام محل المشيئة الإلهية

[ما معنى الزيادة والمدد لآل محمد]:

قال سلمه الله تعالى: (وأنهم محل المشيئة، ومظهر الأفعال، والمدد من الله تعالى، يصل إليهم بلا انقطاع، ومنه يفيضون على جميع المخلوقات: «لولا [إننا] نزاد لنفد ما عندنا»^(١)، فهل هذا الازدياد والإمداد الذي ليس له نفاذ، ظهور أفعال ربّ العباد فيهم؟ بمعنى: أن فعلهم عين فعله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾^(٢)، ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾^(٣)، فما فعلوه عين فعله، وما قالوا عين قوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^(٤)، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٥).

أو أن أفعالهم جارية على ما يريد الله تعالى، إذ هم عبيده

(١) بصائر الدرجات: ٢٥٢، بحار الأنوار: ٢٧٠/١٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢٨.

(٣) سورة الكهف، الآية: ١٨.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ١٧.

(٥) سورة القصص، الآية: ٥٦.

الذين لا يجدهم حيث يكره، ولا يفقدهم حيث يحب، فهم
كغيرهم من عباده المخلصين، إلا أنهم أشدّ عباده وأقوى؟).
أقول: وهذه الجملة من العبارة تتضمن مسائل:

[أهل البيت عليهم السلام محل المشيئة]:

الأولى: كونهم عليهم السلام (محل المشيئة):

وهذا لا إشكال فيه، كما نطقت به أخبارهم وخطبهم
عليهم السلام، فليس لله تعالى مشيئة لا تتعلق بهم أو بواسطتهم، لا
لعجز في قدرة الله تعالى، أو [عجز في] مشيئته، أو لنقص
فيها، بل لعجز من سواهم ونقصه عن التأهل لذلك، وعن قبول
التعلق بدون وساطتهم عليهم السلام.

والقادر الحكيم، يجري أفعاله على مقتضى الحكمة، لا
على مقتضى القدرة.

أترى أن الحكيم الكريم، الجواد على العموم
والإطلاق، يضع إنعامه وكرمه وجوده في آنية لا تحفظه ولا

تناسبه؟

أترى أنه لو حضرَ أحدٌ ماءً واحداً من الأنهارِ الكبارِ في نهرٍ ضيقٍ لا يسعه ولا يتحمّله فتقلع بذلك أركانه، وتسيخ جوانبه، ويضيع ماؤه، فهل يكون هذا الفعل على مقتضى الحكمة؟ أو أنه فعلٌ سفهٍ وَعَبَثٍ - تعالى ربنا عن مثل ذلك علواً كبيراً - .

أو أن الحكمة وضعه^(١) في الأنهار الكبار الواسعة فيجري منها إلى الصغار، ولذلك قال تعالى في الحديث القدسي: «لم يسعني سمائي ولا أرضي^(٢)، ووسعني قلب عبدي المؤمن»^(٣)، ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(٤).

[العقل الكلي مظهر الأفعال]:

الثاني: قوله: (ومظهر الأفعال):

(١) أي: وضع الماء.

(٢) في المخطوط: لما وسعني أرضي ولا سمائي.

(٣) بحار الأنوار: ٣٩/٥٥.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

إن أراد التسامح في العبارة على وجهٍ ترجع هذه المسألة إلى المسألة الأولى فلا مزاحمة، وإلا فحقيقتهم عليهم السلام مظهر للظاهر بظهوره، فلا يُرى إلا الظاهر بظهوره، فإن المظهر هو الحاكي للظاهر الدال عليه، فلو رأيت أو التفت إلى المظهر أو إلى الفعل الذي ظهر به الظاهر لكان حجاباً وسد باب، فلا يكون المظهر عند الالتفات إليه دليلاً وحاكياً.

كما ترى أنه إذا ظهر لك زيد بالعود، لم تر إلا القاعد، فلو التفت إلى القعود وإلى قعد لم تر القاعد، فلا يكون القعود حينئذ مظهراً للقاعد؛ لأنَّ مقام الظهور «محو الموهوم» أو «جذب الأحدية لصفة التوحيد» بعد: «كشف سُبحات الجلال من غير إشارة»^(١)، فإذا ظهر الظاهر بظهوره غاب الظهور، وظهر وصف^(٢) الظاهرية، فإن الذات إذا ظهرت تغيب الصفات، كما ترى أنه لا يقال في مثال القاعد أن هناك

(١) هذه الفقرة وما قبلها والتي وقعت بين قوسين () من جواب أمير المؤمنين عليه السلام في

بيان معنى الحقيقة عندما سأله كميل بن زياد عن (ما الحقيقة).

(٢) في المخطوط: ووصف.

أموراً أربعة: ذات القاعد، وقَعَدَ، والقُعُود، ووصف القاعد، كما قال سيد الشهداء - رُوحِي لَهُ الْفِدَاءُ - : «إِلَهِي، أَمَرْتُ بِالرُّجُوعِ إِلَى الْآثَارِ، فَأَرْجِعْنِي إِلَيْكَ بِكِسْوَةِ الْأَنْوَارِ، وَهَدَايَةِ الْإِسْتَبْصَارِ، حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ مِنْهَا [كَمَا دَخَلْتَ إِلَيْكَ مِنْهَا]، مَصُونِ السَّرِّ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهَا»^(٣)، فالفقرة الأخيرة من كلامه صريحة فيما ذكرنا.

ومثله قول أمير المؤمنين عليه السلام: «تَجَلَّى لَهَا بِهَا، وَبِهَا ائْتَمَعَ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا حَاكَمَهَا»^(١).

والحاصل: إن مسألة الظهور هي المقامات والعلامات «التي لا تعطيل لها في كلِّ مكانٍ، يعرفك بها من عرفك، لا

(٣) مقطع من دعاء الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة. بحار الأنوار: ٢٢٦/٩٥.

(١) مقطع من خطبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من خطبة له في تزيه الله، ثم في صفة خلق بعض الحيوانات. نهج البلاغة لبعده: ١١٥ / ٢، الاحتجاج: ٤٨٠/١، بحار الأنوار: ٢٦١/٤.

فرق بينك وبينها، إلا أنهم عبادك وخلقتك... الخ»^(٢)، فهم في هذا المقام أعلى مقاماتهم في الإمكان، فإنه مقام الربوبية إذ لا مربوب، وكونهم محل المشيئة، مقام الربوبية إذ مربوب - وأين الثريا من يد المتناول؟-

فقوله سلمه الله: (مظهر الأفعال) ليس كذلك، وإنما مظهر الأفعال هو المفعول به أول الوجود المقيّد، الذي هو العقل الكلي.

[احتياج الممكنات لمدد وجوداً وبقاءً]:

الثالث: قوله: (والمدد من الله تعالى... إلى قوله: ما عندنا).

أقول: لا شك في ذلك ولا ريب فيه؛ لأنّ الحادث لا يستقلّ ولا يستغني عن الله تعالى طرفة عينٍ أو أقلّ منها، وإلاّ

(٢) مقطع من دعاء يقرأ كل يوم من أيام رجب، خارج من الناحية المقدسة. مصباح

المهجد: ٨٠٢، إقبال الأعمال: ٢١٤/٣، مصباح الكفعمي: ٥٢٩، بحار الأنوار:

لفنى واضمحل، ولم يك شيئاً، فهو دائماً وأبداً فقيراً محتاجٌ إلى القديم الغني القادر، الحكيم المطلق في البدء وفي البقاء، فهو محتاجٌ من جميع الجهات، فقيرٌ من جميع الجهات، لا يملك إلا ما مَلَكَه مولاه.

وليس حيث مَلَكَه خرج عن ملك المولى، إذ: هو المالك لِمَا ملكهم، والقادر على ما أقدرهم عليه؛^(١) فهو تعالى أعطاهم، وصرّفهم فيما أعطاهم، وهما معاً^(٢) في يده وفي قبضته، فهم ﷺ حادثون مربوبون في ذواتهم ﷺ وما أعطاهم.

والحادث كيف ما كان يحتاج إلى المدد الجديد، كما أنه محتاج في الابتداء، وإلا لكان غنياً بغير الله تعالى وكَوْ آناً مَا: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَكُنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾^(٣)، ﴿بَلْ هُمْ فِي

(١) التوحيد: ٣٦١، عيون أخبار الرضا: ١٣٢/٢، الاحتجاج: ٣٩٩/٢.

(٢) يعني: أهل البيت ﷺ وما ملكهم.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

كَبَسَ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ^(٤)، ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ^(١)﴾، ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ^(٢)﴾، فلولا المدد الجديد لفني الحادث وزال، وبه يحصل الانتقال من حالٍ إلى حالٍ في المبدأ والاستمرار.

فأنت قد أجرى الله تبارك وتعالى رزق عيالك على يدك، فلو لم يأتك رزقٌ جديدٌ من عند الله تعالى لنفد ما عندك بالإنفاق عليهم.

والنهر الكبير لو لم يأتَه المدد الجديد من عين ينبوع لنفد ما فيه إذا خرج إلى الأنهر الصغار.

[ظهور فعل الله تعالى فيهم ﷻ]:

الرابع: قوله: (فهل هذا الازدياد والإمداد الذي ليس له نفاذٌ، ظهور أفعال رب العباد فيهم، بمعنى: أن فعلهم عين فعله:

(٤) سورة ق، الآية: ١٥.

(١) سورة النمل، الآية: ٨٨.

(٢) سورة الملك، الآية: ٣.

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ...﴾^(٣) إلى آخره).

أقول: ظهور فعل الله تعالى فيهم ﷺ في النظر الظاهر البدوي، هو عين فعلهم، كما ترى في الحديد إذا أحرقت بالنار، فإنه في الخارج لا يُرى إلا فعلٌ واحدٌ وهو الإحراق، وليس إلا النار والحديدة، فيكون الفعل واحداً، والفاعل متعدداً.

وعلى التحقيق في النظر الدقيق غيران^(١)؛ لأنَّ ذات الواجب تعالى قديمةٌ أزليةٌ، وذاتهم ﷺ حادثةٌ إكانيةٌ، وفعل الواجب وإن كان حادثاً إلا أنه لا فصل بينه وبين الواجب تعالى ولا وصل، وفعلهم عليهم لا فصل بينهم ولا وصل، ولا فصل بينه وبين فعل الله تعالى بواسطتهم ﷺ. وفعل الله تعالى اسمه الذي^(٢) استقرَّ في ظلّه فلا يخرج منه إلى غيره، وفعلهم ﷺ ليس كذلك، مع أنه ليس في

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٢٨.

(١) بمعنى: مختلفان لا اتحاد بينهما.

(٢) في المخطوط: التي.

رتبة ذواتهم، فأين الفعل والفاعل فضلاً عن الذات، مع أنّ فعلهم عبدتهم، ومملوكهم الذي ملكهم إياه، وفعله تعالى ليس كذلك، وذواتهم ﷺ أثار فعل الله تعالى، وفعلهم أثارهم، وكيف يمكن أن يكون أثراً لأثر عين المؤثر؟ ﴿وَتَعِيَهَا أذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾^(٣)، ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(١) تعالى، ولعلّ ما في هذه الجملة من الإشارة غنى وكفاية.

والزيادة عليها: لعلّ من أسرارهم الذين أمرونا بكتمانها، وأنا أنبهك على شيء، لعلك تنال به بعض السرّ المكتوم وهو: أنه إذا كتبت بيدك قرآناً، أو قرأت القرآن الموجود بأيدينا اليوم، فلا شك ولا ريب أن ما كتبت قرآن نبينا ﷺ الذي أنزله الله تعالى عليه، وكونه قرآنه ضروري دين الإسلام، والمستخف به، أو من يهينه كافرٌ خارج عن دين الإسلام، فيحكم عليه بالارتداد مع العلم والعمد، ولا يجوز مسّه للمحدث بالحدث الأكبر، ولا قراءة عزائمهم، فترتب

(٣) سورة الحاقة، الآية: ١٢.

(١) سورة الإنسان، الآية: ٣٠.

عليه أحكامه التي جاءت بها الشريعة المحمدية ﷺ واجبها
ومستحبها.

ثم نقول: هل القرآن حينئذ هو الحروف التي هي مواد
الكلمات؟ أو الهيئة القائمة بالكلمات؟ أو مجموع المواد
والهيئات؟

وعلى الأول: فالمواد ليست إلا الصبغ المأخوذ من الزاج
والعفص^(٢) المسمى بالجرا، وغير ذلك.

وهذا كما ترى ملكك ومالك، لا فرق في أن تكتب
قرآناً أو غيره.

وعلى الثاني: فالهيئات أعراض قائمة بالمواد، وليست
بجسمٍ حتى يمكن تحريم لمسها للمحدث بالحدث الأكبر
ونحوه.

وعلى الثالث: وهو أنّ القرآن هو المركب من المواد

(٢) الزاج: ملح يصبغ به. والعفص: الذي يتخذ منه الخبز، مولد وليس من كلام أهل
البادية. الصحاح: ١٠٤٥/٣، تاج العروس: ٣٠٧/٩.

والهيئات، إنما يكون بعضه ليس بقرآن لا يكون كله قرآناً.
والحق: إن المجموع من المواد والهيئات قرآن، والمواد
لما لبست تلك الهيئات، انقلبت من حقيقتها الأولى إلى
حقيقته القرآنية؛ لأن الأحكام تجري على المواد بواسطة
الصور، فالصور واسطة في العروض لا في الثبوت، لكن قبل
الكتابة على تلك الهيئة ليس في ذلك القرطاس قرآن، وإنما
حدثت القرآنية بالكتابة على تلك الهيئة المذكورة.

وحيث، فهل هذه القرآنية الحادثة بكتابتك عين القرآنية
الحادثة بكتابة أمير المؤمنين بإملاء رسول الله ﷺ؟ أو مثلها
أو مثلها ولو بوسائط؟

لا سبيل إلى الأول؛ لأن العينية تبطل التعدد، وهو
ضروري، والمثلية تستلزم الاتحاد في الحقيقة النوعية، سواء
كانت الأفراد متواطئة أو مشككة فيها، كما في الحقيقة
النوعية للإنسان ونحوه، ما لم توجد أفرادها دفعةً واحدة،
لكن هذا يتم على تقدير اتحاد ذات الكاتب في الحقيقة
النوعية، سواء كان أمير المؤمنين ﷺ أو أنت، كما هو رأي

البعض، لكنه بمعزل عن التحقيق.

وحيث اختلفت حقيقة ذات الفاعل اختلفت حقيقة فعله، وحيث اختلفت حقيقة فعله اختلفت حقيقة مفعوله؛ لأن الأثر يشابه صفة المؤثر، والشيء لا يتجاوز ما وراء مبدئه.

[معنى نسبة الفعل إلى أهل البيت عليهم السلام]:

فإن اكتفيت بهذه الإشارة، وإلا فنقول لك: إنَّ كون فعل الله تعالى عين فعلهم عليهم السلام مستلزمٌ لوحدة الوجود؛ لأنه إمَّا أن يكون بمعنى اجتماع فعلهم وفعل الله تعالى في موضوعٍ واحدٍ.

وبعبارة أخرى: هما موجودان بوجودٍ واحدٍ، أو بمعنى التجوز في نسبة الفعل إلى الله تعالى، ونسبة الفعل إليهم حقيقة أو بالعكس، وهما موجودٌ واحدٌ بوجودٍ واحدٍ، وهو أيضاً عين وحدة الوجود، والمجازية في نسبة الفعل إلى الله تعالى كفرٌ وزندقةٌ، وإن كانت النسبة الحقيقية على غير ما تنسب أفعال الحوادث إليها؛ لأنَّ فعله قائمٌ به تعالى بلا كيفٍ

لذلك القيام، وحينئذ فنسبة الفعل إليهم ﷺ إما مجازاً أو حقيقة بعد تلك الحقيقة، فالعينية باطلة جزماً من غير شبهة ولا ريب.

فإن لم تكف بما ذكرنا في بطلان العينية، فارجع إلى كلام إمامك في إبطال مذهب ضرار^(١)، القائل بوحدة الموجود، وأن مشيئة الله تعالى مادة لجميع الأشياء^(٢).

[لزوم الواسطة في توصيل أثر فعل الفاعل]:

تنبيه:

إعلم أن إيصال أثر فعل الفاعل إلى المفعول لا بُدَّ أن يتوقف على واسطة، إمَّا لعجزٍ وقصورٍ في الفاعل، أو لقصورٍ وضعفٍ في قابلية المفعول عن تلقي أثر فعل الفاعل، وعن

(١) (ضرار بن عمرو القاضي، معتزلي جلد، له مقالات خبيثة... قال المروزي: قال أحمد بن حنبل: شهدتُ على ضرار عند سعيد بن عبد الرحمن القاضي فأمر بضرب عنقه، فهرب. وقيل إن يحيى بن خالد البرمكي أخفاه). ميزان الاعتدال: ٣٢٨/٢

(٢) يترتب على مذهب ضرار: أن مادة كل فرد منها حصّة من المشيئة، والحقيقة المحمدية فرد من أفرادها. وهذا خطأ صريح.

قبوله بدون الوساطة، أو لتنزه الفاعل وتكرمه، أو تجبره عن الإيصال من غير الوساطة، أو هو أيضاً مع الضعف والقصور في المفعول.

فالأول: كما في الصنایع، كالكتابة، والخياطة، والنجارة، وغيرها.

والوساطة: قد تكون متصلة بالفاعل، وقد تكون منفصلة، وقد تكون ظاهرية، وقد تكون باطنية.

والقاصرة: كما في التراب، فإنه غير قابل لأن يكون آنية للماء ونحوه، قبل أن يُصنع على هيئة الإناء ويحرق بالنار، وكذلك المعادن من الرصاص والنحاس ونحوهما.

والتكبر والتكرم، والتجبر والتنزه، كما في الأجلاء وأهل الرفعة، فإنهم يتنزهون ويتكرمون عن مباشرة الصنائع الذميمة، مع احتياجهم إليها.

والله جلّ وعلا هو المتنزه المتكرم، المتجبر المتكبر عن مباشرة الحوادث وما هم عليه، مع اضطرارهم واحتياجهم

إليه، وضعفهم وقصورهم عن تلقي مكارمه وإنعامه بغير
الواسطة، فَجَعَلَ أقوى عباده وأكملهم واسطة لإيصال مكارمه
وإنعامه وفيوضاته إلى أولئك العبيد الضعفاء الناقصين، بعد
تكميل نقصهم وتأهلهم للقبول بأولئك الأقوياء - سبحان من
لم يتخذ ولياً من الدل، وإنما اتخذه من العزّ - وهو معنى قول
أمير المؤمنين عليه السلام في شأن النبي صلى الله عليه وآله: «أقامه في سائر عالمه
في الأداء مقامه»^(١).

فلا يصح أن يقال: هو تعالى فاعل وهم فاعلون؛ لأنّه لا
يُرَى فيها نور إلا نوره، ولا يُسمع فيها إلا صوته، ولكن
لتوسّط فاعليتهم به بيننا وبينه، وأقربيتنا إليها، نرى أنهم فاعلون
فنحسبهم أيقاظاً، كما لو رأينا يداً ضربت فلاناً، ولم نرى ذي
اليد، فإننا نقول: إنّ اليد ضربت فلاناً، ونحو ذلك، كما لو
رأيت سيفاً يضرب فلاناً ولم ترى الضارب، فإنك تقول: إنّ
السيف ضرب فلاناً.

(١) مقطع من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام يوم الغدير. مصباح المتهدد: ٧٥٣، إقبال

وهذا معنى كون اليد والسيف إيقاظاً، فإذا التفت إلى أنَّ اليد والسيف لا يملكان لأنفسهما نفعاً ولا ضرراً من حيث هما، فكيف يضرّان أو ينفعان غيرهما، فلا نفع ولا ضرر إلاّ من ذي اليد وصاحب السيف، علمت أنهما راقدان، أي: ليسا متحركين بحركة نفعٍ أو إضرارٍ، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾^(٢)، وهو معنى أن فعل الله تعالى يجري فيهم بإذن الله في خلقٍ ورزقٍ، وموتٍ وحياةٍ، كما جرى الضرب من الضارب في اليد وفي السيف.

فإن شئت أن تقول: إنّ اليد والسيف محل فعل

الضارب.

وإن شئت أن تقول: إنّهما مظهر فعل الضارب.

أو تقول: إنّهما واسطتان بين فعل الضارب والمضروب.

أو تقول: إنّهما بابان لفعل الضارب في إيصال أثره إلى

المفعول.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ١٧.

وإن شئت أن تقول: فعل الضارب يجري فيهما إلى
المفعول، وغير ذلك من العبارات الحاكية لهذا المعنى:

عباراتنا شتّى وحُسنك واحدٌ

وكلٌّ إلى ذاك الجمال يشيرُ

وإنما لم نعبر بالإله كما في السيف ويدك؛ لأنَّ المعنى
الأولي مظهر العجز، يجلّ ويتعالى عنه الواجب الحقّ، والقادر
المطلق، بخلاف العبارات الأخرى، مثل: التعبير بكونهم ﷺ
يد الله، من حيث أنه تعالى بهم يعطي، وبهم يفيض من جوده
وكرمه وإنعامه.

ومثل كونهم ﷺ لسان الله المعبر عنه في بريته، من
حيث كونهم ﷺ ينطقون عن الله بالله.

ومثل كونهم ﷺ عينه، من حيث كون إحاطته
وعلمه بمن سواه بهم.

ومثل كونهم ﷺ باب الله تعالى إلى الخلائق،
من حيث أنه لا يصل إليهم من الله تعالى إلا بواسطتهم.

فراحتا الدهر من فضفاضِ جودهم

مملوءتان وما للفيض تعطيل^(١)

[آل محمد محل فعل الله تعالى]:

ثم أنه لو أخذنا بإطلاق عباراتكم أن: (فعلهم فعل الله تعالى) فيها من المفاصد ما لا يخفى.

ضرورة أن أكلهم ﷺ وشربهم ونومهم ونحوها من أفعالهم من حيث البشرية، ليست فعلاً لله تعالى، بل لا يتوهمه ذو مسكة، بل جميع أفعالهم من حيث المخلوقية كذلك، فلا بدّ من التقييد بأفعالهم من حيث كونهم محلّ فعل الله تعالى،

(١) ورد البيت في المخطوط على النحو التالي:

وفي هذا البيت إشارة: أنهم ﷺ واقفون على فوارة الفيض، وفيضه سبحانه لا نفاذ له ولا انقطاع.

وهو من شعر الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي - أعلى الله مقامه -، في القصيدة الثالثة. جوامع الكلم: ٢/٢٩٠ و ديوان الشيخ أحمد الأحسائي: ٧٦.

هذا البيت للشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي - أعلى الله مقامه - (القصيدة الثالثة). راجع: جوامع الكلم: ٢/٢٩٠، و ديوان الشيخ أحمد الأحسائي: ٧٦.

وعليه ينزل إطلاق العبارة.

[مناقشة المصنف لعبارة (وما قالوه عين قوله)]:

قوله: (وما قالوه عين قوله).

أقول: لاشك ولا ريب أنك قد قرأت قوله تعالى:

﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَهُ﴾^(١)، ورسول الله ﷺ قد قرأها مراراً،
وقرأتها [أنت] أيضاً مراراً.

فهل قراءتك عين قراءة رسول الله ﷺ، وقراءته

قراءتك؟ والعينية في أي مرة من تلك المرات.

وهل يمكن توارده العلتين التامتين للمعلول الواحد، أو

على جهة المثلية فتتحد الحقيقية، أو على جهة المثالية؟

وقد أجبته بالإشارة في صريح العبارة.

[جريان أفعال أهل البيت وفق إرادة الله]:

قوله: (أو أن أفعالهم ﷺ جارية على ما يريد الله

(١) سورة هود، الآية: ١١٢.

تعالى).

أقول: هذا في الجملة لا إشكال فيه، بل أفعالهم ﷺ وأفعال غيرهم لا تقع إلا على ما يريد الله تعالى بحكم: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(١)، و: «لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا [بهذه الخصال] السبع: بمشيئة وإرادة، وقدر وقضاء، وإذن وكتاب وأجل، فمن زعم أنه يقدر على نقض واحدة فقد كفر»^(٢)، وفي رواية: «نقض واحدة فقد أشرك»، والكفر والشرك صريحان في أنه لا يكون في ملك الله ما ليس لله، أو أن هناك ملكاً ليس لله تعالى.

نعم فرقاً في المشيئة بين مشيئة المحبة الذاتية الأصلية، ومشية الكراهة العرضية، ثم العبارة لا تخلو من قصور؛ لأنَّ مقابل عينية فعل الله تعالى لفعلهم عدم العينية، وهو التعدد والاختلاف.

(١) سورة الإنسان، الآية: ٣٠.

(٢) الرواية عن أبي عبدالله الصادق ﷺ. أصول الكافي: ٨٦/١، الخصال: ٣٥٩، بحار

[جريان آل محمد على مقتضى ما يريد الله] :

وأما جريان أفعالهم على مقتضى ما يريد الله تعالى، وعلى مقتضى محبته، فهو معنى كمال طاعتهم لله تعالى وانقيادهم له، وخلوص عبوديتهم في عباداتهم وفي مراتبهم، من بشريتهم إلى نهاية مبدئهم، «لا يسبقهم في ذلك سابق، ولا يلحقهم لاحق، ولا يطمع في إدراكهم طامع»^(١).

كيف ورسول الله ﷺ قد «انفردَ عن التَّشَاكُلِ وَالتَّمَانُلِ مِنْ أَبْنَاءِ الْجِنْسِ»^(٢)، وكذلك القوم الذين «علاهم الله بتعليته، وسما بهم إلى رتبته»^(١)، وهم أهل بيته الثلاثة عشر عليهم السلام، فالجري على ما يريك أعم من كونهم محالّ مشيئته، وألسنة إرادته.

(١) مأخوذ من قول الإمام الهادي عليه السلام في الزيارة الجامعة الكبيرة: «وَلَا يَسْبِقُهُ سَابِقٌ، وَلَا يَطْمَعُ فِي إِدْرَاكِهِ طَامِعٌ»

(٢) من خطبة أمير المؤمنين عليه السلام يوم الغدير في مدح النبي الأعظم عليه السلام. مصباح المتجهد: ٧٥٣، إقبال الأعمال: ٢/٢٥٥، مصباح الكفعمي: ٨٨٢.

(١) مأخوذ من خطبة لأمر المؤمنين عليه السلام يوم الغدير في مدح النبي الأعظم عليه السلام: «علاهم بتعليته، وسما بهم إلى رتبته». راجع المصادر السابقة.

وهو صحيح ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾^(٢)، وأين مقام المخلصين من مقامهم ﷺ؟

كيف والكليم ﷺ ألبس حلة الاصطفاء لما عهدوا منه الوفاء، والذي ظهر له على الجبل، نور رجل من شيعتهم، بمقدار سم الإبرة، فخرَّ موسى ﷺ صعقا^(٣)، ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ﴾^(٤)، ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَاسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَخْسِرُونَ. يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾^(٥)، وليس الفرق بينهم ﷺ وبين عباده المخلصين بالشدة والضعف؛ لأنه إنما يكون ذلك إذا اتحدت الحقيقة، وليس كذلك لما علم من أخبارهم ﷺ ودلائل الله تعالى من الآفاق عليهم.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٧.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَحَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾، سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٤) سورة الصافات، الآية: ٨٣.

(٥) سورة الأنبياء، الآيات: ١٩، ٢٠.

علم محمد وآله بالمدد الذي يزدادون به

قال سَلَّمَةُ اللهُ: (وهل أنهم ﷺ عالمون بالمدد الذي يزدادون منه؟).

أقول: إنَّ المدد الذي يتجدد قبل دخوله تحت حيطه (كن) فهم ﷺ لا يعلمونه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾^(١)، فعلم الله إمكاني وكوني. وعلمه الكوني يحيطون به؛ لأنه داخل تحت المشيئة، وهم ﷺ محلّها، فلذلك استثناءه تعالى من عدم الإحاطة، والأصل في الاستثناء الاتصال، وحمّله على الانقطاع تأويل مجازي لا يُعارُ إليه مع عدم القرينة، فلا يصح إرادة العلم الذاتي لما عرفت أنه خلاف الأصل.

مع أنه لو أريدَ علم الله تعالى، الذي هو ذاته؛ لكان مستلزماً للتجزئة والتبعيض، بقرينة من الداخلة عليه، وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾^(٢).

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) سورة يس، الآية: ١٢.

و (الشيء) إنما سمي شيئاً؛ لأنه مشاء بالمشيئة الكونية، وقبل ذلك لم يكن شيئاً.

و (الإحصاء) أمرٌ وجوديٌ كونيٌّ بالمشيئة الكونية، ومن ذلك تعرف مراد أمير المؤمنين عليه السلام من قوله عليه السلام: «لولا آية في كتاب الله تعالى، وهي قوله تعالى: ﴿يَمْنَحُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(١) لأخبرتكم بما كان وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة»^(٢).

وأما ما يتحدد لمراتبهم النازلة وقد دخل تحت المشيئة الكونية، فهم عليهم السلام يعلمونه قبل وصوله إلى تلك المرتبة، قال تعالى: ﴿أَنَا صَبَّبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعَنْبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَتَخْلًّا * وَحَدائقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾^(٣)، والأرض التي شقها الله تعالى هي قلب الإمام

(١) سورة الرعد، الآية: ٣٩.

(٢) «لولا آية في كتاب الله لأخبرتكم: بما كان، وبما يكون، وما هو كائن إلى يوم القيامة، وهي هذه الآية: ﴿يَمْنَحُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾؛

التوحيد: ٣٠٥، الاحتجاج: ٣٤٨/١.

(٣) سورة عبس، الآيات: ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١.

ﷺ، فصب الله تعالى فيها العلم صباً، فأول ما نبت فيها هو الحب لله تعالى ولأوليائه، وفي الحديث القدسي: «كذب من زعم أنه يحبني، فإذا جنه الليل نام عني، أرأيت محباً ينام عن محبوبه؛^(١)»، «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق لكي أعرف؛^(٢)»، فافهم الإشارة بصريح العبارة، وُبين ذلك في الجملة.

أن الحُب - بضم الحاء، من باب تفسير ظاهر الظاهر - الذي في قلب الإمام ﷺ له مراتب ومقامات في تنزيل الفؤاد:

مقام الفناء في الله: الذي هو عين البقاء، والنعيم الذي هو عين [العز]، والشقاء^(٣) الذي هو عين الذل.

(١) عن المفضل بن عمر، قال: سمعت مولاي الصادق ﷺ يقول: كان فيما ناجى الله عز وجل به موسى بن عمران ﷺ أن قال له: يا بن عمران، كذب من زعم أنه يحبني فإذا جنه الليل نام عني، أليس كل محب يحب خلوة حبيبه؟. أمالي الصدوق: ٤٣٨، وسائل الشيعة: ٧٨/٧، بحار الأنوار: ٣٢٩/١٣.

(٢) مشارق أنوار اليقين: ٣٩.

(٣) في المخطوط: والشقاء والعز.

ومقام كونهم ﷺ محل مشيئة الله تعالى: التي هي المحبة الأولية الحقيقية، وغير ذلك من مراتب الحب. ثمَّ بعده مقام العينية... إلى آخره، فهذه العلوم التي نبتت في قلب الإمام ﷺ الباطنية والظاهرية، والتأويلية الأصلية والفرعية، وكل يناله نصيبه من الكتاب، ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾^(٤) هي المتاع لمن قالها، فلهم ﷺ الأصل، ولغنمهم^(١) الفرع، وفرع الفرع وهكذا إلى آخر الوجودات.

^(٤) سورة الصفات، الآية: ١٦٤.

^(١) الغنم: رعاياه ﷺ وأنعامه، التي هي كناية عن أمته؛ لأن كل نبي راع لأمته، ومرب لهم، كما هو صريح قوله تعالى: ﴿هَسْؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: ٧٨]. وكل إمام راع لشيعته، ومرب لهم، كما هو صريح قول أبي عبدالله ﷺ لعبدالله بن زرارة: «يا عبدالله بن زرارة، إن راعيكم الذي استرعاه أمر غنمه، فهو أعرف بمصالح غنمه، إن شاء جمعها لتسلم، وإن شاء فرقها لتسلم». الرسالة الخراسانية في شرح من عرف نفسه فقد عرف ربه: ١٨٣.

حدوث المدد ونوعه

قوله سلمه الله تعالى: (ومن أي مادة هو، وهو محدث قطعاً، إذ هو فعل، ولا شيء من الفعل بقديم؟)

أقول: لا شك ولا ريب أنّ المدد حادثٌ، سواءً كان المدد لذواتهم أو لما هو لغيرهم.

[معنى مدد كل شيء بحسب نوعه]:

وأما هو^(١) من أيّ مادة؟ فمن الإمكان، الذي هو العمق الأكبر، الذي لا غاية له ولا نهاية، وهو خزائنه تعالى التي لا تفتنى، وعطاؤه منها هو العطاء المهنا، فهو تعالى يمد كل شيءٍ من الأشياء من نوعه، فيمد الوجود من نوع الوجود، ويمد الحياة من نوع الحياة، ويمد الرزق من نوع الرزق، ويمد الموت من نوع الموت، فالمددُ غضٌّ طريٌّ جديدٌ لا انقطاع له، ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾^(٢).

(١) في المخطوط: وأما هو أنه.

(٢) سورة ق، الآية: ٣٥.

[المدد مفعول الله تعالى]:

وأما قولك: (لا شيء من الفعل القديم) فهو كذلك،
ليس القديم الأزلي إلا الله جلّ وعلا. نعم الفعل قديم إمكاني.
وأما قولك: (أن المدد فعل) فليس كذلك؛ لأنّ المدد
مفعول الله تعالى، لا أنه هو الفعل؛ وإلا لزم وحدة الموجود،
وهو كفر كما عرفته سابقاً.

محمد وآله عليهم السلام أصل كل خير

قال سلمه الله: (ومن أي شيء يكون، إذا كانوا بإذن الله علة كل شيء من المحدثات، وأصل الخير والبركات، ولا شك أنه خير، فكيف الازدياد مما هم أصله، ولم يكن إلا بهم، إلا أن يقال أنهم أصل ثانوي).

أقول: لا منافاة بين كونهم بإذن الله علة كل شيء، وأصل الخير والبركات، وبين احتياجهم بإذن الله إلى المدد الجديد؛ لأنّ عليهم بإذن الله لجميع الأشياء، وكونهم بإذن الله الأصل في كل خير إنما هو بالله تعالى.

فكما أنّ الله تبارك وتعالى خلق الخلق في البدء بهم، فهو يمد الخلق بهم، وكما أنه رزق الخلائق في البدء بهم، فكذلك يمدهم في الرزق بهم، وهكذا الموت والحياة.

فالعين ينبوع أصل كل خير في ماء الأنهار، الكبار والصغار، وما يستقي منها من حيوان وإنسان، ونخيل وأشجار، وزروع ونبات، مع أنه لو لم يتجدد المدد الجديد للعين لفني

ماؤها واضمحلاً، فلا منافاة بين كونها أصل كل خير في السقي، وأنها محتاجة إلى المدد الجديد محمد وآل محمد ﷺ من حيث هم، ومن حيث أنفسهم، لا يملكون نفعاً ولا ضرراً، ولا خيراً ولا شراً، فملكوا بتمليك الله، ونفعوا بعطاء الله، ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(١).

انظر إلى النخلة ونموها، مما تولد منه المنافع، فإنها أصل خير وبركة، وما عندها أو تولد منها، ليس إلا من عطاء الله تعالى وكرمه وفيضه عليها، وغير ذلك مما تراه من آياته الآفاقية.

وإن كانت هي خيرات وبركات جزئية، لا كمحمد وآله ﷺ فإنهم ﷺ أصل الخيرات والبركات الكلية. وإن فرض لك وجه استبعاد لما ذكرناه، فانظر إلى بدء الوجود، فإنه خير محض، وهم ﷺ أصله ومعدنه، وليسوا أصلاً إلا بالله تعالى وبعطائه، فكذلك مدده على الدوام

(١) سورة ص، الآية: ٣٩.

والاستمرار، فهم أصله بالله وبعطائه.

[كيف يكون آل محمد أصل الخيرات والبركات]:

وأما قولك: (أنهم عليهم السلام أصل ثانوي)، فهو باعتبار أنهم عليهم السلام وما عندهم من الخير والبركات مما هو لهم، ولا يشار لهم فيه غيرهم، أو مما يصل إلى غيرهم بهم وبواسطتهم، أن ذلك كله أثر فعل الله تعالى، فهم بهذا الاعتبار أصل ثانوي لا بأس به، بل هو صحيح بهذا الاعتبار، ويكون الأصل الأولي للخيرات والبركات هو فعل الله تعالى.

وأما باعتبار أنهم الغاية المقصودة للمعرفة، وظهور الواجب تعالى بهم، وتجليه الأعظم بهم لهم، الذي كانوا بذلك مقامات الحق تعالى، وعلاماته «التي لا تعطيل لها في كل مكان»^(١)، فهو عليه السلام بهذا الاعتبار أعلى وأشرف ما في الإمكان، وأصل جميع الأكوان والأعيان، فهم بهذا الاعتبار

(١) مصباح المتعبد: ٨٠٣، إقبال الأعمال: ٢١٤/٣، مصباح الكفعمي: ٦٧٤.

الأصل الأول الذي لا أول له في الإمكان، ولا آخر له، كيف
وهم حينئذٍ أسماء الحقِّ تعالى، ومظاهره وصفاته وتجلياته.

بطلان القول بقدم الإرادة

قال سلمه الله تعالى: (وما الحلية في رفع الدور أو التسلسل الحاصل من القول بحدوث الإرادة؛ وما مثالة في أنفسنا غير النية)؟.

أقول: استدل القائل بقدوم الإرادة، بأنها لو كانت حادثة لاحتاجت إلى إرادةٍ أخرى تحدث بها ضرورة توقف وجود الحادث على إرادته، ثم ننقل الكلام إلى الإرادة الأخرى وهي حادثة، ثم نتوقف على إرادةٍ أخرى وهكذا، فإما أن يتسلسل أو يدور.

فلا بد في التخلص من هذين المحالين من القول بقدومها، ودليل استحالة تعدد القدماء، يعني كونها عين الذات. والجواب: أنه لا إشكال في بطلان كلمًا يستلزم الدور والتسلسل، إلا أنه لا يلزم ذلك فيما نحن فيه؛ فيحدث تعالى إرادته بنفسها لا بإرادةٍ أخرى، وذلك أنّ ذواتنا آيات ذاته في الآفاق، (وله المثل الأعلى) وأفعالنا آيات فعله، ومفعولنا آية مفعوله، ونرى وجداناً وعياناً أننا نُحدث (قام) الذي هو فعلنا

بنفسه لا بفعلٍ آخِرٍ، وكذلك غيره من أفعالنا، مثل: قَعَدَ، وَنَامَ، وَأَكَلَ، وَشَرَبَ، وَضَرَبَ وغير ذلك من الأفعال، ولا دور فيها ولا تسلسل، وتوقف أفعالنا على القصد إليها، كي ندخل بذلك في الأفعال العمدية لعجزنا، وعدم تمكننا عن دخولها في الأفعال العمدية بدون ذلك، بل ترى أنّ الناظر والسّاهي يُحرِّك بعض أعضائه، ويفعل بعض الأفعال من غير قصدٍ ولا شعورٍ، وأفعالهما تقع في الخارج، وليس إلاّ أنهما أوجدا تلك الأفعال بنفسها، والله جِلٌّ وعلا هو القادر المطلق لا يعجزه شيءٌ، وهو تنزه عن صفات المخلوقين ونقائصهم؛ من السّهو والغفلة، فهو تعالى يفعل الإرادة، ويوجدتها بنفسها، ويفعل فعله بنفس الفعل، ولذلك قالوا أئمتنا عليهم السلام: «خَلَقَ اللهُ الْأَشْيَاءَ بِالْمَشِيئَةِ، وَخَلَقَ الْمَشِيئَةَ بِنَفْسِهَا»^(١).

مضافاً إلى هذا: أنّ الإرادة لو كانت عين الذات لزم قدم العالم، ضرورة عدم تأخر المعلول عن علته التامة، وإن

(١) قال أبو عبد الله عليه السلام: «خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة». أصول الكافي: ٦٤/١، وباختلاف يسير في توحيد الصدوق: ٣٣٩، بحار الأنوار: ١٤٥/٤.

كانت الإرادة ناقصة فتكون ذات الواجب تعالى ناقصة.
 وحينئذ فما المتمم والمكمل لنقصها؟
 فإن كان المتمم والمكمل قديماً آخر، تعددت القدماء.
 وإن كان ذات الواجب الواحد، فهو يكمل ويتمم نقص
 نفسه، فتغيرت ذاته، ومتغير الذات حادث، وتامة الذات
 وكمالها مع نقص الإرادة التي هي عينها على هذا الفرض
 قعقة أفاظ بلا معانٍ، مع أنك ترى وجداناً وعياناً صحة سلب
 الإرادة عنه.

فنقول: ليس مريداً لخلق آدم في هذا الزمان، ومريداً
 لخلقه في زمانه، ومريداً لفعل هذا، وليس مريداً لفعل ذلك،
 ولذلك قالوا أئمتنا عليهم السلام: «أن المشيئة والإرادة من صفات
 الأفعال، فمن زعم إن الله لم يزل مريداً شائياً فليس
 بموحد؛^(١)، فالعينية ملزمة لما ذكرنا، وصحته مستلزم لسلب

(١) قال الإمام الرضا عليه السلام: «المشيئة والإرادة من صفات الأفعال، فمن زعم أن الله تعالى لم يزل مريداً شائياً فليس بموحد». التوحيد: ٣٣٨، مختصر بصائر الدرجات:

الذات عن نفسها، فلا مناص عن بطلان قدم الإرادة وبطلان
عينيتها، كما أنه لا مناص عن التزام حدوثها وخلقها بنفسها؛
لحكم البراهين العقلية والنقلية كما عرفت، وبطلان الدور
والتسلسل كما رأيت.

شرح:

(واسمك الذي استأثرت به في علم الغيب عندك)

[المراد من الاسم المستأثر به في علم الغيب]:

أقول: هذه المسألة تتضمن مسائل.

الأولى: في المراد من هذا الاسم.

فقول: يحتمل أن يكون هو الاسم الأعظم الذي لم يطلع عليه نبي ولا وصي نبي، كما ورد عن الصادق: «إن الاسم الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً، فعند نوح عليه السلام ثلاثة عشر حرفاً، وعند إبراهيم عليه السلام ثمانية عشر حرفاً، وعند موسى أربعة أحرف، وعند عيسى اثنان، وعند آدم عليه السلام خمسة وعشرون [حرفاً]، وعند محمد عليه السلام وأهل بيته اثنان وسبعون [حرفاً]، والواحد الباقي لا يعلمه إلا الله تعالى؛^(١)، فاستأثر الله

(١) عن رجل من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن عيسى بن مريم عليه السلام أعطي حرفين كان يعمل بهما، وأعطي موسى بن عمران أربعة أحرف، وأعطي إبراهيم ثمانية أحرف، وأعطي نوح خمسة عشر حرفاً، وأعطي آدم خمسة وعشرين حرفاً، وإن الله جمع ذلك كله لمحمد عليه السلام وأهل بيته، وإن اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً، أعطي الله محمداً عليه السلام اثنين وسبعين حرفاً وحجب عنه حرفاً واحداً». بصائر الدرجات: ٢٢٨، أصول الكافي: ٢٣٠/١.

به دون أنبيائه ورسله وملائكته.

ويحتمل: أن المراد بالاسم مراتب فعله، من المشيئة والإرادة، والقدر والقضاء والإمضاء، لَمَا ورد: «إِنَّ اللَّهَ [تَبَارَكَ وَ] تَعَالَى خَلَقَ اسْمًا بِالْحُرُوفِ»^(٢) غير مصوت، وباللفظ^(٣) غير منطوق... وفيه: فجعله كلمة تامة على أربعة أجزاء معاً^(٤)، [ليس منها واحد قبل آخر]، فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها، وحجب منها واحداً وهو الاسم المكنون المخزون... الخ^(٥)، فالثلاثة أظهرها لحاجة الخلق إليها في أمور معاشهم ومعادهم، ولا كذلك مراتب الفعل، وإن احتاجوا إلى الاعتقاد بها.

ويحتمل: أن المراد بالاسم الذي استأثر به، هي: المقامات التي لا تعطيل لها في كل مكان، والعلامات التي لا

(٢) في المخطوط: هو بالحروف.

(٣) في المخطوط: وبالحروف.

(٤) في المخطوط: ثم جعل أربعة أجزاء.

(٥) أصول الكافي: ١/١١٢، التوحيد: ١٩٠، بحار الأنوار: ٤/١٦٦.

فرق بينها وبينه في المعرفة، إِلَّا أَنَّهَا عِبَادُهُ وَخَلَقَهُ^(١)، «خلقتك لِنَفْسِي، وَخَلَقْتُ الْخَلْقَ لِأَجْلِكَ»، «ظَاهِرُكَ لِلْفَنَاءِ وَبَاطِنُكَ أَنَا»^(٢)، وهذه^(٣) الرتبة هي مقام التوحيد الخالص من جهات الخلق، وهي أعلا رتبة في الإمكان.

ويحتمل: أن يُراد بالاسم، هو حقيقة الشيء من ربه، فإنه جَلٌّ وَعَلَا خَلَقَهَا لَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ آيَةٌ لِمَعْرِفَتِهِ^(٤)، ودليلاً على وحدانيته، ولا تظهر تلك الحقيقة إِلَّا بِفَنَاءِ جَمِيعِ جِهَاتِ الْمَخْلُوقِيَّةِ، «يَا مُوسَى أَلْقِ نَفْسَكَ وَآتِ إِلَيَّ»، و﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ

(١) هذه العبارات مستفادة من دعاء شهر رجب الصادر من الناحية المقدسة: «وآياتك ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان، يعرفك بها من عرفك لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك؛ مصباح المتعبد: ٨٠٣، مصباح الكفعمي: ٦٧٥.

(٢) مشارق أنوار اليقين: ٣٥٠.

(٣) في المخطوط: هذا.

(٤) وقيل في ما يناسب عبارات المؤلف - أعلى الله مقامه -:

فَوَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَهُ أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَاهِدُ؟

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ

إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى^(١) ، فتد كدك الجبل، وخرَّ موسى صِعْقاً^(٢) .

[معنى الغيب] :

الثانية: في معنى الغيب.

وحينئذ نقول: إنَّ الغيب بالنسبة إلى الله تعالى مستحيل، فإنَّ جميع الأشياء عنده على حدِّ سواء، ليس هو أقرب إلى شيءٍ من شيءٍ، بل كل الأشياء حاضرة عنده في ملكه بالفعل، ليس عنده استقبالٌ ولا انتظارٌ، ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالٍ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ﴾^(٣) ، هذه دلالة كتابه التدويني.

(١) سورة طه، الآية: ١٢.

(٢) يشير المؤلف - أعلى الله مقامه - إلى الآية الشريفة: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي قَالَ لَنْ نَرَاكِ إِلَّا مِنْ وَجْهِكَ مُتَّجِئَةً وَتُحِيطُ بِمَا نَتَّحِقُ بِكَ وَلِمَا نَعْتَبُ بِكَ وَمَا أَصْبَحْتُمْ مِنَ الْجِبَلِ لِتُنْقَبَ بِكُنُوفُهُمْ مُتَّحِقِينَ﴾ سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٣) سورة يونس، الآية: ٦١.

وأما دلالة كتابه التكويني: فإنك ترى لو أنك صعدت على شاهق تبصر ما وراءك وما أمامك، وما عن يمينك وما عن شمالك، وقطار يمشي مستديراً عليه، فنسبة بصرك إلى كل واحد من ذلك القطار على حدٍ سواء، لست أقرب إلى واحدٍ من الآخر، مع أنّ القطار في نفسه يُرى تقدم بعضه على بعض، وتأخر بعضه عن بعض، وتوسط بعضه، وليس ذلك إلا أن العالي محيطٌ بالسافل.

والله جلّ وعلا هو فوق كلِّ فوق، عالٍ في دنوه، دانٍ في علوه، قريبٌ في بعده، بعيدٌ في قربه، فلو اختلفت الأشياء عنده بالغيبة والحضور لكان مختلف الحالات، ومختلف الحالات حادثٌ، ولو كانت عنده غيبة لكان جاهلاً، وهو نقصٌ، مع أنه لا يجتمع مع كون علمه عين ذاته^(١) ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ

(١) ذكر الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي (تعريف معنى الغيب) في فقرة (وارتضاكم لغيبه) من (شرح الزيارة الجامعة الكبيرة: ٣٦٢/١) : (المراد بالغيب: ما غاب عن الحسّ، فإذا قيل: غيب الله، يراد به ما غاب عن بعض خلقه، أو عن كلّهم لأنّ الله سبحانه لم يغب عنه غائبة، فلا يكون عنده غيب.

اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ^(١)، «أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ»^(٢)، فالغيب مقابل الشهادة، وهما إنما يكونان بالنسبة إلى علم الخلاق، ولكن قال تعالى: «عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْأَلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا»^(٣)، وعلي المرتضى من

وأما خلقه فلهم غيبٌ وشهادة، وقد يكون غيب في مكان عند بعض شهادة عند بعض آخر، وقد يكون غيب عند الكل.

فالأول: هو المراد هنا [يشير إلى عبارة "وارتضاكم لغيره"]، فالغيب الذي ارتضاهم له إنما الغيب عند غيرهم، وأما عندهم فشهادة فعلهم به علم إحاطة وعيان لا علم إخبار وان كان علم الأخبار أيضاً يصدق عليه الشهادة عند العالم به وإن كان غيباً عند من لا يعلمه.

والثاني: الغيب الذي هو عند كل الخلق، هو ما دخل في الإمكان وأحاطت به المشيئة، إلا أنه لم تعلق به تعلق التكوين، وهذا لا يتناهى ولا يتفد أبد الآبدين، وذلك هو خزائنه التي لا تفنى، ولا يتصور فيها نقص بكثرة الأنفاق، فهو عز وجل ينفق منها كيف يشاء...).

(١) سورة الملك، الآية: ١٣.

(٢) سورة الملك، الآية: ١٤.

(٣) سورة الجن، الآية: ٢٦، ٢٧.

الرسول^(٤). فافهم الإشارة من صريح العبارة.

[معنى العندية عند الله تبارك وتعالى]:

الثالثة: إضافة العندية إلى الله تبارك وتعالى، وهو كثيرٌ في القرآن والأدعية والروايات، قال تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾^(٥)، ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾^(٦)، ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ۗ قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي﴾^(٧)، ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾^(٨) والسلام على من يفهم الرمز، ويستخرج الكنز.

فلما اختلفت الأشياء في أنفسها بالقرب من الله تعالى

(٤) في تفسير الآية ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۗ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ [سورة الجن، الآيتان: ٢٦، ٢٧] (يعني علياً المرتضى من الرسول ﷺ وهو منه). تفسير القمي: ٣٨٨/٢، وتفسير فرات الكوفي: ٥١١.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ١٩.

(٦) سورة الحج، الآية: ٤٧.

(٧) سورة طه، الآية: ٥١، ٥٢.

(٨) سورة الزخرف، الآية: ٤.

والبعد، والأقربية والأبعدية عموماً في جميع الجهات، أو خصوصاً في بعضها، نسب جلّ وعلا الأقرب الكلّي إليه تعظيماً له وتشريفاً، كما نسب الكعبة المعظمة إليه فسمّاها بيته^(٢)، وكما نسب المساجد إليه فسمّاها بيوته^(٣)، مع أنها مخلوقاته، فكذلك نسب عنديّة بعض مخلوقاته إليه لمزية فيها دون غيرها، تشريفاً لها وتعظيماً.

وبالجملة: فأصل العندية حقيقة الحضور في مقابل الغيبة، وقد تستعمل أيضاً في الغائب، فيقال: فلان عنده مالٌ، وهو غائبٌ عنه، لقوة استيلائه عليه، فكان كالحاضر عنده.

وليس الحضور في العندية المضافة إلى الله تعالى في مقابل الغيبة، فإن جميع الأشياء حاضرة عنده في ملكه. وإنما معنى الحضور هنا الكناية عن مسارعة من عنده

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [سورة الحج، الآية: ٢٦].

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الجن، الآية: ١٨].

إلى ما يريد منه، فكُنِّي عن قبول ما يريد الله تعالى منه بلا توان ولا مهلة بالعندية، كما يقال: فلان عند أمر فلان، بمعنى المسارعة والقبول.

ولا تتوهم أنّ جميع الأشياء كذلك بحكم ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١)، فإن الأشياء مختلفة في القرب من خطاب ﴿كُنْ﴾، فبعضها يُخاطب بلا واسطة، وبعضها بواسطة المتقدم، وبعضها بوسائط، وذلك بحسب اختلاف القوابل في الصفاء والخلوص والنورانية وأضدادها ﴿وَلَا يَظَلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾^(٢)، ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾^(٣).

[معنى اليوم]:

وأما اليوم الذي عند ربك، وهو المسمّى باليوم الربوبي،

(١) سورة يس، الآية: ٨٢.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٤٩.

(٣) سورة الصفات، الآية: ١٦٤.

الذي كان ﴿مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾^(٤) لأن الزمان كغيره من المخلوقات، كلما قرب من المبدأ رِقّ ووصفاً، وكلما بعد غلظ وأظلم كما ترى أنّ يوم فلك القمر شهر من أيام فلك العرش، ويوم فلك الشمس سنة من أيام فلك العرش، فالיום الربوبي بمقدار ألف سنة من سنين العرش، فالיום الربوبي لقربه من المبدأ من حيث شدة الصفاء وشدة الرقة أضيفت عنديته إلى الله تعالى.

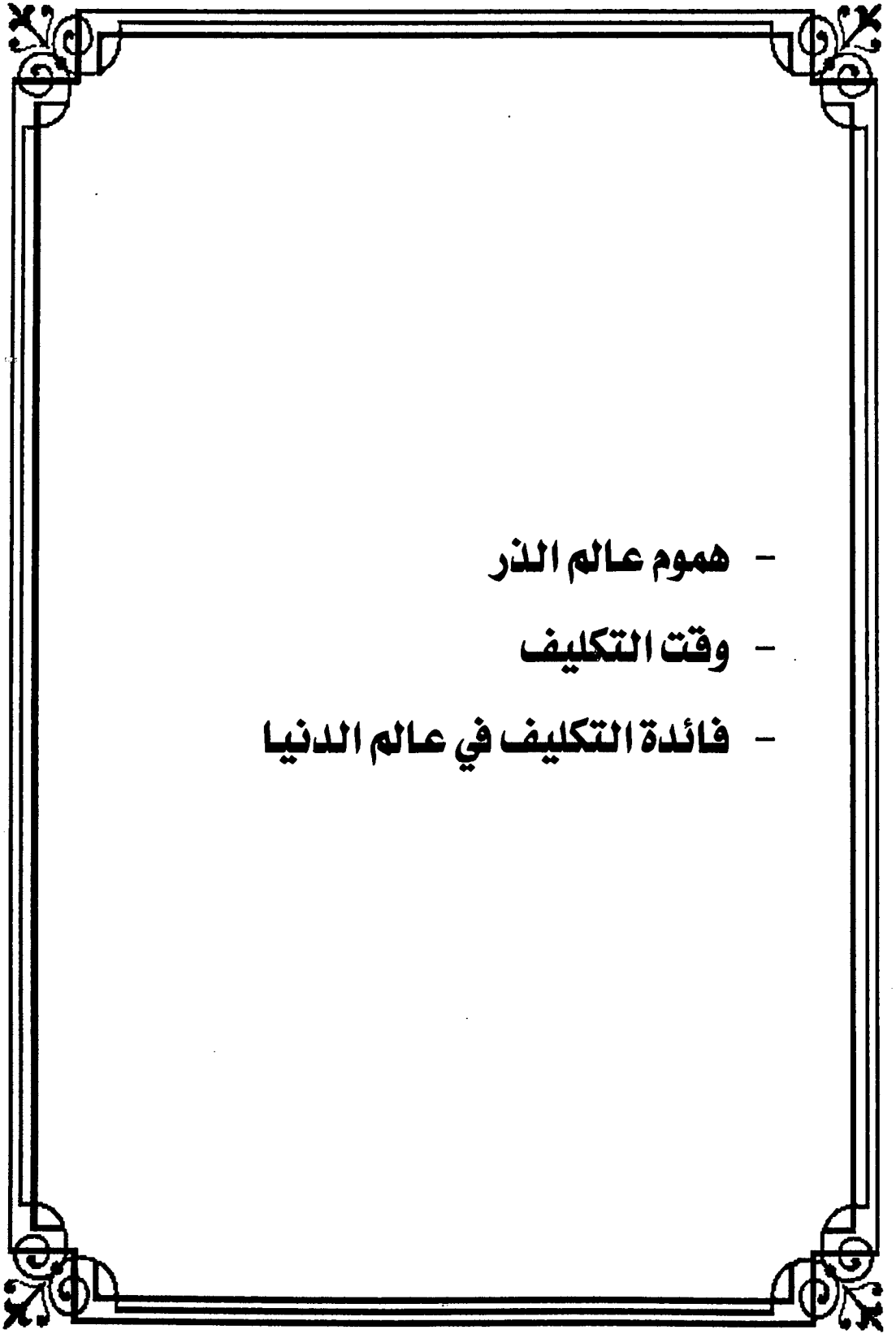
فاليوم: عبارة عن رجوع الجسم بالحركة إلى محل ابتدائه، فيكمل يوم العرش في أربعة وعشرين ساعة، ولا يكمل يوم الشمس إلا في اثني عشر شهراً من شهور فلك العرش، وكذلك يوم فلك القمر لا يكمل إلا في شهرٍ من شهور فلك العرش، فيوم العرش كسنة التي هي يوم فلك الشمس، ويومه كشهر الذي هو يوم فلك القمر، فالיום الربوبي كألف سنة في سرعة الحركة.

(٤) سورة السجدة، الآية: ٥.

ونظيره أنّ نبينا ﷺ سار من مكة المشرفة إلى بيت المقدس إلى مقام ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾^(١) في ثلث ليلة، فكما نقول: أنّ ثلث ليلة كآلاف سنين، فقل: أن يوماً كألف سنة، وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه ﷺ أسري به من مكة المشرفة إلى بيت المقدس من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى مسيرة شهر، وعرج به في ملكوت السماوات مسيرة خمسين ألف عام، في أقل من ثلث ليلة^(١)... الخ.

(١) سورة النجم، الآية: ٩.

(١) الاحتجاج: ٥٢١/١، باب احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على بعض اليهود من أحبارهم ممن قرأ الصحف والكتب في معجزات النبي عليه السلام وكثير من فضائله، وتفسير الأصفى للفيض الكاشاني: ١٣٥٠/٢، في تفسير الآية (٧٠) من سورة المعارج.

- 
- هموم عالم الذر
 - وقت التكليف
 - فائدة التكليف في عالم الدنيا

قال سلمه الله: (وما المراد من عالم الذر، ثم إن كان التكليف وقع هناك، فما الفائدة في التكليف هنا؟).

[إثبات وجود عالم الذر]:

أقول: لا إشكال في وجود عالم الذر في الجملة، وقد نطق به القرآن الشريف بوجوده في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾^(١)، ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾^(٢) ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾^(٣) الخ.

ومن الروايات ما ورد عن حمران، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «قال الله تعالى حيث خلق الخلق وفيه ثم قال

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٠١ و سورة يونس، الآية: ٧٤.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٧.

تعالى: ﴿ألسنت بربكم...﴾ الخ الآية، ثم أخذ الميثاق على النبيين، فقال: السنت بربكم، فإن هذا محمد رسول الله، وأن هذا علي أمير المؤمنين...»^(١) الخ.

وفي الدعاء بعد صلاة يوم الغدير ما يفصل ذلك، كما

(١) عن حمران، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «إن الله تبارك وتعالى حيث خلق الخلق خلق ماء عذبا وماء مالحا أججا، فامتزج الماءان، فأخذ طينا من أديم الأرض فحركة عركا شديدا، فقال لأصحاب اليمين وهم كالذر يدبون: إلى الجنة بسلام، وقال لأصحاب الشمال: إلى النار ولا أبالي، ثم قال: "ألست بربكم؟ قالوا: بلى شهدنا" ﴿أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾، ثم أخذ الميثاق على النبيين، فقال: ألسنت بربكم وأن هذا محمد رسولي، وأن هذا علي أمير المؤمنين؟ قالوا: بلى فثبت لهم النبوة وأخذ الميثاق على أولي العزم أني ربكم ومحمد رسولي وعلي أمير المؤمنين وأوصياؤه من بعده ولاة أمري وخزان علمي عليه السلام وأن المهدي أنتصر به لديني وأظهر به دولتي وانتقم به من أعدائي واعد به طوعا وكرها، قالوا: أقررنا يا رب وشهدنا، ولم يجحد آدم ولم يقر فثبتت العزيمة هؤلاء الخمسة في المهدي ولم يكن لآدم عزم على الإقرار به وهو قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَسِيٍّ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾، قال: إنما هو: فترك ثم أمر نارا فأججت، فقال لأصحاب الشمال: ادخلوها فهابوها، وقال لأصحاب اليمين: ادخلوها، فدخلوها، فكانت عليهم بردا وسلاما، فقال أصحاب الشمال: يا رب أقلنا، فقال: قد أقلتكم اذهبوا فادخلوها، فهابوها، فثبتت الطاعة والولاية والمعصية» أصول الكافي: ٣٣٣/٢.

عن عبدالرحمن الحذاء، عن أبي عبدالله عليه السلام ^(٢).
ونحوه من الروايات أيضاً.

[تعريف عالم الذر]:

وأما الذر فهو ما تراه في الكوة ^(١)، إذا دخلت فيها الشمس، وسُمِّي ذلك العالم بعالم الذر لسعته وعلوه، كما لو صعدت على شاهقٍ فإنك ترى من تحته، كالذر مع أنه في نفسه على ما هو عليه من الكبر والحجم، فكذلك من أخذ عليهم الميثاق في ذلك العالم هم على ما هم عليه في هذه

^(١) عن أبي عبدالله عليه السلام في الدعاء بعد صلاة الغدير: «ربنا أجبنا داعيك النذير المنذر محمداً عليه السلام عبدك ورسولك إلى علي بن أبي طالب عليه السلام الذي أنعمت عليه وجعلته مثلاً لبني إسرائيل، أنه أمير المؤمنين ومولاهم ووليهم إلى يوم القيامة يوم الدين فإنك قلت: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَلْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾» [سورة الزخرف، الآية: ٥٩]. تهذيب الأحكام: ١٤٤/٣، بحار الأنوار: ٣١٨/٣٥.

^(٢) الكوة بالفتح، ويضم، الخرق في الحائط ونحوه.

وفي (مختار الصحاح: ٣٠٠): ثقب البيت.

في الصحاح: جمع الكوة، بالفتح، كواء، بالمد، وكوى أيضاً مقصور، مثال بدرة وبدر، وجمع الكوة، بالضم، كوى. تاج العروس: ١٣٦/٢٠،

الدنيا من الحجم والكبر .

[وقت التكليف]:

وأما التكليف فهو: لا يفارق المخلوق من بدئه إلى منتهاه كما قال جلَّ وعلا ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢)، وقال تعالى [في الحديث القدسي]: «كنتُ كنزاً مخفياً فأحببتُ أن أعرف فخلقتُ الخلقَ لكي أعرف» فالعلة الغائية لا تُفارق معلولها.

ولا تتوهم أنَّ هذا ينافي ما ذكرنا سابقاً من أنَّ العلة الغائية لخلق الخلائق هي محمد وآل محمد ﷺ إن كنت تفهم؛ وذلك لأنَّ ظهور سلطتهم هو ظهور معرفة الله تعالى، فسلطتهم عين معرفته الله تعالى.

ثم إن معنى كون التكليف لا يفارق المخلوق، هو أن تكليفه في كلِّ عالمٍ بحسب ذلك العالم، وإنما خص عالم الذرِّ الأوَّل بعالم النفوس؛ لأنه تمام الإنسان الغيبي، وفيه

^(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

تفاصيل التكليف لما قبله من عالمي العقول والأرواح، كما أن الذر الثاني الذي هو عالم المواد أول عالم الشهادة.

والحاصل: أن التكليف في عالم العقول بما يراد من العقول في عالمها، والتكليف في عالم العقول للعقول بما يُراد منها فيما بعدها من العوالم، وهكذا عالم الأرواح، وعالم النفوس، وعالم الطبائع، وعالم المواد، وعالم المثال، وتجتمع كلها في عالم الشهادة.

أمَّا التَّكْلِيفُ بما يريدُه اللهُ تعالى في ذلك العالم فلا إشكال فيه.

وأمَّا التَّكْلِيفُ في ذلك العالم بما يُريدُه اللهُ تعالى فيما بعده، فقد يُتوهم عدم الفائدة فيه، وأنه من العبث الذي ينزه عنه الحكيم المطلق، فيكون قبيحاً، وإنَّما يُحسن التَّكْلِيفُ بعد حضور وقت العمل، ولكن لا يخفى فساد هذا التوهم، كما ترى أنَّ غالب تكاليف العقلاء، والموالي لعبيدهم ونحوهم متقدمه على وقت العمل، فيأمر المولى ويكلف عبده ليلاً بأن

يفعل نهاراً وبالعكس، ولا قبح فيه، بل لعلَّ ترك مثل ذلك من العسر والحرج؛ لأنه قد يكون العمل موقوفاً على مقدمات، لا يسهل تحصيلها إلا وقت العمل، بل قد لا يمكن تحصيلها في وقت العمل، مع أن أغلب التكاليف الشرعية من هذا القبيل، قال تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾^(١)، وشهادة الشهر برؤية أوّل ليلة منه، وهو في الليل، وصيامه في النهار، ونية صيامه بحكم: «لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل»^(٢).

وكيف يعقل وجوب نية صيام ما لم يجب، وقوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ...﴾^(٣) الخ، فهذا التكليف إن كان قبل الذلوك^(١) تم المطلوب، وإن كان بعد الذلوك

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٢) عوالي اللآليء: ١٣٢/٣.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٨.

(١) في (الصحاح: ١٥٨٤/٤): ذلك: دلكت الشمس دلوكا: زالت... ويقال: دلوكها: غروها.

فيستحيل على المكلف إرجاع ما قد مضى من الزمان حتى يكون محلاً للتكليف.

بل ندعي ونقول: أنه يستحيل أن يكون زمان التكليف هو بعينه زمان العمل، بحيث ينطبق أول التكليف على أول العمل، وآخر التكليف على آخر العمل، فإنه تكليفٌ بغير المقدور، ضرورة أن العمل امثالٌ للتكليف، وإطاعةٌ وانقيادٌ للمولى، ولا يمكن ذلك إلا بعد حصول التكليف وبعد العلم به، فالعمل واقعٌ في الرتبة...^(٢) وإلا لكان تكليفاً بغير المقدور، ولذلك جعل الأصوليون الأوامر على قسمين: مشروطة ومطلقة، والمطلقة على قسمين: تعليقه، وتنجزيه، فأغلب أوامر الشرع، إن لم يكن كلها تعليقه.

والحقُّ أنَّ الأوامر التعليقية من الأوامر المطلقة لا المشروطة كما توهمه البعض، وأنها أوامر حقيقية لا مجازية

وفي (تاج العروس: ٥٦٠/١٣): غربت لأن الناظر إليها يدلك عينيه، فكأنما هي الدالكة.

^(٢) موضع النقط توجد كلمة غير واضحة القراءة.

أيضاً، فظهر من هذا أنّ التكليف في عالم الذر تكليف حقيقي، وإن لم يحضر عنده وقت عمله به.

[فائدة التكليف في عالم الدنيا]:

وأما فائدة التكليف في هذه ^(١) الدنيا، فمن وجهين: أحدهما: أنّ مرور الخلائق على عوالم متعددة في نزولهم إلى عالم الدنيا، قد لاقوا أهوالاً وشدائدًا، فنسوا ما كلفوا به في عالم الذر، والله - تبارك وتعالى - بلطفه بعباده، وتفضله عليهم، لا بدّ أن يبعث إليهم رسولاً يُذكّرهم ذلك التكليف الذي فيه منافعهم الأخروية والدينية، ودفع مضارهم كذلك، ولأجل حصول غرضه الذي خلقهم لأجله كما قال جلّ وعلا في شأن المنكرين للتكليف في ذلك العالم والمكذّبين، ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾ ^(٢).

يعني: أن الذين أنكروا التكليف وكذبوا به في عالم الذر لم يؤمنوا به ولم يصدقوه في عالم الدنيا، وقرينته التقابل

(١) في المخطوط: في هذا.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٠١.

أَنَّ مَنْ قَبِلَ التَّكْلِيفَ هُنَاكَ وَصَدَّقَ بِهِ لَا بَدَأَ أَنْ يَقْبَلَ وَيُصَدِّقَ بِهِ فِي عَالَمِ الدُّنْيَا، وَقَالَ الصَّادِقُ عليه السلام فِي الدُّعَاءِ: «وَأَتَمَّمْتَ عَلَيْنَا نِعْمَتَكَ الَّتِي جَدَدْتَ لَنَا عَهْدَكَ وَمِيثَاقَكَ، وَذَكَرْتَنَا مِيثَاقَكَ، الْمَأْخُوذَ مِنَّا عَلَيْنَا فِي مَبْدَأِ خَلْقِكَ إِيَّانَا؛^(١)، وَهَذَا كَمَا تَرَى صَرِيحٌ فِي أَنَّ التَّكَالِيفَ الدُّنْيَوِيَّةَ تَذَكَّرْنَا بِالتَّكَالِيفِ الْمَأْخُوذَةِ عَلَيْنَا فِي عَالَمِ الذَّرِّ، وَأَنَّهَا هِيَ هِيَ، وَأَنَّ الْمُبَلَّغَ هُنَا هُوَ الْمُبَلَّغُ هُنَاكَ، وَقَالَ عليه السلام: «اعْمَلُوا فِكْلًا مَيْسِرًا لِمَا خُلِقَ لَهُ»^(٢).

الوجه الثاني: أنه لا يرتفع التكليف ولا الخطاب به إلا بعد امتثاله والعمل على طبقه، فما لم يحصل ذلك فالتكليف والخطاب به باق على ما هو عليه، كما ترى قول نبي الله

^(١) ورد نص الدعاء بعد صلاة يوم الغدير: «وَأَتَمَّمْتَ عَلَيْنَا بِهِمُ النِّعْمَةَ وَجَدَّدْتَ لَنَا عَهْدَكَ وَذَكَرْتَنَا مِيثَاقَكَ الْمَأْخُوذَ مِنَّا فِي ابْتِدَاءِ خَلْقِكَ إِيَّانَا وَجَعَلْتَنَا مِنْ أَهْلِ الْإِجَابَةِ وَلَمْ تُنْسِنَا ذِكْرَكَ...؛ مصباح التهجد: ٧٥٠، تهذيب الأحكام: ١٤٥/٣، المصباح للكفعمي: ٨٧٠.

^(٢) بحار الأنوار: ١٥٧/٥.

يعقوب ﷺ لبيته: ﴿يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾^(٣)، ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُونُسَ وَأَخِيهِ﴾^(٤)، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(٥)، فَإِنَّ مَبْدَأَ التَّكْلِيفِ كِنَعَانَ آلَ يَعْقُوبَ وَأَدَاءَهُ وَامْتِثَالَهُ عِنْدَ دُخُولِ مِصْرَ، فَهِيَ مَا بَيْنَهُمَا، فَهَلْ تَقُولُ أَنَّ الْخَطَابَ وَالتَّكْلِيفَ مَرْتَفَعٌ أَوْانَهُ، بَاقٍ حَتَّى يَحْصَلَ أَدَاؤُهُ وَامْتِثَالُهُ؛ وَكَذَلِكَ فِي مِثَالِ الْحِجِّ أَيْضًا، فَإِنَّ التَّكْلِيفَ وَالْخَطَابَ بِهِ مُسْتَمْرَانِ فِي جَمِيعِ مَدَّةِ قَطْعِ الْمَسَافَةِ حَتَّى يَحْصَلَ أَدَاءُ مَنَاسِكَهِ.

والحاصل: أنه من حين ما وقع التكليف والخطاب به فهما مستمران إلى أن يحصل الأداء، من غير فرق بين كون مبدأ التكليف في عالم الذر أو غيره؛ لأنَّ هذا حكم الأوامر التعليقية المطلقة.

فإن قلت: أنه يكفي التكليف من الأول من غير حاجةٍ

(٣) سورة يوسف، الآية: ٦٧.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٨٧.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

إلى التكليف الثاني.

قلنا: هذا غير معقول، مثلاً خاطبك الله تعالى وكلفك بالحجّ وأنت في بلدك ثمّ سافرتَ إلى مكة المشرفة، فقبل الوصول إليها، فهل أنت مخاطبٌ بالحجّ ومكلفٌ به في تلك الحال التي هي قبل وصول مكة المشرفة؟

فإن قلت: أنك لست مخاطباً ولا مكلفاً بالحج، فيلزم: أنه يجوز لك ترك الحج والرجوع عنه.

وإن قلت: أنه يجب المسير والحج من غير خطابٍ به، ولا تكليفٍ، فالوجوب هو التكليف، وهو يرجع إلى أنه واجبٌ وليس بواجبٍ.

وإن كان التكليف باقٍ والمرتفع هو الخطاب الذي هو الأمر المطلق، وإن توهمه بعض منّا، والأصل فيه العامة لكنه يلزمه وجود المعلول من دون العلة، ولا يكفي وجودها قبل الابتداء، إذ كما أنّ الحادث محتاج في أصل وجوده إلى العلة فهو محتاج في بقائه إليها، سواء قلنا أنّ علة الحدوث

هي علة البقاء، أو أنها غيرها.

والحاصل: لا فرق في التكليف الذي يتأخر وقت العمل

عنه، بين كونه في الدنيا أو فيما قبلها؛ لجريان حكم العقل في

الجميع على حدٍّ سواء.

فظهر لك فائدة التكليف في الدنيا وتجده، مع أنه هو

هو.

ولا تتوهم من قولنا بكون عالم الذر هو عالم النفوس

وعالم المواد، أنه ليس هناك ذر غيرهما، وأنه لا ابتداء تكليف

إلاَّ فيهما، بل قبلهما ذر وتكليف، وهو لا يفارق المكلف

كَيْفَ مَا كَانَ.

كيفية العلم بمدد الله لآل محمد ﷺ

- وهنا عبارة في الكتاب مضطربة الألفاظ - وهي ^(١):

[كيفية العلم بالمدد]:

قوله سلمه الله: (وهل يعلم كيفية المدد من الله سبحانه
لآله ﷺ، من غير اتصال فعله به).

وأقول: إنّ حاصل ما تحتمله العبارة، أن العلم بالمدد
المسئول عنه إمّا عن علم الله تعالى به أو عن علم النبي ﷺ
به، أو عن علم الأئمة ﷺ به.
ومعنى اتصال الفعل به، تعلقه به.

أمّا الأول: فقد عرفت أن الله تعالى عالم بالأشياء قبل
وجودها، إذ ليس عنده جلّ وعلا انتظارٌ ولا استقبالٌ.

وأمّا ^(٢) محمد ﷺ وأهل بيته الثلاثة عشر ﷺ فهم
يعلمون ما تعلقت به المشيئة الكونية، وهو معنى قوله تعالى:

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ ^(٣).

(١) في المخطوط: وهو.

(٢) في المخطوط: وما.

نعم يعلمون ﷺ من العلم الإمكانى إذا علّمهم الله
تعالى بتعليمٍ خاصٍ.

نظرة حول حديث: « ولدني أبوبكر مرتين »

[الجمع بين حديثين]:

قوله: (وما الجمع بين قوله ﷺ: «لا يبغضك يا علي إلا ابن زنا»، «ولا تطعنوا في نسب الأول، فإنني تولدت منه مرتين»)

أقول: لا شك أنّ هذه المسألة من أسرارهم ﷺ التي لا ينبغي إخراجها من الصدور، ولا نشرها في السطور ما دامت الظلمة مستولية، والليل سابق النهار. ولكنني أشير إلى الجواب إشارة^(١).

وهو أنه يجري في هذه الأمة جميع ما جرى في بني إسرائيل، فمحمد بن أبي بكر^(٢) مثال عيسى ﷺ من حيث التولد من أم وغير أب، والرواية: أنه «لا يبغضك يا علي إلا

(١) من الواضح أن المصنف - أعلى الله مقامه - في جوانح قلبه حقائق ونكات علمية، أبي أن يكتبها خوفاً من أهل زمانه وتقية.

(٢) محمد بن أبي بكر، ولد في حجة الوداع وقتله معاوية بن أبي سفيان بمصر سنة ثمان وثلاثين من الهجرة في خلافة الإمام علي ﷺ، وكان عاملاً عليها من قبله. رجال

كافر أو منافق أو ابن زنا أو ابن حيضة»^(٣)، وقد تجتمع في واحدٍ، إذ هي على سبيل منع الخلو. والظاهر أن الخبر: (أو ابن زنا) وعلى هذا يكون الأول متصفاً بالوصفين الأولين لا غير، فيكون صحيح النسب لعدم المنافاة.

ومع أنا نرى أنّ كلّ من يبغض رسول الله ﷺ يبغض علياً، ولا شك أنّ أبا لهب يبغض رسول ﷺ وهو صحيح النسب لتزوه عبدالمطلب عن الدنس مثل ذلك. مع أنّ نرى الزبير ابن العوام يبغض علياً ﷺ وأمه صفية بنت عبدالمطلب عفيفة الحجر، طاهرة الذيل، فظهر لك الجواب باطناً وظاهراً.

ولا شك ولا ريب أن الطعن في نسب الأول يوجب نقصاً وعبأً في إمامنا الصادق ﷺ، وهو مبرء سليم من كلِّ

^(٣) قال الرسول ﷺ: «لا يبغضك يا علي إلا ابن زنا أو ابن حيضة أو منافق».

نقص ظاهريّ أو باطنيّ أو وهميّ أو احتماليّ، فلذلك عُلِّلَ عدم جواز الطعن بأنه عليه السلام قد تولد منه.

وأما أصل تولد الصادق عليه السلام من أبي فلان، فلا إشكال فيه، لأن أمه عليها السلام أم فروه بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، وإنما الإشكال في كون تولد مرتين، وهو يحتمل وجهين:

الأول: على جهة الحذف، أي أنّ أُمِّي تولدت منه بواسطة القاسم، وبواسطة محمد.

الوجه الثاني: أنّ أم فروة لَمَّا كان أبوها القاسم بن محمد، وأمها أسماء بنت عبدالرحمن بن أبي بكر كان عليه السلام متولداً من جهتين، من جهة أبي أمه، ومن جهة أم أمه، فالمرتان في كلامه يريد بهما.

في الوجه الأول: الواسطتين مع الحذف.

وفي الوجه الثاني: يريد الجهتين، وهذا على الظاهر، وهو الذي تقتضيه الموازين، وهو عليه السلام أعلم.

حقيقة تولد الطيب من الشقي والعكس

[تولد بعض الأشقياء منهم]:

قال سلمه الله تعالى: (وما معنى: تولده منه، وتولد بعض الأشقياء منهم ﷺ مع أنهم لا يأكلون إلا أخلص ما كؤل وأطيه؟ وما السرُّ في ذلك؟).

أقول: سبحان العليم القادر، الذي ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾^(١)، ويخرج الحي من الحي، والميت من الميت، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾^(٢)، لأنه لا يفعل إلا على مقتضى الحكمة، فافتضى عالم اللطخ والمزج في الطين ذلك، ولذلك تقدّم الليل على النهار.

وأما في عالم الصفاء والخلوص، وتقدّم النهار، فلا يلد الطيب إلا طيباً، ولا يلد الخبيث إلا خبيثاً ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾^(٣)،

(١) سورة يونس، الآية: ٣١، و سورة الروم، الآية: ١٩.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.

(٣) سورة النور، الآية: ٢٦.

و ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا * وَمِثْلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾^(١)، والفروع تتبع الأصول.

[أكل أهل البيت الطيب]:

وأما أنهم عليهم السلام لا يأكلون إلا الطيب الخالص، فهو كذلك، ولكنك ترى قدرة القادر الحكيم قد جمع في البيضة قطعة ذهبية مائعة، وقطعة فضة ذائبة، فلا الذهبية المائعة تمازج الفضة الذائبة^(٢)، ولا كذلك العكس.

(١) سورة إبراهيم، الآيات: ٢٤، ٢٥، ٢٦.

(٢) هذا التعبير مأخوذ من رواية طويلة منها: «يا جعفر بن محمد ذلني على معبودي ولا تسألني عن اسمي؟ فقال له أبو عبد الله عليه السلام: اجلس، وإذا غلامٌ له صغيرٌ في كفه بيضةٌ يلعبُ بها، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ناولني يا غلامُ البيضةَ فناوله إياها، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: يا ديصاني، هذا حصنٌ مكنونٌ له جلدٌ غليظٌ وتحت الجلد الغليظ جلدٌ رقيقٌ، وتحت الجلد الرقيق ذهبٌ مائعةٌ وفضةٌ ذائبةٌ، فلا الذهبُ المائعةُ تختلطُ بالفضةِ الذائبةِ ولا الفضةُ الذائبةُ تختلطُ بالذهبِ المائعةِ، فهي على حالها لم يخرج منها خارجٌ مُصلِحٌ فيخبر عن صلاحها ولا دخلٌ فيها مُفسدٌ فيخبر عن فسادها، لا يُدرى للسذكر

وماء المطر ينزل إلى قعر البحر فيقع في الأصداف درأً
 فلا يمازجه ماء البحر المالح الأجاج، ﴿حِكْمَةٌ بِاللِّغَةِ فَمَا تُغْنِ
 النَّذْرُ﴾^(١)، فيأكل الإمام عليه السلام العنب والتمر، والشعير والحنطة،
 وهي مأكولات طيبة، غذاءً لطاهر بشريته، مع أنها بالمعالجة
 تظهر خمريتها الخبيثة النجسة، التي هي حصة إبليس - لعنه
 الله - وليس من ذلك غذاء للإمام عليه السلام لعدم وجوده الفعلي.

فإن شئت أن تقول:

إن نطفة الإمام علي عليه السلام:

كقطر الماء في الأصداف درأً

وفي بطن الأفاعي صار سُمًّا

وإن مادة الجنين ليست هي النطفة المستحيلة من

خُلِقَتْ أُمَّ لِلإِنْسِي، تَنْفَلِقُ عَنْ مِثْلِ أَلْوَانِ الطَّوَاوِيسِ، أَتَرَى لَهَا مُدَبَّرًا؟ قَالَ: فَأَطْرَقَ مَلِيًّا،
 ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّكَ
 إِمَامٌ وَحُجَّةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَأَنَا تَائِبٌ مِمَّا كُنْتُ فِيهِ» أصول الكافي: ٤٩/١، باب
 حدوث العالم وإثبات المحدث من كتاب التوحيد، وكتاب التوحيد للصدوق: ١٢٤،
 باب القدرة.

(١) سورة القمر، الآية: ٥.

المأكولات، وإنما المادة هي الرائحة التي حملتها النطفة، وهي القطرة التي وقعت من شجرة المزن على الثمار مادة للمؤمن، ومن شجرة الزقوم مادة لغيره.

وإن شئت أن تقول: إنّ المادة هي الطينة المستحيلة من المأكولات، ولكنها لم تخالط جسد الإمام عليه السلام نظير ذهبية البيضة المائعة وفضتها الذائبة.

والحسن بن علي عليه السلام قد تزوج جعيدة بنت الأشعث - عليها وعلى أبيها لعنة الله - وقد جامعها وقاربها، وهو على ما هو عليه من النورية الخالصة، والطهارة الصافية، لم يتأثر بشيءٍ من نجاستها وظلمانيتها، وهي على ما هي عليه من نجاستها وظلمانيتها وخبثها، لم تتأثر بشيءٍ من نورانيتها وطهارته، كما ترى ذلك من مثال البيضة، وقطر الماء في الأصداف، وفي بطن الأفاعي: ﴿وَكَايُنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١)، ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾^(٢).

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٥.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٣.

وكما ترى أن نور الشمس تشرق على القُذرات ولا
يتأثر منها، كما لا تتأثر القذرات من إشراق نوريتها، فنور
الشمس مثال الحسن ﷺ والقذرات مثال جعيدة - لعنها الله -
فظهر لك بيان السرِّ وتمام الجواب، والله العالم بالصَّواب.

دعوة وحدة الناطق

[القول بتعدد الناطق]:

قوله سلّمه الله: (وهل القول بتعدد الناطق من ضروريات مذهب الإمامية التي يوجب إنكارها الكفر، حتى نعلم حالة من قال بها).

[قسما الضروري وأحكامهما]:

أقول: الضروري قسمان: ضروري دين، وضروري من مذهب.

والذي يُحكم بكفره هو من أنكر ضروري الدين الراجع لتكفير النبي ﷺ، مع أنه لو أمكنت الشبهة في حق منكري ضروري الدين لم يُحكم بكفره، كما لو ترى ممن شهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله ﷺ بين أقوامٍ شعارهم وسجيتهم الزنا، ولم يسمع من أحدٍ حرّمته في دين الإسلام، فأنكر حرّمته، فإنه لا يُحكم بكفره، وكما ترى سجية أهل البوادي وسيرتهم المستمرة خلفاً عن سلفٍ على نهب أموال

بعضهم بعضاً، مستحيين لذلك؛ لشبهة ألقاها الشيطان في أذهانهم، وهي أن النبي ﷺ كان ينهب أموال العرب ويسلبهم، ﴿فَمَنْ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾^(١)، ونحو ذلك من الشبهة الممكنة في حقهم، فإنه لا يُحكم بكفرهم إذ لم يرجع ذلك لتكذيب النبي ﷺ.

وأما الثاني: وهو منكر ضروري المذهب، فإن كان الإنكار لشبهة ممكنة في حق المنكر فإن كان ذلك الضروري من أصول الإيمان، كالواقفية والكيسانية والفتحية^(٢) ونحوهم

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٤.

(٢) الواقفية: فرقة قالت: إن (الإمام موسى بن جعفر عليه السلام) لم يموت وأنه حي، ولا يموت حتى يملك شرق الأرض وغربها، ويملاؤها كلها عدلاً كما ملكت جوراً وأنه القائم المهدي...

وقال بعضهم: إنه القائم وقد مات، ولا تكون الإمامة لغيره حتى يرجع فيقوم ويظهر...

وقال بعضهم: إنه قد مات وإنه القائم وإن فيه شبهاً من عيسى ابن مريم عليها السلام وأنه لم يرجع، ولكنه يرجع في وقت قيامه فيملا الأرض عدلاً كما ملكت جوراً.

من فرق الشيعة غير الإثني عشرية فلا يُحكم بكفرهم ولا بإيمانهم حتى يحصل ما يزيل تلك الشبهة.

وإن لم تكن الشبهة ممكنة في حَقِّهم فهم كفار؛ لأنه راجع إلى تكذيب النبي ﷺ أو الردِّ عليه.

وإن لم يكن ذلك من أصول الإيمان كحلية المتعتين، وعدم جواز المسح على الخفين، فإن كان مع الشبهة الممكنة

وأنكر بعضهم قتله وقالوا: مات ورفع الله إليه وأنه يردّه عند قيامه، فسموا هؤلاء جميعاً (الواقفية) لوقوفهم على الإمام موسى ابن جعفر عليه السلام أنه الإمام القائم، ولم يأتموا بعده بإمام ولم يتجاوزوه إلى غيره. (فرق الشيعة: ١٠٨)

الكيسانية: قالت بإمامة محمد بن الحنفية، هو الإمام المهدي، وهو وصي غلي بن أبي طالب عليه السلام... وإنما سموا بذلك لأن المختار بن أبي عبيد الثقفي كان رئيسهم وكان يلقب كيسان لكيسه، وهو الذي طلب بدم الحسين عليه السلام وثأره حتى قتل من قتله، وادعى أن محمد بن الحنفية أمره بذلك، وأنه الإمام بعد أبيه. (بتصرف من فرق الشيعة: ٥٤)

القطحية: فرقة من الشيعة، قالوا بإمامة علي أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من بعده إلى جعفر بن محمد عليه السلام، ثم اعتقدوا إمامة عبدالله بن جعفر عليه السلام وتعللوا في ذلك بأنه كان أكبر ولد أبيه عليه السلام، وأن أباه قال: الإمامة لا يكون إلا في الأكبر من ولد الإمام، وسموا بالقطحية، لأن عبدالله بن جعفر كان أفتح الرجلين، أو كان أفتح الرأس، وقيل: لأن رئيسهم كان أفتح. (من لا يحضره الفقيه: ٤/٥٤٢)

فلا يخرج بذلك عن الإيمان.

وأما مع عدم الشبهة الممكنة فإن كان الإنكار لميل نفسه إلى فعل ما أنكر حرمة وشهوة هواه، أو من غير استحقاق بالدين، ولا عدم مبالاة، ولا عدم اعتناء مصاحب الشرع المبين، ولا استحقار لعذاب رب العالمين، فهو فاسق، عاص، ولم يخرج بذلك عن الإيمان، وإن كان لأحد الثلاثة المذكورة فهو كافر.

[أحكام وصور المنكر للضروريات]:

تنبيه:

قالوا: إن منكر الضروري كافر، وفي العبارة المذكورة غموض وإجمال، وتفصيله في صور.

الأولى: أن يكون ضروريا عند المنكر وغيره.

الثانية: أن يكون ضرورياً عند غير المنكر.

الثالثة: أن يكون ضرورياً عند المنكر لا غير.

ففي الصورة الأولى والثانية: لا يعقل الإنكار واقعاً،

بمعنى: أن يكون ذلك المنكر عالماً بنفي ذلك الضروري؛ لاستحالة اجتماع العلم بالشيء والعلم بخلافه من جهة واحدة، فلا بدّ أن يراد من ذلك الإنكار إظهاره بالقول والمعاملة في العمل على طبق ذلك الإنكار.

وأما الصورة الثانية: فلا يترتب عليها نقص ولا خلل ديني، إذ لعله يرى أنه غير ضروري، فهو منكر ضرورته، وإن كان يوافق أهل الضرورية في نفس الحكم، أو أنه ينفي ذلك الحكم الضروري لشبهة دخلت عليه، كما في رأي ابن الجنيد حيث قال: بحجية القياس^(١)، وضرورة مذهب الإمامية على خلافه.

وكما هو مذهب بعض الإخبارية القائلين: أنّ القرآن الشريف كالألغاز المعماة لا يفهمه إلا من خُوطبَ به، لشبهة

(١) من قدماء فقهاء الإمامية، قال عنه النجاشي في رجاله: (محمد بن أحمد بن الجنيد، أبو علي الكاتب الإسكافي، وجه في أصحابنا، ثقة، جليل القدر. صنف فأكثر) ثم يذكر له كتباً كثيرة، ثم يقول عنه بعد ذلك (وله مسائل كثيرة، وسمعت شيوخنا الثقات يقولون عنه: إنه كان يقول بالقياس) رجال النجاشي: ٣٨٥.

بعض الروايات الواردة أن: «من فسّر القرآن برأيه، فليتبوأ مقعده من النار»^(١)، ومثل طائفة أخرى منهم إذ قالوا أنهم يفهمون القرآن الشريف كما يفهم الأئمة، وذلك خلاف ضرورة المذهب، وأمثال ذلك كثير مما يراه بعض العلماء المخالف لضرورة الدين أو المذهب، وليس ذلك إلا لفتح باب الخطأ والغفلة لغير الأربعة عشر عليهم السلام فالأخذ بذلك معذور ديناً ودنياً وأخرى.

[تشبث القائلين بوحدة الناطق]

فعلُّ القائل: بوحدة الناطق^(٢) يتشبه بما ورد عن الأئمة

(١) التفسير الصافي: ٣٥/١، عوالي اللآليء: ١٠٤/٤.

(٢) هذه المقولة من مقولات الحاج محمد كريم خان وولده الحاج محمد خان، والمراد من هذه المقولة كما يعرضها الحاج ميرزا موسى الأسكوئي في المقالة الرابعة ضمن كتابه (إحقاق الحق: ١٦٧): (لزوم وجود رجل واحد ناطق غير إمام الزمان في كلِّ عصر وأوان. يعني يجب أن يكون في كل عصر وزمان رجل كامل من جميع الجهات غير إمام الزمان، عالم بكل العلوم، ومتصرف في الكون، وواسطة بين الإمام والرعية في إيصال الفيوضات الكونية الشرعية من الإمام إلى محالة من الخلق، ومرجع لتمام المخلوقات من جميع المراتب، ولا يجوز لأحد من العلماء مع وجوده إدعاء استقلال واجتهاد، بل يجب

ﷺ حيث سُئِلَ أَنَّهُ «هل يجتمع إمامان في زمانٍ واحدٍ، فقال ﷺ: لا. إلا أن يكون أحدهما صامتاً»^(١)، وإذا نظرنا إلى أحوال الأئمة عليهم السلام وأحوال علماء شيعتهم عليهم السلام، وجدنا أن الرواية الشريفة لا تنطبق إلا على أئمة الأصل عليهم السلام لما علم من أحوالهم، من أن كما لاتهم العلمية وغيرها ليست كسبية دنيوية، بل وُلِدوا في هذه الدنيا مع الكمال التام الذي لا يصل إليه ولا يناله أحدٌ سواهم عليهم السلام كما ترى أن أمير المؤمنين ولادته الدنياوية قد عرف من جاء للتهنئة من الأنبياء والملائكة ونساء الأنبياء، وقد قرأ الصحف المنزلة عليهم، وقرأ قرآن محمد ﷺ، ونطق عيسى بحجته في المهد

عليهم أن يدعوا الخلق إليه، ويجب على جميع المكلفين معرفة ذلك، ولو ماتوا ولم يعرفوه ماتوا ميتة جاهلية وميتة كفر ونفاق).

^(١) «عن عبيد بن زرارة، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ترك الأرض بغير إمام؟ قال: لا. قلنا: تكون الأرض وفيها إمامان؟ قال: لا إلا إمامان أحدهما صامت لا يتكلم، ويتكلم الذي قبله، والإمام يعرف الإمام الذي بعده». بصائر الدرجات: ٥٣٦، بحار الأنوار: ١٠٧/٢٥.

صبياً^(٢)، وتحمل الجواد عليه السلام أعباء الإمامة وهو لم يبلغ مبالغ الرجال، والحجة محمد بن الحسن عليه السلام - وجعلنا من شيعته وأنصاره في غيبته وحضوره، وأعاننا على طاعته - قد تحملها وهو ابن ست سنين، بعد موت أبويهما عليهما السلام.

والحاصل: أن عدم نطق الإمام الثاني مع وجود أبيه ليس لقصور في علمه، ولا نقص في كماله، بل ذلك احترامٌ وتوقيرٌ لأبيه، أداءً لحقّ الأبوة، ولذلك كان الحسنان عليهما السلام ناطقين في زمان واحد لقول نبينا ﷺ هما: «إمامان قاما أو قعدا»^(١) فقد ساوى ﷺ بينهما في الإمامة المقتضية للشركة في النطق أيضاً، ولكن اقتضى كبر السن في الحسن واحترامه لذلك اختصاص ناطقية الحسين بغيبة الحسن عليه السلام دون حضوره.

وقد تشبثوا أيضاً: هل وحدة الناطق بقوله ﷺ: «من مات

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [سورة مريم، الآية: ٣٠].

(١) علل الشرائع: ٢٤٩/١، عوالي اللآليء: ١٣٠/٣.

ولم يعرف إمام زمانه، [فقد] مات ميتةً جاهليةً^(٢)، وقد شرحنا هذا الحديث الشريف فيما تقدّم بما لا مزيد عليه.
 والحاصل: قد تكون لأهل هذا القول شبهةٌ آخر غير ذلك.
 وبالجملة: أن المولود على فطرة الإسلام مسلمٌ، قد دخل في حرم الإسلام وتحرم به، فلا يحكم عليه بالخروج منه، إلا أن يهتك حرمة بالمعلوم لا بالمضنون ولا بالموهوم.

[حكم القائلين بوحدة الناطق]:

وقد علم من أحوال من قال بوحدة الناطق: أنهم^(١) إماميه إثني عشرية، شأنهم الأخذ والردّ إلى أئمة الهدى عليهم السلام، والشبهة التي حصلت لهم لا تخرجهم عن حرم الإسلام، فإنّ العقل قد قُسم إلى عشر أجزاء، فلا يُطلب من صاحب الجزء الواحد ما يُطلب من ذي الجزأين، ولا من ذي الجزأين ما يُطلب من ذي الثلاثة، وقد أعطونا أئمتنا عليهم السلام

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٣٠٤/١.

(١) في المخطوط: أن أنهم.

لأمثال ذلك موازين هداية ودراية وهي قولهم ﷺ: «إذا لم
تقبلوهم حتى يكونوا مثلكم فلا نقبلكم حتى تكونوا مثلنا»^(٢)،
فخذُ بهذا الميزان وكن به ضنيناً، وأحمد الله ربّ العالمين.

(٢) قال أبو عبدالله ﷺ: «إن كان لا يقبل من دونكم حتى يكون مثلكم لم يقبل
منكم حتى تكونوا مثلنا». اختيار معرفة الرجال: ٢/٦٦٢، بحار الأنوار: ١٧٤/٦٦.

إطلاق العطل الأربع على محمد وآله

[حكم المنكر للعلل الأربع لآل محمد]:

قوله سلّمه الله تعالى: (وما قولكم في المنكر، أنّ محمداً وآل محمدٍ علّة فاعلية ومادية وصورية بالمعنى المتعارف [عليه] لدى الفرقة المحققة).

أقول: قولنا في المنكر لذلك هو عين قولنا في المنكر لتعدد الناطق وانحصاره في واحد حرفاً بحرف، فلا فائدة في الإعادة.

[هل يصح إطلاق العلم الإلهي على آل محمد]؟:

قوله: (أو أنكر أنّ علمهم ﷺ بالأشياء إحاطة).

أقول: هذه عبارة لا تفي بمقصود السائل، إذ ليس علم الإحاطة، ولا علم الحضور في الجملة فضيلة أو منقبة اختصوا بها دون غيرهم؛ لأنّ كلّ عالمٍ يحيط بمعلوله، ومعلومه حاضرٌ عنده، وإلّا لم يكن معلوماً.

بل مقصود السائل على الظاهر من كون علم الأئمة عليهم السلام علم إحاطة، أنهم عالمون بما كان، وما هو كائن، وما سيكون من الغيب والشهادة، وهذا باطلٌ وليس بصحيح؛ لأنه مساواة بينهم وبين الله تعالى في العلم، ومشاركة بينه وبينهم في المملكة، مع أنّ الروايات عن الأئمة عليهم السلام دالة على نفي علمهم عليهم السلام بالغيب، وأنه لا يعلمه إلا الله تعالى.

لكن في مقابلتها أيضاً رواياتٌ أخر دالة على علمهم عليهم السلام بالغيب، والقرآن الشريف دالٌ أيضاً تارة على اختصاص علم الغيب بالله تعالى، وتارة دالٌ على علمهم به، ويحكم على الجميع صريح دلالة قوله تعالى خطاباً لسيدهم وفخرهم بقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبُّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(١)، وقولهم عليهم السلام: «لولا [أنا] نزداد لنفد ما عندنا»^(٢).

[معنى علم آل محمد بالغيب وعدهم] :

(١) سورة طه، الآية: ١١٤.

(٢) بصائر الدرجات: ٢٥٢.

وتفصيله: أن الأشياء منها ما هو قد كان، ومنها ما هو كان حالاً، ومنها ما سيكون.

فهم ﷺ يعلمون ما أشهدهم الله خلقه، وهو الذي تعلقت به المشيئة الكونية في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾^(٣)، وهما الماضي والحال، وأما المستقبل فهو ما يزدادون قبل تعلق المشيئة الكونية، فلا يعلمون منه شيئاً إلا بتعليم خاص من الله تعالى.

كما علم من أحوالهم ﷺ أنهم يخبرون عن بعض الأمور المستقبلية على سبيل الجزم، وعن بعض الأمور الغائبة عن الحواس الظاهرة، كذلك إذ ليسوا ﷺ بأقل من أهل الرمل، وأهل الجفر، وأهل النجوم في إخباراتهم عن الأمور الغائبة أو المستقبلية على سبيل الجزم، مع الإصابة.

نعم. أئمتنا ﷺ يُوقفون الجزم في بعض الإخبارات، في بعض الأحوال، على المحو والإثبات، كما في قول أمير

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

المؤمنين ﷺ: «لولا آية في كتاب الله تعالى، وهي قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(١)، لأخبرتكم بما كان وما هو كائن وما سيكون إلى يوم القيامة»^(٢).

وأما قول أمير المؤمنين ﷺ «إن الله تعالى تفرّد بخمسة أشياء لا يطلع عليها نبيٌّ أو وصيُّ نبيٍّ»^(٣)، وهي ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾^(١) «^(٢)»، فلا بد أن يحمل على العموم، بمعنى أن نزول كلِّ غيث، وعلم ما في كلِّ رحم، واكتساب كلِّ نفس، وأمكنة موت كلِّ نفس لما علم إن الأئمة ﷺ قد أخبروا ببعض من الكل.

(١) سورة الرعد، الآية: ٣٩.

(٢) التوحيد: ٣٠٥.

(٣) في المصدر: نبي مرسل، ولا ملك مقرب.

(١) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

(٢) بحار الأنوار: ٢٧٥/٤٢.

ثم لا يخفى أن جميع ما علموه ﷺ إنما هو بتعليم الله تعالى، ليس عندهم من حيث أنفسهم شيء من الكمالات، ولا من الخيرات، ولا من العلوم، ولا غيرها إلا باصطفاء من الله تعالى، وبعد ذلك فهو في ملكه وفي قبضته، إن شاء تعالى أن يعلموا أَعَلَّمَهُمْ تعالى، وإن لم يشأ ذلك لم يعلموا، وهو معنى قول أبي جعفر الصادق ﷺ «يَسْطُرُ لَنَا الْعِلْمُ فَنَعْلَمُ، وَيَقْبِضُ عَلَيْنَا فَلَا نَعْلَمُ»^(٣)

فإن شئت أن تقول: أنهم ﷺ لا يعلمون الغيب ولا يعلمه إلا الله تعالى، كما هو منطوق بعض الآيات وبعض الروايات فهو صحيح؛ لأنهم لا يعلمون شيئاً قليلاً أو كثيراً، كلياً أو جزئياً إلا بتعليم الله تعالى، فهم ﷺ محتاجون إلى تعليمه في الابتداء والاستمرار، لا يملكون لأنفسهم من حيث أنفسهم ﷺ شيئاً، وليس عندهم من حيث ذواتهم شيء من العلم أصلاً لضرورة حدوثهم، ولضرورة احتياجهم إلى الغني

(٣) بصائر الدرجات: ٥٣٣، أصول الكافي: ١/١٤٦، الخصال: ٥٢٨.

المطلق من جميع الجهات.

وإن شئت قلت: أنهم يعلمون الغيب كما هو منطوق

بعض الروايات وبعض الخطب، فهو صحيح أيضاً.

والجامع بين النوعين، هو قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ

عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۗ إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْئَلُكَ مِّن

بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾^(١)، فهي بدلالاتها الظاهرية أنه

تعالى قد أعلم رسوله الغيب، وما علمه الرسول فقد أعلمه

أوصيائه عليهم السلام.

وبدلالاتها التأويلية: أنّ علياً عليه السلام هو المرتضى من

الرسول^(٢)، ولا يكون علمه عليه السلام بذلك إلا بواسطة الرسول

عليه السلام، وما علمه المرتضى أعلمه أوصيائه الأحد عشر عليهم السلام؛

(١) سورة الجن، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٢) ذكر البحراني في كتابه (مدينة المعاجز: ٢٣٣/١) رواية بعنوان (إخراجه عليه السلام ناقة

ثمود، وما ف الحديث من المعجزات) كلام طويل جاء فيه: «يا سلمان، أنا المرتضى من

الرسول الذي أظهره الله عزّ وجلّ على غيبه، أنا العالم الربّاني، أنا الذي هوّن الله عليّ

الشدائد، وطوى لي البعيد».

لأنه عليه السلام يُميرهم العلم^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾^(٢)، والمجتبى من الرسول في الباطن والتأويل هو أمير المؤمنين عليه السلام، مع أن الأئمة عليهم السلام ليسوا بأقل رتبة من يوسف وعيسى عليهما السلام، وقد قال يوسف عليه السلام فيما حكى الله تعالى عنه، أنه ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأَكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾^(٣)، وقال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام ﴿وَأَتَيْنَكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾^(٤).

والحاصل: أن كون الأئمة يعلمون الغيب مما لا يمكن

(١) عن أحمد بن عمر قال: سألت أبا الحسن عليه السلام: لِمَ سُمِّيَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام؟ قال: لِأَنَّهُ يَمِيرُهُمُ الْعِلْمَ، أَمَا سَمِعْتَ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴿وَتَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ [سورة يوسف: ٦٥].

وفي رواية أخرى قال: «لأن ميرة المؤمنين من عنده، يُميرُهُمُ الْعِلْمَ». أصول الكافي: ٢٤٥/١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٩.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٣٧.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٤٩.

لأحد نكره، وقد شاع وذاع إخباراتهم ﷺ به، وملاً الأصقاع والأسماع، ولكنه في الماضي والحال مما لا يعتريه ريبٌ ولا إشكالٌ؛ لأنَّ الله تعالى قد أشهدهم خلقه، فهم ﷺ يعلمون به علم إحاطةٍ وحضورٍ.

نعم بالنسبة إلى تبديلها وتغييرها بالمحو والإثبات هما من المستقبل، مثل الزيادة التي طلبها النبي ﷺ من الله^(١)، وقول الصادق: «لو لا [أنا] نزاد لنفد ما عندنا»^(٢) سواء كانت الزيادة لذواتهم وفي ذواتهم، أو لغيرهم بواسطة ﷺ، فإنهم ﷺ لا يعلمون ذلك قبل حصوله إلا بتعليم خاصٍ من الله تعالى فيخبرهم به على ما يقتضى من كونه محتوماً أو موقوفاً أو كونه خاصاً بهم، وليس لهم أن يخبروا به غيرهم أو لهم أن يخبروا بذلك بعضاً من غيرهم أو الكل، فالمدد الجديد [من] قبل تعلق المشيئة به عن الإمكان الراجح، سواء كان لهم أو لغيرهم، بواسطة ﷺ لا يعلمونه إلا بتعليم خاصٍ.

(١) قال الله تعالى ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ سورة طه، الآية: ١١٤.

(٢) بصائر الدرجات: ٢٥٢.

ولا تتوهم: أن كلَّ متأخرٍ في الزمان لم تتعلّق به المشيئة التكوينية، فإنه قد يكون متأخراً في الزمان ومتقدماً في الدهر، وقد تعلّقت به المشيئة في الدهر، كما ترى أن مَنْ لم يولد، متأخر في الزمان، وقد جمعهم الله تعالى في عالم الذر من أصلاب الآباء وأرحام الأمهات، وخاطبهم بلسانه الناطق: «ألسْتُ بربكم؟ ومحمّدٌ نبيكم؟ وعليٌّ وأولاده الأحد عشر عليهم السلام أئمتكم؟...»^(١)، وعالم الذر من عالم الدهر.

فالأئمة عليهم السلام يعلمون من سيولد إلى آخر الدهر. أفهم ممن كان.

وكما في واقعة كربلاء، لمّا قال ابن عباس للحسين: «أني أشير عليك أن لا تمضي إلى العراق، قال عليه السلام: والله لو كنت في جحر هامه لم يتركوني بنو أمية حتى يقتلونني، فقال له ابن عباس: إذا كنت ماضياً على هذا الحال، فما معنى لحملك هؤلاء النسوة؟ فقال عليه السلام: إنَّ جدّي قال لي: إن الله قدَّ

(١) تفسير القمي: ٢٤٧/١. وجاء فيه: «وعليٌّ إمامكم والأئمة الهادون أئمتكم».

شاء أن يراك قتيلاً مزملاً بدمائك، وقد شاء أيضاً أن يرى نساءك سبايا مهتكات...»^(٢) إلى آخره، فمشيئة الله تعالى قد

^(٣) في رواية عن أبي عبدالله عليه السلام، «قال: سار محمد بن الحنفية إلى الحسين عليه السلام في الليلة التي أراد الخروج في صبيحتها عن مكة، فقال: يا أخي! إن أهل الكوفة من قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى، فإن رأيت أن تقيم فإنك أعز من في الحرم وأمنه.

فقال عليه السلام: يا أخي! قد خفت أن يغتالي يزيد بن معاوية في الحرم، فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت؟.

فقال له ابن الحنفية: فإن خفت ذلك فسر إلى اليمن، أو بعض نواحي البر، فإنك أمنع الناس به، ولا يقدر عليك أحد.

فقال عليه السلام: أنظر فيما قلت. فلما كان السحر، ارتحل الحسين عليه السلام، فبلغ ذلك ابن الحنفية، فاتاه فأخذ زمام ناقته - وقد ركبها - فقال له: يا أخي! ألم تعدني النظر فيما سألتك؟.

قال عليه السلام: بلى.

قال: فما حداك على الخروج عاجلاً؟.

فقال عليه السلام: أتاني رسول الله ﷺ بعد ما فارقتك.

فقال: يا حسين عليه السلام! أخرج، فإن الله، قد شاء أن يراك قتيلاً.

فقال له ابن الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون! فما معنى حملك هؤلاء النساء معك،

وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟!

فقال له: قد قال لي ﷺ: إن الله قد شاء أن يراهن سبايا، فسلم عليه ومضى.

تعلقت بتلك الواقعة في الدهر قبل حصولها في الزمان.
 وكما في رؤيا أم سلمة ظهر عاشوراء [رأت] رسول الله
 ﷺ والتراب على لحيته، فقالت له: «ما لي أراك يا رسول
 الله قد أهملت نفسك هكذا. فقال لها: الساعة فرغت من دفن
 ولدي الحسين»^(١).

مع أنه - روعي له الفداء - قد بقي في الزمان ثلاثة أيام
 بالعرى لم يُقبر، ودفن رسول الله ﷺ في ظهر العاشر في
 الدهر لا في الزمان.

ومثل ذلك إخباراتهم ﷺ بملك الطواغيت وملوك
 بني أمية وبني العباس، وما يجري على أيديهم من الظلم
 والفساد، وإماتة الحق، وإحياء الباطل، وما يجري قبل خروج
 صاحب الزمان من الآيات والعلامات والسفاني، والدجال،

وقد روي بأسانيد أنه لما منعه ﷺ محمد بن الحنفية عن الخروج إلى الكوفة، «قال:
 والله، يا أخي! لو كنت في جحر هامة من هوام الأرض، لاستخرجوني منه حتى
 يقتلوني». بحار الأنوار: ٩٩/٤٥.

(١) أمالي الطوسي: ٣١٥، بحار الأنوار: ٢٣١/٤٥.

وأحوال الناس في تلك الأوقات وغير ذلك، وقد يشته علم الغيب بما له وجود دهري قبل ظهوره في الزمان، وما لم يكن كذلك، وإنما أخبروا ﷺ به لتعليم الله تعالى لهم به قبل دخوله في الكون وتميزه بالقرائن وإشارات النصوص وبيانات الأئمة ﷺ.

تنبيهات:

[وصول الفيوضات بيد آل محمد بواسطة النبي]:

[التنبيه الأول]: إعلم أنّ كلّ علمٍ لا بد أن يبدأ أولاً برسول الله ﷺ فلا يصل شيءٌ من الكمالات علماً أو غيره إلى أحدٍ من الأئمة ﷺ إلا بواسطة، ثم بعد ذلك بواسطة يصل إلى أمير المؤمنين ﷺ ثم إلى الحسن ﷺ ثم إلى الحسين ﷺ وهكذا، إمّا تقدم من حيث الأفضلية أو من حيث الأبوة، قال أبو جعفر ﷺ في رواية زرارة عنه: «لو لم نزداد لنفد ما عندنا، قال زرارة: تزدادون شيئاً لا يعلمه رسولٌ

الله ﷺ، قَالَ ﷺ: أَمَا إِنَّهُ إِذَا كَانَ ذَلِكَ غُرْضَ أَوْلَىٰ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ عَلَىٰ الْأَئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ثُمَّ انْتَهَى الْأَمْرُ إِلَيْنَا»^(١) لكن في روايةٍ أُخْرَىٰ عن أَبِي جَعْفَرٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَيْسَ يَخْرُجُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَىٰ شَيْءٌ حَتَّىٰ يَبْدَأَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ ثُمَّ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّىٰ لَا يَكُونُ آخِرُنَا أَعْلَمُ مِنْ أَوْلَانَا»^(٢)، وَظَاهِرُ الْأَوَّلِيَّةِ وَالْآخِرِيَّةِ مِنْ حَيْثُ الْأَبْوَةُ إِذِ الْأَوَّلِيَّةِ الشَّرْفِيَّةُ بَعِيدَةٌ عَنْ ظَاهِرِ الرَّوَايَةِ، وَهُوَ ﷺ الْعَالَمُ بِذَلِكَ.

[مفهوم العلم الذي لا يُحيط به آل محمد]:

التبويه الثاني: قد مرَّ وتبيَّن أنَّ كُلَّ غَيْبٍ لَا تَحِيطُ الْأَئِمَّةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِهِ عَلَىٰ جِهَةِ الْعَمُومِ الْحَقِيقِيِّ؛ لِأَنَّ مِنَ الْغَيْبِ الْمُدَدِ الْجَدِيدِ قَبْلَ تَعَلُّقِ الْمَشِئَةِ بِهِ، سِوَاءِ كَانَتْ لَهُمْ أَوْ لِغَيْرِهِمْ

(١) أصول الكافي: ١/١٤٥.

(٢) حدثنا محمد بن عيسى، عن يونس بن هبة الرحمن، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال سمعته يقول: «ليس شيء يخرج من الله حتى يبدأ برسول الله ﷺ، ثم بأمر المؤمنين، ثم واحداً بعد واحد لكي لا يكون آخرنا أعلم من أولنا» بصائر الدرجات: ٤١٢.

بواسطتهم ﷺ وهو ما سيكون الذي قال الله تعالى في شأنه:
﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾^(١)، ولا يمكن
 صرف هذه الآية الشريفة إلى العلم الذي هو ذات الواجب؛
 لظهور المفاسد المستحيلة من تجزئة الذات، وإحاطة الغير
 ببعضها، وحدث ذلك البعض؛ لتعلق المشيئة به، وتأولها بما
 يصحح الانطباق على العلم الذاتي اختلاف آية أخرى بلا
 قرينة ولا داعٍ إلى ذلك.

وبالجملة: فكونها لبيان حال العلم الذاتي مستحيل،
 والكائن حالاً وما كان يحيطون به كان بتعليم الله تعالى، فلم
 يَبْقَ إلا العلم الإمكانى قبل تعلق المشيئة، ومثله في الكائن
 حالاً وما كان من حيث محوه وإثباته، فإنهم لا يعلمون ذلك
 إلا بتعليمٍ خاصٍ من الله تعالى.

[علم أهل البيت ﷺ بالغيب]:

[التنبيه] الثالث: لا تتوهم من استثناء ما يلي سيكون عدم

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

صدق علم الغيب على ما علموا عليه السلام صدقاً عرفياً بل ولغوياً،
ويكفي في ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَزَكِّيْنَاكَ الْكِتَابَ تَبَيِّنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(١)، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾^(٢)، فعندهم
القرآن، ومصحف فاطمة عليها السلام، والجفر، وفي القابر، وفي
المزبور، وفي العالم، وفي الأنفس، وما يعلمونه بالتوسم وغير
ذلك، فعن الكليني في (الكافي)، عن أبي بصير، قال: «دَخَلْتُ
عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، فَقُلْتُ [لَهُ]: جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنِّي أَسْأَلُكَ
عَنْ مَسْأَلَةٍ، هَاهُنَا أَحَدٌ يَسْمَعُ كَلَامِي؟ قَالَ: فَرَفَعَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ
عليه السلام سِتْرًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَيْتِ آخَرَ فَاطَّلَعَ فِيهِ عليه السلام، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا
مُحَمَّدٍ، سَلْ عَمَّا^(٣) بَدَا لَكَ، قَالَ: [قُلْتُ]: جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنِّي
شِيعَتِكَ يَتَحَدَّثُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عليه السلام عَلَّمَ عَلِيًّا عليه السلام بَابًا يُفْتَحُ
[لَهُ] مِنْهُ أَلْفُ بَابٍ، قَالَ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ عَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ
عليه السلام عَلِيًّا عليه السلام أَلْفَ بَابٍ يُفْتَحُ مِنْ كُلِّ بَابٍ أَلْفَ بَابٍ، قَالَ:

(١) سورة النحل، الآية: ٨٩.

(٢) سورة يس، الآية: ١٢.

(٣) في المخطوط: ما بدا لك.

قُلْتُ: هَذَا وَاللَّهِ الْعِلْمُ؟ [قَالَ] فَتَنَكَّتْ سَاعَةٌ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ
 ﷺ: إِنَّهُ لَعِلْمٌ وَمَا هُوَ بِذَاكَ.

قال: ثم قال: يا أبا محمد وإن عندنا الجامعة وما يدريهم ما
 الجامعة؟ قال: قلت: جعلتُ فداك وما الجامعة؟ قال: صحيفةٌ
 طُولُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً بِذِرَاعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِمْلَانِهِ مِنْ فَلَاقِ فِيهِ
 وَخَطُّ عَلِيٍّ ﷺ بِيَمِينِهِ، فِيهَا كُلُّ حَلَالٍ وَحَرَامٍ وَكُلُّ شَيْءٍ
 يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَيْهِ حَتَّى الْأَرْضُ فِي الْخَدَشِ.

وَضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَيَّ فَقَالَ: تَأْذَنُ لِي يَا أبا مُحَمَّدٍ؟ قَالَ: قُلْتُ:
 جُعِلَتْ فُداكَ إِنَّمَا أَنَا لَكَ فَاصِنَعْ مَا شِئْتَ، قَالَ: فَغَمَزَنِي [بِيَدِهِ]،
 وَقَالَ: حَتَّى أَرْضُ هَذَا - كَأَنَّهُ مُغْضَبٌ - .

قال: قلت: هذا والله العلم، قال: إِنَّهُ لَعِلْمٌ وَلَيْسَ بِذَاكَ.
 ثُمَّ سَكَتَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: وَإِنَّ عِنْدَنَا الْجَفْرُ وَمَا يُدْرِيهِمْ مَا
 الْجَفْرُ؟

قال: قلتُ: وَمَا الْجَفْرُ؟ قَالَ: وَعَاءٌ مِنْ آدَمَ فِيهِ عِلْمُ النَّبِيِّينَ
 وَالْوَصِيِّينَ وَعِلْمُ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ مَضَوْا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.
 قَالَ: قُلْتُ: إِنَّ هَذَا هُوَ الْعِلْمُ، قَالَ ﷺ: إِنَّهُ لَعِلْمٌ وَلَيْسَ بِذَاكَ.

ثُمَّ سَكَتَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: وَإِنَّ عِنْدَنَا لُمُصْحَفَ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ،
 [وَمَا يُدْرِيبُهُمْ مَا مُصْحَفُ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ]؟ قَالَ: قُلْتُ: وَمَا
 مُصْحَفُ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ؟ قَالَ: مُصْحَفٌ [فِيهِ] مِثْلُ قُرْآنِكُمْ هَذَا
 ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَاللَّهُ مَا فِيهِ مِنْ قُرْآنِكُمْ حَرْفٌ وَاحِدٌ.

قَالَ: قُلْتُ: هَذَا وَاللَّهُ الْعِلْمُ، قَالَ عَلَيْهَا السَّلَامُ: إِنَّهُ لَعِلْمٌ وَمَا هُوَ بِذَلِكَ.
 ثُمَّ سَكَتَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ عَلَيْهَا السَّلَامُ: إِنَّ عِنْدَنَا عِلْمَ مَا كَانَ وَعِلْمَ مَا
 هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.

قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ هَذَا وَاللَّهُ هُوَ الْعِلْمُ، قَالَ: إِنَّهُ لَعِلْمٌ
 وَكَيْسَ بِذَلِكَ.

قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ فَأَيُّ شَيْءٍ الْعِلْمُ؟ قَالَ عَلَيْهَا السَّلَامُ: مَا
 يَحْدُثُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِ الْأَمْرِ، وَالشَّيْءُ بَعْدَ
 الشَّيْءِ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ^(١)، وَبَاقِي لِهَذَا الْحَدِيثِ بَيَانٌ - إِنْ
 شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى -.

وفي (الصحيفة السجادية [للإمام السجاد] عَلَيْهَا السَّلَامُ) في

(١) أصول الكافي: ١٣٦/١.

دعائه ﷺ (لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ وَكُلِّ مَلَكٍ مُّقْرَبٍ)، وفيه «فَصَلِّ عَلَيْهِمْ» وَعَلَى الرُّوحَانِيِّينَ مِنْ مَلَائِكَتِكَ وَأَهْلِ الزُّكُفَةِ عِنْدَكَ، [وَ] حُمَالِ الْغَيْبِ إِلَى رُسُلِكَ»^(٢)، وفيها^(٣) في دعائه ﷺ (ذكر محمد ﷺ وآله) «وَعَلَّمَهُمْ عِلْمَ مَا كَانَ وَمَا بَقِيَ»^(٤).

وبالجملة: فالروايات والأدعية والآيات صريحة في عموم علمهم ﷺ للغيب، ولكن في مقابلتها رواياتٌ أُخرى نافية لذلك، وآياتٌ قرآنيةٌ كذلك، مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾^(١) وغير ذلك.

ومما خرج عن صاحب الزمان ﷺ رَدًّا عَلَى الغلاة - لعنهم الله - من التوقيع جواباً لكتابٍ كتبه إليه محمد بن علي بن هلال الكرخي على ما رواه في (الاحتجاج) وفيه:

(١) الصحيفة السجادية: ٣٥، بحار الأنوار: ٢١٧/٥٦.

(٢) أي في الصحيفة السجادية.

(٣) الصحيفة السجادية: ٣٩.

(٤) سورة النمل، الآية: ٦٥.

«وَأَشْهَدُكَ، وَأَشْهَدُ كُلَّ مَنْ سَمِعَ كَلَامِي»^(٢) وكتابي هذا أني بريء إلى الله وإلى رسوله ممّن يقول: «إنا نعلم الغيب»^(٣).

[إحاطة الولي على ما وُلي عليه] :

[التنبيه] الرابع: قد عرفت أنّ الأدلة من الكتاب والسنة في إثبات عموم علم الغيب للأربعة عشر عليهم السلام ونفيه كذلك على طرفي نقيض، فلا بدّ من الجمع بينها مع وجود الشاهد عليه، وإلاّ فالترجيح والأخذ به وطرح المرجوح، لكن الشاهد

(٢) هذه الكلمة ليست موجودة في المصدر.

(٣) بصائر الدرجات: ٢٥٢، والاحتجاج: ٥٥٠/٢. وفي هامش كتاب الاحتجاج ذكر محقق الكتاب تعليق للعلامة المجلسي عليه السلام، قال: (المراد من نفي علم الغيب عنهم أنهم لا يعلمونه من غير وحى وإلهام، وأمّا ما كان من ذلك فلا يمكن نفيه إذ كانت عمدة معجزات الأنبياء والأوصياء عليهم السلام الإخبار عن المغيبات، وقد استثناهم الله تعالى في قوله ﴿إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ...﴾ [سورة الجن، الآية: ٢٧] - انتهى. وأضاف محقق الكتاب: (وبعبارة أخرى: علم الغيب من مصطلح القرآن والحديث، وهو العلم بالمغيبات بلا اكتساب ولا تعليم، وهو يختص بالله سبحانه، وأمّا العلم المأخوذ من الله في ذلك المجال (فإنّما هو تعلم من ذي علم) كما عبّر به الإمام علي عليه السلام في بعض خطبه).

على الجميع موجودٌ، وبه يختص عموم كل من الطائفتين
 وبيان الشاهد، قوله تعالى ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(١)، وقولهم
 ﷺ: «لو لم نزداد لنفد ما عندنا»^(٢)، والزيادة حقيقتها فيما
 لم تكن عندهم ﷺ، إذ لا معنى للزيادة أو طلبها لما هو
 موجود عندهم ﷺ؛ لأنَّه مع كونه طلب تحصيل الحاصل
 لا تصدق عليه الزيادة، ضرورة التغاير بين الزائد والمزيد
 عليه، ثم إنه ليس شيء مما يمكن طلبه، والزيادة منه غير
 الإمكان والكون؛ لاستحالة طلب معرفة ذات الواجب،
 والزيادة منها، فلم يَبْقَ إلا الإمكان والكون، ولا جائز أن
 يكون الطلب والزيادة من الكون؛ لِمَا عُلِمَ أنهم محلّ مشيئة
 الله الكونية «وأولياء النعم»^(٣) والقائمين مقام الله تعالى في
 الأداء، ولا يجوز أن يخفى على الولي المطلق شيء ممَّن هو
 وليّ عليه، وإلا لم يكن ولياً مطلقاً، أو أنّ ولايته ناقصة فيكون

(١) سورة طه، الآية: ١١٤.

(٢) بصائر الدرجات: ٢٥٢.

(٣) مقطع من الزيارة الجامعة الكبيرة.

فوقه ولياً مطلقاً.

ومن المعلوم بضرورة مذهب أهل الإسلام أنّ وجود محمد ﷺ قد سبق الكون والمكان، فليس فوقه سابق، وأهل بيته عليهم السلام في ضرورة مذهب الإمامية في مرتبة قد علاهم الله تعالى بتعليته، وسما بهم إلى درجته، وله ﷺ أفضلية السابق في الإجابة كما قال ﷺ: «إِنَّمَا كُنْتُ أَفْضَلُ لِأَنِّي أَوَّلُ مَنْ أَجَابَ نِدَاءَ رَبِّي» فإذا كانوا عليهم السلام أهل الولاية المطلقة كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا صاحب الأُزلية الأولى»^(١)، و«أنا الذي ولايتي ولاية الله تعالى» وقد اتخذهم أولياء من العزّ والتّزه لا من الدّل، كما قال تعالى في الحديث القدسي: «ما وسعني أرضي ولا سمائي، ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن»^(٢) وإن «إِرَادَةَ الرَّبِّ فِي مَقَادِيرِ أُمُورِهِ، تَهْبِطُ إِلَيْكُمْ،

(١) مشارق أنوار اليقين: ٣١٥، من خطبة أمير المؤمنين تسمى (التطنجية)

(٢) «لا يسعني أرضي ولا سمائي، ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن». عوالي اللآليء:

وَتَخْرُجُ ^(٣) مِنْ بَيوتِكُمْ ^(٤)، كان علمهم عليهم السلام ممّا دخل تحت
(كن) علم إحاطة وحضور، إذ يستحيل أن يخفى على الولي
شيءٌ ممّا هو ولي عليه، وإلاّ لكانت الولاية من الحكيم
المطلق عبثاً، ولذلك قال تعالى: ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا
شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ ^(١) وقال عليه السلام في الزيارة: «وَأَجْعَلْكُمْ ^(٢)
شُهَدَاءَ عَلَى خَلْقِهِ»، وقال الحجة عليه السلام: «أَعْضَادُ وَأَشْهَادُ» ^(٣)
فليس شيءٌ ممّا دخل في الوجود إلاّ وهم يعلمون به علم
إحاطة وحضور، سواء كان من الأكوان أو من الأعيان في
جميع العوالم.

^(٣) في المصدر: تَصَدَّرُ.

^(٤) مقطع من الزيارة المطلقة لسيد الشهداء عليه السلام. أصول الكافي: ٥٨٦/٤، كامل
الزيارات: ٣٦٦، تهذيب الأحكام: ٥٥/٤، وسائل الشيعة: ٤٩٢/١٤، بحار الأنوار:
١٥٣/٩٨.

^(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

^(٢) ما بين | | زيادة من المؤلف على النص في الزيارة.

^(٣) مقطع من دعاء خارج من الناحية المقدسة على يد الشيخ الكبير أبي جعفر محمد بن
عثمان بن سعيد، يقرأ في كلّ يوم من أيام رجب. مصباح المتهجد للطوسي: ٨٠٣.

[علم أهل البيت في أوقات وجودها وأمكنتها]:

[التنبيه] الخامس: قد عرفت تصريح الأدلة في أنهم عليهم السلام يعلمون كل ما هو غيب قد دخل تحت (كن)، فاعلم: أنه لا يختلف الحال في ذلك بين ما حضر زمانه أو لم يحضر؛ لأنهم عليهم السلام يعلمون بالشيء قبل وجوده الزماني قبل حضور وقته الزماني، ويعلمون بالموجود الدهري قبل حضور وقته الدهري؛ لأنهم عليهم السلام يعلمون بالأشياء في أوقات وجودها وأمكنتها حدودها، قبل وجودها في الوقتين.

[أدلة علم أهل البيت بالشيء قبل وقته الدهري

والزماني]:

[التنبيه] السادس: قد يتوهم عدم إمكان ذلك؛ لأنَّ الشيء إذا لم يحضر وقته الدهري ولا وقته الزماني، فكيف يمكن أن يكون معلوماً دهرياً أو معلوماً زمانياً؟ فالعلم المفروض جهلٌ، حيث إنه لم يطابق العلم المعلوم.

والجواب عن ذلك من القرآن: دلالة قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾^(١)، وجه الدلالة أنه إنما سُمِّي الشيء شيئاً لأنه شاء يعني وُجِدَ بالمشيئة الكونية.

وقد عرفت فيما سبق أنّ محمداً وآله عليهم السلام هم محلّها، وهم عليهم السلام الشُّهداء على كلِّ من وُجِدَ بها؛ من الماضي والحال والمستقبل بالنسبة إلينا، هذا بدلالة ظاهر الآية.

وبدالاتها التأويلية: أنّ محمداً عليه السلام وآله عليهم السلام خزنة

علم الله تعالى. فافهم.

ومنها: قوله: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾^(٢)، [المَفَاتِحُ]: جمع مَفْتَح، بفتح الميم^(٣)، هي خزائن الغيب، وهم الذين ﴿عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ

(١) سورة الحجر، الآية: ٢١.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

(٣) تفسير مجمع البيان: ٧٠/٤، بحار الأنوار: ٩٧/٨٤.

وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ»^(١) ومنها قول النبي ﷺ «جَفَّ القَلَمُ بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة»^(٢).

وفي حديث الأنوار على ما رواه في (البحار)، عن البكري، عن أمير المؤمنين عليه السلام «إِنَّ اللهَ جَلُّ وَعَلَا، قال للقلم: أكتب قضائي وقدري، وما أنا خالقه إلى يوم القيامة»^(٣).

وعن (المعاني)، عن سفيان، عن الصادق عليه السلام، وفيه: «ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ لِلْقَلَمِ: "أَكْتُبْ" فَسَطَّرَ الْقَلَمُ فِي اللُّوحِ المحفوظ ما كان و[ما] هو كائن إلى يوم القيامة»^(٤).

وعن (العلل)، عن الصادق عليه السلام، أنه تعالى «قال له أكتب، فقال له: يا ربِّ وما أكتب؟ قال: ما هو كائن إلى يوم القيامة، ففعل ذلك، ثم ختم عليه، وقال: لا تنطقنَّ إلى يوم

(١) سورة الأنبياء، الآيتان: ١٩ ، ٢٠ .

(٢) مشارق أنوار اليقين: ٢٥٩ ، العلل: ٤٥/٢ .

(٣) بحار الأنوار: ٣٠/١٥ .

(٤) معاني الأخبار: ٢٣ .

[الوقت] المعلوم»^(٥).

وعن القمّي، عن الصادق عليه السلام: «أول ما خلق الله القلم، فقال له: أكتب، فكتب ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة»^(٦).

وعن (المجمع)، عن الباقر عليه السلام في حديث، وفيه: «فقال للقلم^(٢): أكتب، فكتب القلم ما كان [وما يكون]^(٣) إلى يوم القيامة»^(٤).

[إطلاقات القلم]:

[التبيه] السابع: أن المراد من هذا القلم، هو العقل الكلي، وهو عقل محمد وآل محمد عليهم السلام ويدل عليه ما تقدم من رواية القمّي، عن الصادق مع ما روي عنهم عليهم السلام.

^(٥) العلل: ١٠٦/٢.

^(٦) تفسير القمّي: ١٩٨/٢.

^(٢) في المخطوط: ثُمَّ قَالَ لِلْقَلَمِ.

^(٣) في المخطوط: وما هو كائن.

^(٤) مجمع البحرين: ٩٣/١.

أنه: «أول ما خلق الله العقل»^(٥)، فوحدة الأولية تدل على اتحادهما، وإن اختلفت التسمية باعتبار الحثيات، فيسمى هذا العبد الذليل، الخاشع الخاضع لله تعالى، الطائع له، المنقاد لجميع ما أمروا به، بأسماء متعددة بملاحظة الحثيات، فيسمى عقلاً باعتبار أنه يعقل صاحبه عمّا لا يريدُه الله تعالى، ويحبسه على ما يريدُه، ولذلك جاء عنهم أن العقل «ما عبَدَ به الرَّحْمَنُ، واكْتَسَبَ به الْجِنَانُ، قَالَ السَّائِلُ: وما الَّذِي [كَانَ] فِي معاوية؟ فَقَالَ ﷺ: تِلْكَ النَّكَرَاءُ وَالشَّيْطَانَةُ وَلَيْسَتْ بِالْعَقْلِ، وَإِنَّمَا هِيَ شَبِيهَةٌ بِالْعَقْلِ»^(١).

ويسمى أيضاً بالقلم باعتبار أنه تعالى كُتِبَ به ما كان وما هو كائنٌ وما سيكون.

أقول: والمراد من الكتابة هي إحداث المكونات وإيجاد الموجودات، بقريئة ما في رواية العقل، أنه «لَمَّا خَلَقَ

(٥) مشارق أنوار اليقين: ٦٢، عوالي الآليء: ٩٩/٤، بحار الأنوار: ٩٧/١، شرح نهج البلاغة: ٣٤٩/١٨.

(١) المحاسن: ١٩٥/١، أصول الكافي: ١١/١، معاني الأخبار: ٢٤٠.

الله تعالى [العقل استنطقه، ثم] قال له: أقبل، فأقبل، ثم قال له: أدبر، فأدبر، فقال جلُّ وعلا: وعزتي وجلالي ما خلقتُ خلقاً أحبَّ إليَّ منك، فبك أثيب وبك أعاقب ولا أكملك إلا فيمن أحبُّ»^(٢) والإقبال والإدبار شيءٌ واحدٌ، عبارة عن إحداث من تحته به، وهو معنى كتابة القلم ما كان وما هو كائن.

ويُسمَّى أيضاً: بالروح، كما قال رسول الله ﷺ: «أولُّ ما خلقَ اللهُ رُوحِي»^(١) باعتبار أن به حياة كل من دونه لقوله ﷺ: «أول ما خلق روحى» إلا أنه يُسمَّى بروح القدس.

ورُوِيَ عن (الكافي)، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله ﷺ أنه قال: هو «خلقٌ من خلقِ اللهِ تعالى، أعظمُ من جبرائيلَ وميكائيلَ، كانَ معَ رسولِ اللهِ ﷺ يُخبرُهُ ويُسدِّدُهُ، وهو معَ الأئمةِ ﷺ من بعده»^(٢).

(٢) المحاسن: ١٩٢/١، أمالي الصدوق: ٥٠٣، بحار الأنوار: ٩٦/١، وسائل الشيعة:

٣٩/١.

(١) بحار الأنوار: ٣٠٩/٥٤.

(٢) أصول الكافي: ١٥٦/١.

وفي رُواية: «أنه منذ أنزله الله تعالى على رسوله لم يصعد، فهو مع الأئمة عليهم السلام ولم يكن عند غيرهم»^(٢) وإنما كان بوجه من وجوهه الذي هو شعاعه ونوره عند الأنبياء، وعند نوع الإنسان بشعاع الشعاع كما قال النبي ﷺ لحسان بن ثابت حين مدح أمير المؤمنين عليه السلام يوم الغدير: «لا زلت يا حسان مؤيداً بروح القدس، ما نصرتنا بلسانك»^(٣) وهذا الشرط من النبي ﷺ لعلمه بأنه سيخالف علياً عليه السلام بعد ذلك، وهذا هو الروح من أمر الله في قوله تعالى: ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا﴾^(١)، وهو أول خلقٍ من الوجود المقيّد من الرّوحانيين

^(١) عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، «قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [سورة الشورى، الآية: ٥٢]، قَالَ: خَلَقَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَكْثَرَ مِنْ جِبْرِئِيلَ وَمِيكَائِيلَ، كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُخْبِرُهُ وَيُسَدِّدُهُ وَهُوَ مَعَ الْأئِمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ أَصُولُ الْكَافِي: ١/١٥٦، مختصر بصائر الدرجات: ٢.

^(٢) عن النبي ﷺ: «لا تزال يا حسان مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك»

خصائص الأئمة للشريف الرضي: ٤٢، وفي بحار الأنوار: ٢١/٣٨٨.

^(٣) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

عن يمين العرش، الذي استوى الرحمن عليه برحمانيته، فأعطى كل ذي حق حقه، وساق إلى كل مخلوق رزقه، وهذا هو العرش الغيبي المركب من أربعة أنوار: نور أبيض، ونور أصفر، ونور أخضر، ونور أحمر، فيمينه وهو أعلاه ما سمي بتلك الأسماء عقلاً وقلماً وروحاً.

ويسمى أيضاً: بالقلب لتقلبه في معاني مدركاته، وهو وسط الشيء، كقلب النخلة من حيث إحاطة جميع ما في الوجود المقيّد به للاستمداد وإحاطته على ذلك للإمداد، ويدلّ عليه قول أمير المؤمنين في حديث كميل: «والعقل وسط الكل»^(٢)

ولعله المراد بما في الحديث القدسي: «مَا وَسَعَنِي»^(٣)

أَرْضِي وَلَا سَمَائِي، وَلَكِنْ وَسَعَنِي^(٤) قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ»^(٥)

(٢) بحار الأنوار: ٨٥/٥٨، مجمع البحرين: ٣٤٩/٤.

(٣) في المصدر: لا يسعني.

(٤) في المصدر: يسعني.

(٥) عوالي اللآليء: ٧/٤.

والعبد الحقيقي هو محمد بن عبد الله ﷺ.

ويمكن أن يراد من القلب الذي وسع كل شيء من الفيوضات الإلهية والشئون الربانية هو الحقيقة المحمدية، التي هي النور الذي تنورت منه الأنوار، فتكون السعة على الحقيقة، وأما على الأول فالسعة دون ذلك.

[إطلاقات القلب]:

[التبيه] الثامن: قد يطلق القلب على أركان العرش الغيبي التي هي العقل الكلي، والروح الكلية، والنفس الكلية، والطبيعة الكلية التي هي مستوى الرحمن عليها، رحمانية لإعطاء كل ذي [حق] حقه، والسوق إلى كل مخلوق رزقه، وهذه هي أنوار محمد وآله ﷺ.

وقد يطلق القلب على غير ذلك أيضاً، وتختلف المقامات حينئذٍ بسعة الدائرة وضيقها، وفي أصليتها وفرعيتها.

[معنى النورين الأولين]:

[التبويه] التاسع: النورين الأولين هما الروحان من أمر الله

تعالى.

أمّا تسميتها بالروحين، فلما ورد من الشرع بذلك في قول بعضهم عليه السلام: «إِنَّ [اللهَ عَزَّ وَجَلَّ] خَلَقَ [العقلَ] [وهو] أَوْلُ خَلْقٍ مِنَ الرُّوحَانِيَيْنِ عَنِ يَمِينِ العَرْشِ»^(١) فدلَّ الحديث الشريف على تعدد الأرواح، وأن أولها وأعلاها هو العقل، فاستفدنا من الأولوية، ومن كونه عن يمين العرش أنه هو الركن الأيمن الأعلى من العرش.

كما أن الأولوية قرينة صرف لفظة (عن) عن ظاهرها إلى معنى الظرفية، حيث إنها ظاهرة في المغايرة الحقيقية بينه وبين العرش، ويمكن أن يكون من باب إطلاق لفظ الكل على أكثر أجزائه مجازاً، أو من باب إضافة الجزء إلى الكل.

[أنوار العرش]:

والروحانيون وإن كان جمعاً، وأقله الثلاثة، إلا أنه قد

(١) أصول الكافي: ١/١٦، المحاسن: ١/١٩٦، الخصال: ٥٨٩، العلل: ١/١٣٩.

عَلِمَ من الخارج أن أركان العرش أربعة، بل يدلّ عليه ما روي عن تفسير علي بن إبراهيم في حديثٍ طويلٍ، بسنده عن أبي الطفيل، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «جاء رجلٌ إلى أبي علي بن الحسين عليه السلام ... إلى أن قال عليه السلام: وأما ما سئل عنه من العرش فإن الله تعالى خلقه أرباعاً، لم يخلق قبله إلا ثلاثة أشياء: الهواء، والقلم، والنور، ثمّ خلقه من أنوارٍ مختلفة: فمن ذلك النور، نور أخضر اخضرت منه الخضرة، ونور أصفر اصفرت منه الصفرة، ونور أحمر احمرت من الحمرة، ونور أبيض وهو نور الأنوار، ومنه ضوء النهار... إلخ»^(١).

أقول: قد دلّ الحديث الشريف على أنّ العرش مربعٌ ذا أركان أربعة، وأن تلك الأركان أنوار. ودلّ أيضاً على ألوانها، وأنها أصل ألوان ما سواها من البياض والصفرة والخضرة والحمرة.

لكن بقي شيءٌ في الحديث الشريف، وهو: أنّ الترتب

(١) التوحيد: ٣٢٥، مجمع البحرين: ١٥٢/٣.

الطبيعي يقتضي أن يكون الترتب اللفظي على حسبه كما ذكرنا نحن على ما هو الواقع، فيقدم النور الأبيض، ثم الأصفر، ثم الأخضر، ثم الأحمر، ولكن الأمر في ذلك سهل؛ لجواز كون الإمام عليه السلام بصدد تربع العرش وبيان أركانه وألوانها دون ترتيبها، مع عربية كون واو العطف لمطلق التشريك، سواء كان معه ترتيب أم لا، بل قد أشار عليه السلام إلى تقدم العقل الذي هو النور الأبيض على الجميع في قوله عليه السلام وهو نور الأنوار، إمّا بجعل الألف واللام للعهد الذكري، أو للاستغراق، أو على حدّ الآخر، لكن الذي يفيد الترتب صريحاً، هو قول جدّه أمير المؤمنين عليه السلام في جوابه للجائليق على ما روي عن (الكافي) عن عدّة من أصحابه، وفيه: «إنّ العرش خلقه الله تعالى من أنوار أربعة: نور أحمر منه احمرّت الحمرة، ونور أخضر منه اخضرّت الخضرة، ونور أصفر منه اصفرّت الصفرة، ونور أبيض منه ابيضّ البياض...»^(١)

(١) أصول الكافي: ٧٥/١، بحار الأنوار: ٧٠/٣٠.

وهو ﷺ قد ابتداءً بالأسفل صاعداً إلى الأعلى، سير من الأعلى يبطله ما تقدم، عن علي بن الحسين ﷺ من إنَّ النور الأبيض هو نور الأنوار^(٢).

وكيف كان: فقد دلَّ الحديثان الشريفان على أنَّ كلَّ بياضٍ، وكلَّ صفرةٍ، وكلَّ خضرةٍ، وكلَّ حمرةٍ فهي من هذه الأنوار الأربعة، حتى أنه ورد عن النبي ﷺ: «أنَّ الورد الأحمر [خُلِقَ] من عَرَقِ جبرائيل، وأنَّ الورد الأصفر [خُلِقَ] من عَرَقِ البَراق^(٣)»^(٤)، لأنَّ جبرائيل ﷺ هو حامل ركن العرش الأيسر الأسفل، الذي هو النور الأحمر، الذي هو الطبيعة الكلية لأجل الخلق.

والرواية الثانية تشير إلى أنَّ البَراق من شعاع الروح الكلية.

(٢) سبق ذكر الرواية في الصفحة السابقة من كتاب التوحيد: ٣٢٦.

(٣) في المصدر: من البراق.

(٤) مكارم الأخلاق: ٤٤.

[إطلاق الأنوار الأربعة على الملائكة]:

[التبيه] العاشر: أن هذه الأنوار الأربعة تُسَمَّى بالملائكة، لوجود مبدأ الاشتقاق فيها، وهو الرسالة على أحد القولين، من اشتقاقه من الألوكة التي هي الرسالة^(١)، أو على القول الثاني من اشتقاقه لآك إذا أرسل، وعلى كلا القولين فمبدأ اشتقاق ملك موجودٌ في هذه الأنوار الأربعة؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ منها يتلقى المدد الإلهي ممَّا فوقه، ويوصله إلى ما تحته ويشير إلى التسمية المذكورة، قوله تعالى في سورة ص: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾^(٢).

(١) ملائكة جمع ملك وأصله ملاك مفعول من الألوكة، بمعنى الرسالة. عمدة القاري:

وجه الدلالة أن قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ مِنَ الْعَالِينَ﴾
يجري مجرى الاستثناء من قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ﴾
ولا ينافي ذلك التوكيد بكل وأجمع^(١)؛ لكونه إضافياً بقرينة
ذكر ﴿الْعَالِينَ﴾.

[آل محمد العالون الذين لم يسجدوا لآدم]:

والحاصل: أن الآية الشريفة تشير إلى أنّ كلّ من كان
أعلى رتبةً من آدم ﷺ فيسمون بالملائكة، ولكنهم ليسوا
مأمورين بالسجود، وأنّ المأمور بالسجود هو من كان في
رتبة آدم ومن هو دُونه، ولا ينافي ذلك كون إبليس على
مذهب أهل البيت عليهم السلام، ليس داخلًا في الملائكة، إذ هو
من باب تغليب الأشراف على غير الأشراف كتشبيه الشمس
والقمر بالقمرين، لكون المذكر أشرف من المؤنث.
أو أنه لما كان مع الملائكة يعبد الله العبادة المجتثة

(١) يشير - أعلى الله مقامه - إلى قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾.

السراب، جُعِلَ منهم في ظاهر الحال، وَسُمِّيَ باسمهم كما سُمِّيَ الأول والثاني بالشمس والقمر في قوله تعالى إن: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾^(١)، وهو وادٍ من أودية جهنم لما سموهم أتباعهم بدينك الأسمين^(٢)، وقد جاءت الروايات عن الأئمة عليهم السلام: «أن سجود الملائكة لآدم عليه السلام لله تعالى عبودية، ولآدم عليه السلام تعظيماً لكون محمد وآل محمد عليهم السلام في صلبه»^(٣) والشَّيء لا يعظم نفسه، فكان العالون هم محمد وآله عليهم السلام فتسمى حينئذ مراتب غيبهم بالملائكة.

وفي (الصافي)، عن (المعاني)، عن سفيان، عن الصادق

(١) سورة الرحمن، الآية: ٥.

(٢) تفسير فرات الكوفي: ٣٤٣/٢، تفسير سورة الرحمن.

(٣) «... إن الله تعالى لما خلق آدم، وسواه، وعلمه أسماء كل شيء وعرضهم على الملائكة، جعل محمداً وعلياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام أشباحاً خمسة في ظهر آدم، وكانت أنوارهم تضيء في الآفاق من السماوات والحجب والجنان والكرسي والعرش، فأمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم، تعظيماً له أنه قد فضله بأن جعله وعاء لتلك الأشباح التي قد عم أنوارها الآفاق» تفسير الإمام العسكري: ٢١٩، قصص الأنبياء: ٦٦.

ﷺ، قال: «وأما | نون |^(١) فهو نهرٌ في الجنة، قال الله عزَّ وجلَّ: أجمد فجمد، فصار مداداً، ثُمَّ قَالَ عزَّ وجلَّ للقلم: أكتب فسطر القلم في اللوح المحفوظ ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، فالمداد مدادٌ من نور، والقلم قلمٌ من نور، واللوحة لوحٌ من نور.

قال سفيان: فقلت له: يا بن رسول الله ﷺ بيّن لي أمر اللوح والقلم والمداد، فضل بيان، وعلمني مما علمك الله؟ فقال: يا بن سعيد، لو لا أنك أهلٌ للجواب ما أجبتك، فنون ملك يؤدي إلى القلم، وهو ملك، والقلم يؤدي إلى اللوح، وهو ملك ... الخ»^(٢)

وعن الباقر والصادق عليهما السلام «أن الروح ملك أعظم من جبرائيل وميكائيل، ولم يصعد إلى السماء، وأنه لفينا»^(١).

(١) ما بين المعقوفتين | | من المؤلف.

(٢) التفسير الصافي: ٢٠٧/٥، تفسير سورة القلم الآية: ٥٢.

(١) في (أصول الكافي: ١/١٥٧) عن أسباط بن سالم، «قَالَ: سَأَلَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ هَيْتَ وَأَنَا حَاضِرٌ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [سورة

وهذا هو روح القدس الذي هو عقلهم ﷺ، الذي هو الركن الأيمن الأعلى من العرش، وهو النور الأبيض الذي منه ابيض البياض، ومنه ضوء النهار.

[في معنى الروح والأمر]:

[التبيه] الحادي عشر: فقد عرفت أنه يُسَمَّى كل واحدٍ من الأنوار الأربعة بالروح، فاعلم أنه تختص الأوليتان باسم الروح من أمر الله، والروح من أمر الرب، قال تعالى:

الشورى، الآية: ٥٢] فَقَالَ: مُنذُ أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ الرُّوحَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، مَا صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ وَإِنَّهُ لَفِينَا.

في (بصائر الدرجات: ٤٧٦) عن سماعة بن مهران، قال سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول: «إن الروح خلق أعظم من جبرائيل وميكائيل، كان مع الرسول ﷺ يسدده ويرشده، وهو مع الأوصياء من بعده»

وفي (بصائر الدرجات: ٤٧٧) عن زرارة، عن أبي جعفر ﷺ، في قول الله عزَّ وجلَّ «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نُّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا» [سورة الشورى، الآية: ٥٢]، فقال أبو جعفر ﷺ: منذ أنزل الله ذلك الروح على نبيه ما صعد إلى السماء وأنه لفينا»

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾^(١)، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ
الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^(٢)، ويطلق أحدهما على
الأخرى، وقد يفرق بينهما، فتختص الأولى بالأول، والثانية
بالثاني.

والمراد بالأمر هو عالم الأمر في قوله تعالى: ﴿الْأَلَهُ
الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾^(٣)، وعالم الأمر شيان:

أحدهما المشيئة بمراتبها، والثاني متعلقها، وهو المصدر
الذي هو المفعول المطلق المؤكد للفعل، وهو الحقيقة
المحمدية.

وحينئذ: فيحتمل في الأمر الذي كون الروح منه هو
عالم الفعل، ويكون خبر الروح الذي هو المبتدأ محذوفاً،
وهو صادر في الآية الثانية، يعني: أنك تجيب يا رسول الله
السائلين هكذا: (الروح صادر من أمر ربي)، وفي الآية الأولى

(١) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

يقدر الصادر وصفاً للروح.

ويحتمل: أن المراد من الأمر هو الثاني، الذي هو المصدر، فيكون الأمر مادة للروح، وهي مركبة منه ومن قابليته التي هي الزيت في قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾^(١)، ويرجح هذا الاحتمال خلوه من الحذف الذي هو خلاف الأصل وموافقة النظائر من التراكيب، مثل الخاتم من فضة أو من حديد، والثوب من القطن أو من صوف، ونحو ذلك من كون مدخول من هو "المادة".

ويدل عليه أيضاً: ما ورد «أن العقل هو أول ما خلق الله تعالى»^(٢) مع ضرورة أنه ممكن وكل ممكن زوج تركيبى، ولم يخلق الله تعالى فرداً قائماً بذاته، فإذا كان العقل مركباً فهو مسبوق بجزئية، وفعل الله تعالى الذي هو مشيئته، ينزه عن أن يكون مادة لشيء؛ لبطلان وحدة الوجود كما بطلت وحدة الوجود، فانحصر كون مادة العقل هو أمر الله

(١) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٢) في (عوالي اللآليء: ٩٩/٤) في حديث عن النبي ﷺ: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ»

المفعولي، ولذلك جاء عن الحسن العسكري عليه السلام: «روح القدس في جنان الصاقورة، ذاق من حدائقنا الباكورة»^(١)، يعني أن حدائقنا التي غرسناها بأيدي الجود والكرم.

أول من ذاق من ثمرها، الذي هو الوجود، هو روح

القدس، الذي هو عقلهم عليهم السلام.

وَرَوَى أَيْضاً عَنْهُمْ عليهم السلام أَنَّهُ «أَوَّلُ غَصْنٍ نَبَتَ مِنْ شَجَرَةِ

الخلد»، فيطلق على العقل وعلى الروح التي هي برزخ بينه

وبين النفس، الروح من أمر الله، ويسميان معاً بالروح التي دعا

لهما علي بن الحسين عليهما السلام بالصلاة في (الصحيفة السجادية)،

في دعائه بـ (الصلاة على حملة العرش وكل ملك مقرب)،

بقوله عليه السلام: «وَالرُّوحُ الَّذِي هُوَ مِنْ أَمْرِكَ» بعد قوله عليه السلام:

(١) بحار الأنوار: ٢٦٥/٢٦ و ٣٧٨/٧٥.

وفي هامش البحار المذكور ورد: الصاقورة: السماء الثالثة، وباطن القحف المشرف

على الدماغ، والمراد الأول.

والباكورة: أول ما يدرك من الفاكهة، وأول كل شيء.

«وَالرُّوحُ الَّذِي [هُوَ] عَلَى مَلَائِكَةِ الْحُجُبِ»^(٢) وهما النفس والطبيعة، الركنان، الأعلى والأسفل عن يسار العرش، وهما ملكان أيضاً كما عرفت.

[الفرق بين الروحين]:

[التبنيه] الثاني عشر: قد يفرق بين الروحين الأولين، بأن الأولى هي الروح من أمر الله، والثانية هي الروح من أمر الرب كما جاء بذلك القرآن الشريف، ويدل على الفرق التغاير في الأثر، وهو أن العقل هو الركن الأيمن الأعلى، والروح هي الركن الأيمن الأسفل، وتغاير الأثر يدل على تغاير المؤثر، ولما كان العقل هو أول عالم الخلق، وليس بعده من عالم الخلق إلا الروح، وأول أسماء الواجب تعالى هو الله، وثاني الأسماء هو الرحمن، كان العقل من أمر الله، والروح من أمر الرب الذي هو الرحمن، أي: المربي، إذ ليس بعد اسم الله تعالى إلا اسم الرحمن، ولذلك يقع صفة له.

(٢) من دعاء (في الصلاة على حملة العرش وكل ملك مقرب) الصحيفة السجادية: ٣٤.

ولا يجوز أن يكون الله تعالى صفة للرحمن، وليس بعد العقل إلا الروح الكلية التي هي النور الأصفر في أسفل يمين العرش، فتكون ثاني موجود من الوجود المقيد بثاني اسم من أسماء الله تعالى وهو الرحمن.

وكما لا يجوز أن يكون اسم الجلالة صفة للرحمن، فلا يجوز أن يكون العقل صفة للروح الكلية، لمعلومية أنّ الصفة الغير الذاتية أنزل رتبة من الموصوف، وكل ما هو أنزل فهو وصف للأعلى، سواء كان بلا واسطة أو بواسطة أو وسائط.

[المراد بملائكة الحجب]:

[التنبيه] الثالث عشر: قد عرفت ما في دعاء علي بن الحسين عليه السلام في (الصحيفة) من الصلاة على الروح الذي على ملائكة الحجب، وهما: النفس الكلية، والطبيعة الكلية، الركنان الأعلى والأسفل من يسار العرش.

والمراد بملائكة الحجب هم حقائق الأنبياء، لما روي عن الصفار في (بصائر الدرّجات)، عن الصادق عليه السلام، وقد

سُئِلَ عن الكروبيين، فقال: «قومٌ من شيعتنا من الخلق الأوَّل، جعلهم الله تعالى خلف العرش، لو قَسِمَ نورٌ واحدٌ منهم على أهل الأرض لكفاهم»، [ثُمَّ قَالَ: «و] لَمَّا سَأَلَ موسى ﷺ الله ما سأل، أمرَ رجلاً من الكروبيين فتجلى للجبل، فجعله دكاً»^(١)، وقد رواه أيضاً في (الصافي)^(٢)، عن (البصائر)، عن الصادق عليه السلام.

أقول: وجه الدلالة أنه ليس أوَّل شعاع لهم عليه السلام إلاَّ حقائق الأنبياء، وليس خلف العرش بغير واسطة من سواهم إلاَّ الأنبياء عليه السلام.

فإن قلت: إنه إذا كان العرش الغيبي الذي هو عقلهم عليه السلام وروحهم ونفسهم وطبيعتهم، هو مستوى الرحمن عليه، لإعطاء كلِّ ذي حقِّ حقَّه، والسُّوق إلى كلِّ مخلوقٍ رزقه، فيعدُّ هذا العرش موادهم ومثالهم وجسمهم عليه السلام، وحينئذٍ فإما أن تكون حقائق الأنبياء أسبق من هذه المراتب الثلاث؛

(١) بصائر الدرجات: ٨٩، مستطرفات السرائر: ٥٦٩.

(٢) تفسير الصافي: ٢٣٥/٢.

فتكون أشرف وأعلى في الرتبة، أو يكون الجميع أهل رتبة واحدة، أو تكون المراتب الثلاث داخلة في العرش.

والجواب: والله العالم أنّ لحقائق الأنبياء لحاظان:

أحدهما: من حيث الإصدار والإيجاد.

والثاني: من حيث أنهم أشعة أنوار أهل البيت عليهم السلام،

أي: شعاع آخر مرتبة من مراتبهم عليهم السلام التي هي أجسامهم

أو أجسادهم الأصلية، وهناك صورة ثالثة، وهي لحاظ

الإيجاد والشعاعية.

ولا يجتمع اللحاظان معاً إلا في حقائق الأنبياء عليهم السلام

لأن مواد الأئمة عليهم السلام ومثالهم وأجسامهم هي عالم شهادة

غيبهم عليهم السلام، وهو ليس شعاعاً لعالم الغيب، بل هو من سلسلة

العرض لا من سلسلة الطول، فيختص أول شعاع من وجد

بحقائق الأنبياء عليهم السلام، وحينئذ فيصدق على حقائق الأنبياء

أنهم شيعتهم، وأنهم الخلق الأول.

وأما تسميتهم ملائكة: فلما عرفت من وجود مبدأ

الاشتقاق فيهم - صلوات الله عليهم أجمعين - .

وأما أنهم حجب: فلأن كل شعاع فهو حجاب لذلك

المنير، ومنه تعرف معنى ما ورد عنهم عليهم السلام: «إنَّ لله سبعين

ألف حجاب من نور [وسبعين ألف حجاب] من ظلمة لو

كشفها^(١) لأحرقت سبحات وجهه [ما] انتهى^(٢) إليه بصره»^(٣).

بقي شيء، وهو أنَّ المراد من الملائكة الكرويين

الحجب، هل هو جميع حقائق الأنبياء عليهم السلام أو خصوص

أهل الشرائع منهم، أو خصوص أولي العزم أنهم ظاهر من

التبعية يقتضي نفي الأول - والله أعلم - .

ثم إنَّ هؤلاء الكرويين الذين سمَّاهم الصادق عليه السلام به

في خبر (البصائر)، قد سمَّاهم جده سيد الموحدين، أمير

المؤمنين عليه السلام في حديث كميل بن زياد بها كل التوحيد في

قوله عليه السلام: «نُورٌ أَشْرَقَ مِنْ صُبْحِ الْأَزَلِ، قَيْلُوحٌ عَلَى هَيَاكِلِ

(١) في المخطوط: لو بدا واحد منها.

(٢) في المخطوط: كلما انتهى.

(٣) بحار الأنوار: ٣١/٧٣.

التَّوْحِيدِ آثَارُهُ» وَسَمَّاهُمُ الصَّادِقَ ﷺ فِي خَيْرِ عَاصِمٍ
بِالْحِجَابِ بِقَرِينَةٍ مَا فِي دَعَاءِ (الصَّحِيفَةِ) عَنْ زَيْنِ الْعَابِدِينَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ أَنَّ الرُّوحَ الَّذِي هُوَ يَسَارُ الْعَرْشِ عَلَى مَلَائِكَةِ
الْحِجَابِ بِقَرِينَةٍ مُقَابِلَتِهَا لِلرُّوحِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ.

[كل شيء لا يتجاوز ما وراء مبدأه]:

[التنبيه] الرابع عشر: إذا عرفت ما سطرناه وما تلوناه،
فاعلم أنَّ كلَّ شيءٍ لا يتجاوز ما وراء مبدأه، ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ
مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾^(١)، «وَأِنَّمَا تَخُذُ الْأَدْوَاتُ أَنْفُسَهَا؛ وَتُشِيرُ الْأَلَاتُ
إِلَى نَظَائِرِهَا»^(٢)، إذ لو تجاوز الشيء ما وراء مبدئه لم يكن
المبدأ مبدأ، بل ما تجاوز إليه، ثمَّ ننقل الكلام إليه، فالإمكان
والممكن يستحيل أن يصل إلى الأزل، أو يرتبط به، أو يقترن
به، وإلا لخرج الإمكان إلى الأزلية، أو الأزل إلى الإمكانية،
وهذا ما اتفقت عليه أهل العقول الآخذون من مشكاة النبوة؛

(١) سورة الصافات، الآية: ١٦٤.

(٢) الاحتجاج: ٤٧٦/١، بحار الأنوار: ٢٥٤/٤، شرح نهج البلاغة: ٥٤/١٣.

من استحالة انقلاب الحقائق.

فذات الواجب لا تُدرك ولا تُكتنه، ولا يعرف أحدٌ كيف هو إلا هو، ومعرفة غيره له خلق وفي الخلق، ولا يعزب عنه شيء من الخلق، فالأشياء والإمكان وما حوله حاضرة عنده في ملكه، في أوقات وجودها، وأمكنة حدودها، فالأول والآخر منها، وظاهرها وباطنها على حدّ سواء، ليس عند ربك انتظارٌ ولا استقبالٌ.

سبحان من لا غاية له ولا نهاية له في الكمال، ولا حدٌ لقدرة ذي الجلال، فقد جفّ قلم الابتداع والاختراع بذلك، وفيما هنالك جفافاً كلياً حقيقياً فعلياً.

سبحان من هو وراء ما لا يُتناهى بما لا يُتناهى، فهو جلٌّ وعلا عالمٌ في الأزل الذي هو عين ذاته بمن سواه في الإمكان قبل وجوده عند نفسه وعند مثله.

سبحان ذي القدرة الباهرة، والحكمة البالغة.

[طلب النبي ﷺ الزيادة من العلم الإمكانى]:

فهذا البحر الذي لا ساحل له ولا غاية ولا نهاية ولا أولية له ولا آخرية إلا عند خالقه وبارئه ومنشئه المحيط به، هو منبع الزيادة التي طلبها نبينا ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(١)، وقول أحد الأئمة «لو لم نزداد لنفد ما عندنا»^(٢)، وتلك الزيادة هي التي تعلق به المشيئة الكونية في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾^(١) إذ المراد من العلم هو الإمكان، إذ يستحيل أن يُراد منه ذات الواجب؛ لتطرق المفاسد المستحيلة من تجزئة الذات وإحاطة الحادث بها.

هذا على فرض كون الاستثناء متصلاً، الذي هو الأصل فيه، ويمكن كونه منقطعاً.

ويُراد من العلم الذات^(٢) مع التصرف فيما ظاهره من

(١) سورة طه، الآية: ١١٤.

(٢) الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام، كما في بصائر الدرجات: ٢٥٢.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) في المخطوط: ويراد من العلم هو الذات.

اللفظ التجزئة بإرادة الصفات الذاتية.

وإن كان التعدد منفيًا في نفس الأمر والواقع، بل الصفات هي عين الذات، مصداقًا ومفهومًا واقعًا في نفس الأمر بكل وجهٍ واعتبارٍ، وبذلك يبطل كون الاستثناء منقطعًا، ويتعين الاتصال.

[آل محمد ﷺ الحاملون لمشيئة الله]:

[التنبية] الخامس عشر: ما تعلقت به مشيئة الله تعالى الكونية من ذلك البحر الغير متناهي الذي كتبه قلم العقل، ما كان وما هو كائنٌ إلى يوم القيامة، فقد جَفَّ فيه هذا القلم، ولا يكتب فيه، إذ قد خُتِمَ على فمه فلا يُنطق به أبدًا.

وهذا القسم يعلمه محمد ﷺ وآله ﷺ لأنهم محلّ مشيئة الله تعالى، ولا تتعلّق المشيئة بشيءٍ من هذا القسم إلاّ بهم، فهم ﷺ الحاملون لمشيئة الله تعالى لكلّ مذروءٍ ومبروءٍ على ما تحكية آية الحديد المحمية بالنار، فهي آية حقيقتهم والنار آية فعل الله تعالى، والإحراق آية الكائنات.

[الأدلة الثلاثة في ثبوت أن آل محمد محل المشيئة

[الإلهية]:

أما أنهم عليهم السلام محلّ مشيئة الله تعالى والحاملون لها فيدل عليه دليل الحكمة، ودليل العقل، ودليل النقل.

[الأول: دليل الحكمة]:

أمّا الأول: فإن مشيئة الله المتعلقة بإحداثك وإيجادك، هل هي عين المشيئة المتعلقة بإيجاد فعلك ومفعولك، أو غيرها؟ وهل أنت وفعلك ومفعولك متساوون في رتبة القرب إلى فعل الله تعالى، أو لا؟.

ولا تقدر أن تقول بالأول لشهادة كون فعلك أثراً ووصفاً لك، ومفعولك أثراً ووصفاً لفعلك، فمفعولك بفعلك، وفعلك بك، فالترتب المشاهد المحسوس في هذه الآية الأنفسية أثر الترتب في فعل الله، المتعلق بخلق تلك المراتب، فأنت أثر فعل الله ومشيئته، وحامل أثر تلك المشيئة إلى فعلك،

وأنت وفعلك حاملان أثر أثر المشيئة إلى مفعولك، فأنت باب فعل الله تعالى ومشيئته إلى فعلك، وأنت وفعلك بابان لمشيئة الله تعالى إلى مفعولك، فلا يصل المدد من الله تعالى إلى الأسفل إلا بتوسط الأعلى.

وأيضاً: الشعلة حاملة لأثر فعل النار إلى الشعاع الأول، وهو والشعلة حاملان لأثر الأثر إلى الشعاع الثاني وهكذا. فالعالي في كل المراتب بابٌ لمدد السافل من مشيئة الله تعالى.

[الثاني: دليل العقل]:

الثاني: قاعدة إمكان الأشرف، واستحالة الطفرة في الوجود.

فالأشرف يُقَوِّي قابلية غير الأشرف لقبول الوجود، فلا يصل إليه أثر المشيئة إلا بواسطة، فالأشرف حاملٌ لفعل الله تعالى إلى غير الأشرف.

وأيضاً: الشريعة الغراء هي آثار أوامر الله تعالى ونواهيه،

والحامل لها هو رسول الله ﷺ وخلفائه عليهم السلام، فالله تعالى
خاطب عباده، وكلفهم على لسان أوليائه وحججه **«اللَّهُ أَعْلَمُ
حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ»** ^(١)، وقال رسول الله ﷺ: **«لا تجد حقاً
عند أحدٍ إلا بتعليمي وتعليم عليّ عليه السلام»** ^(٢).

وكما أنهم عليهم السلام الحاملون لخطابات الله جلّ وعلا في
التشريع، فهم الحاملون أيضاً لخطاباته في التكوين.
وكما أنهم محلّ لخطابه التشريعي، فهم محلّ المشيئة
في التكوين.

ولا تتوهم أنه من القياس الممنوع، بل هو مقتضى

^(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

^(٢) عن محمد بن سنان، عن ابن عباس قال: «كنا عند رسول الله ﷺ فأقبل علي بن
أبي طالب عليه السلام، فقال له النبي ﷺ مرحباً بمن خلقه الله قبل أبيه آدم بأربعين ألف
سنة. قال: فقلنا: يا رسول الله أكان الإبن قبل الأب؟ فقال: نعم، إن الله خلقني
وعلياً من نورٍ واحدٍ قبل خلق آدم بهذه المدة ثمّ قسمه نصفين، ثمّ خلق الأشياء من
نوري ونور عليّ، ثمّ جعلنا عن يمين العرش، فسبحنا فسبحت الملائكة، وهللنا
فهللوا، وكبرنا فكبروا، فكلّ من سبّح الله وكبره فإن ذلك من تعليمي وتعليم
عليّ». مشارق أنوار اليقين: ٧٨، بحار الأنوار: ٣٤٥/٢٦.

الحكمة من وضع الأشياء في محالها: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾^(١)، «ما وسعني أرضي ولا سمائي، ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن»^(٢).

أفلا ترى إن الله تعالى أجرى رزق عيالك على يدك، وأجرى الأمان على يد السلطان، وأجرى غذاء الثمار على أصول النخيل والأشجار، وأجرى غذاء الجنين في غذاء أمه: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَتَذِيرًا ۖ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾^(٣)، ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... الخ﴾^(٤)، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾^(٥)، فهم ﷺ يده الباسطة بالنعيم، وأذنه الواعية، ولسانه المعبر عنه في بريته - سبحانه من لم يتخذ ولياً من الدل، وإنما اتخذه من العزّ والتنزه والتكبر

(١) سورة الملك، الآية: ٣.

(٢) في الحديث القدسي، قَالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: «لا يسعني أرضي ولا سمائي، ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن». عوالي اللآليء: ٧/٤، بحار الأنوار: ٣٩/٥٥.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٤٥ و ٤٦.

(٤) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٥) سورة النحل، الآية: ٧٤.

والتجبر -، فـ «أَقَامَةٌ فِي سَائِرِ مَقَامَةِ الْأَدَاءِ فِي عَالَمِهِ»^(٦).
ومع هذا فهو جلٌّ وعلا «المالك لِمَا مَلَكَهُمْ، والقادر
على ما أقدرهم عليه»^(١)، ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْتَنِ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ
حِسَابٍ﴾^(٢).

ومع هذا فهم وما أعطاهم في ملكه وفي قبضته، لا
يستقلون عنه طرفه عين «قولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا كنه ما
جعل الله لنا، واجعلوا لنا ربا نؤوب إليه»^(٣)، وقال سيدهم
محمد بن عبدالله ﷺ: «الفقر فخري وبه افتخر»^(٤)، فهم
الفقراء الحقيقيون إلى الله تعالى.

(١) من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام، اتفق يوم جمعة والغدير، مصباح المتعجب: ٧٥٣،

مصباح الكفعمي: ٨٨٢.

(٢) بحار الأنوار: ١٤٠/٧٤.

(٣) سورة ص، الآية: ٣٩.

(٤) عن كامل التمار، قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام ذات يوم، فقال لي: «يا كامل. اجعلوا لنا ربا نؤوب إليه، وقولوا فينا ما شئتم. قال: فقلت: نجعل لكم ربا تؤوبون إليه ونقول فيكم ما شئنا؟ قال: فاستوى جالسا، فقال: ما عسى أن تقولوا، والله ما خرج إليكم من علمنا إلا ألف غير معطوفة». مختصر بصائر الدرجات: ٥٩.

(٥) عوالي اللآليء: ٣٩/١، بحار الأنوار: ٥٥/٦٩.

[الثالث: دليل النقل]:

الثالث: دليل النقل، منه قولهم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِرَادَةُ الرَّبِّ فِي مَقَادِيرِ أُمُورِهِ تَهْبِطُ إِلَيْكُمْ»^(٥)، ومنه قولهم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «نَحْنُ مُحَالٌّ مَشِيئَةُ اللَّهِ وَأَلْسِنَةُ إِرَادَتِهِ»، «السَّلامُ عَلَى مُحَالٍّ مَشِيئَةُ اللَّهِ»، ومنه دعاء الحجة عَلَيْهِ السَّلَامُ، لكلَّ يومٍ من شهر رجب، وفيه: «أَسْأَلُكَ بِمَا نَطَقَ فِيهِمْ مِنْ مَشِيئَتِكَ»^(١)، والأدعية والروايات والآيات كثيرة في هذا المعنى، وقد اقتصرنا على ما تقوم به الحجة، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ غِنًى وَكِفَايَةً لِمَنْ لَزِمَ الْإِنْصَافَ، وَجَانِبَ التَّكْلُفِ وَالْإِعْتِسَافِ.

[مناقشة القول بتدرجية الموجودات]:

[التنبیه] السادس عشر: إن ما دخل تحت المشيئة الكونية مما كتبه القلم، مما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة قد يُتوهم فيه عدم صحته؛ لشهادة الوجدان والعيان على تدرجية

(٥) أصول الكافي: ٥٨٦/٤، باب زيارة قبر أبي عبدالله الحسين بن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(١) مصباح المتعبد: ٨٠٣، مصباح الكفعمي: ٦٧٥.

الموجودات، فأهل المائة الرابعة بعد الألف يكونون موجودين مع أهل المائة الثالثة، ولا أهل المائة الثالثة مع أهل المائة الثانية، وهكذا - سبحانه من «يُهْلِكُ مَلُوكًا وَيَسْتَخْلِفُ آخَرِينَ»^(٢) - وهكذا الثمار والنخيل والأشجار والنبات والحيوان.

والحاصل: إن تدريجية الموجودات وتجدها مما لا يمكن إنكاره، وهو ينافي حديث جفاف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة.

قُلْتُ: والجواب عن ذلك، إن روايات جفاف القلم معتبرة كثيرة، فلا يمكن طرحها أو رفع اليد عنها، وما ترى من المنافاة، فإنها في نظرنا الضعيف الجزئي، وأمّا بالنسبة إلى الأعلى فلا، إذ الأعلى إذا كان محيطاً بالأسفل وبجميع شئونه وأطواره وأكواره وأدواره وجميع وجوداته إلى آخر مراتبها، فلا تكون تلك الأشياء بالنسبة إلى الأعلى تدريجية بل نسبتها

(٢) مقطع من دعاء الافتتاح. مفاتيح الجنان: ٢٣٣.

إليه على حدِّ سواء، فهي ليست تدريجية بالنسبة إليه، بل الأشياء بجميع ما لها وعنهما وما ينسب إليها، أعلاها وأسفلها، أشرفها وأدناها، عللها ومعلولاتها كلها حاضرة عنده في ملكه، لا حرم الأمن والأمان، فإن ﴿مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾^(١)، ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾^(٢)، وإنما هي أشياء يبيديها لا أشياء يبتديها، كيف؟ وليس عند ربك انتظارٌ ولا استقبال، إذ المنتظر فاقدٌ للكمال التام، فإن ما لله كله بالفعل، وما بالفعل أشرف ممّا بالقوة برهانٍ من الآيات الآفاقية.

إذا نظرت بجارحة بصرك إلى هذه الصفحة من الكتابة تجد أن نسبة بصرك إلى ما فيها من الكلمات المكتوبة على حدِّ سواء، مع أنها في نفسها مترتبة وعند الكاغد^(٣)، وما هو في رتبته مترتبة أيضاً.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٢) سورة يونس، الآية: ٦١.

(٣) الكاغد: بفتح العين، القرطاس، معرب. القاموس المحيط: ٣٣٣/١، تاج العروس:

ولو كان عندك حلقة حيوانات تدور فليس لها أول وآخر ووسط عندك، مع أنها عند نفسها وعند من هو في مرتبتها لبعضها تقدّم، وبعضها توسط، وبعضها تأخر، وليس ذلك إلا لعلوك عن مرتبتها، واستيلائك عليها وإحاطتك بها: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾^(٢)، وعالم الذر معلوم ورواياته ماثورة مشهورة، وهو من أعظم الأدلة، على أنّ تدريجية الموجودات أمر يديها لا أشياء يبتديها.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾^(٤)، يعني: إن المنافقين والكفار المنكرين للعهد والميثاق في عالم الذر، المكذبين به لم يكونوا مؤمنين به في الدنيا، وهو معنى قول نبينا ﷺ: «اعملوا

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٢١.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٠١.

فكلُّ ميسرٍ لما خلقَ له»^(٥).

ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ... الخ﴾^(١)،
فقد نُقلَ في (الصَّافِي)، عن (الكافي)، وفي (العلل) «عن
الصادق عليه السلام، قال: [لَمَّا] أَمَرَ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ بِنَاءَ الْبَيْتِ
وَتَمَّ بِنَاؤُهُ، قَعَدَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام عَلَى رُكْنٍ ثُمَّ نَادَى: هَلُمَّ الْحَجَّ،
هَلُمَّ الْحَجَّ، فَلَوْ نَادَى: هَلُمُّوا [إِلَى الْحَجِّ]، لَمْ يَحْجُ إِلَّا مَنْ كَانَ
يَوْمَئِذٍ إِنْسِيًّا مَخْلُوقًا، وَلَكِنَّهُ نَادَى: هَلُمَّ الْحَجَّ، | هَلُمَّ الْحَجَّ |^(٢)،
فَلَبَّى النَّاسُ فِي أَصْلَابِ الرَّجَالِ: لَبَّيْكَ دَاعِيَّ اللَّهِ، لَبَّيْكَ دَاعِيَّ
اللَّهِ [عَزَّ وَجَلَّ]^(٣)، فَمَنْ لَبَّى عَشْرًا حَجَّ^(٤) عَشْرًا... الخ»^(٥).
وَرُوي في (الصَّافِي) أَيضًا، عن (العلل) عن الباقر عليه السلام،

(٥) التوحيد: ٣٥٦، باب السعادة والشقاوة.

(١) سورة الحج، الآية: ٢٧.

(٢) ما بين | | زيادة من المؤلف.

(٣) ما بين [] من المصدر.

(٤) في المصدر: يحج.

(٥) العلل: ١٢٤/٢، أصول الكافي: ٢٠٦/٤، تفسير الصافي للفيض الكاشاني: ٣٧٣/٣،

تفسير آية: ٧٨ من سورة الحج.

ما هو بمضمون ذلك، لكن فيه أنه: (قام على المقام، فارتفع [به] حتى صار بإزاء أبي قبيس^(١) ...

وفيه أيضاً: «وأرحام النساء إلى [أن] تقوم الساعة»^(١).
وَرُوِيَ أَيْضاً عَنِ الْقَمِيِّ^(٢)، مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ.

أقول: واختلافها في كون إبراهيم عليه السلام حال النداء على الركن، أو على المقام غير ضائر؛ لأنَّ الرواية الأخيرة فيها أن المقام ملتصق بالبيت.

والمراد به التصاقه بالركن، إمَّا من باب إطلاق اسم الكلِّ على الجنس مجازاً أو أنه حقيقة عرفية؛ إذ يصدق على ممن لصق ببعض الجسم أو قبض على بعضه أنه لصق بذلك الجسم، أو أنه قبض عليه عرفاً، ومثله كثيرٌ في المحاورات

(١) تفسير الصافي: ٣/٣٧٣.

(١) في العلل: ٢/١٢٥، وتفسير الصافي للفيض الكاشاني: ٣/٣٧٣، تفسير الآية ٧٨ من سورة الحج، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ لَمَّا أَمَرَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام يَنَادِي فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ قَامَ عَلَى الْمَقَامِ فَارْتَفَعَ بِهِ حَتَّى صَارَ بِإِزَاءِ أَبِي قَبَيْسٍ، فَنَادَى فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ فَاسْمَعُ مِنْ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ».

(٢) تفسير القمي: ٢/٨٣، تفسير سورة الحج، تحت عنوان: كيفية اللجنة وجهنم.

العرفية، ووجه الدلالة على المدعي صريحة من هذه الروايات، فإنَّ الزَّمان العرضي لنداء إبراهيم ﷺ متقدم على ما بعده من الأزمنة المتأخرة بما لا يخفى، فأهل القرن الثاني من قرن النداء والثالث والرابع وهكذا غير موجودين بالوجود الدنيوي عند أنفسهم، وعند من هو مثلهم، مع أنَّ داعي الله تعالى قد خاطبهم وناداهم؛ فأجابوه ولبوا دعوته، أو سكتوا ولم يجيبوا، وهم لم يكونوا موجودين لقبح نداءهم، واستحال جوابهم، وقد صرحت الروايات بأنه قد أجاب من هو في أصلاب الرجال، وأرحام النساء.

[اجمع بين نداء إبراهيم والنبي للحج]:

تنبيه:

قد رُوِيَ في (الصَّافي) أيضاً، عن (الكافي)، و(التهذيب)، عن الصادق ﷺ قال: **إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَقَامَ بِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ كَمْ يَحُجُّ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَذِّنْ فِي**

النَّاسِ بِالْحَجِّ... الآية^(١)، فَأَمَرَ الْمُؤَذِّنِينَ أَنْ يُؤَذِّنُوا بِأَعْلَى
 أصواتهم، بَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَحُجُّ فِي عَامِهِ هَذَا، فَعَلِمَ بِهِ مَنْ
 حَضَرَ الْمَدِينَةَ، وَأَهْلُ الْعَوَالِي وَالْأَعْرَابِ، وَاجْتَمَعُوا لِحَجِّ
 رَسُولِ اللَّهِ ﷺ... الخ^(٢)، وهذه الرواية تدلُّ بظاهاها على
 المنادي والمؤذن الذي أجابه من في أصلاب الرجال وأرحام
 النساء، هو نبينا محمد ﷺ، حيث أن الظاهر تابع للباطن
 ودليل عليه.

وعلى هذا يكون الخطاب بالأذان لمحمد ﷺ، بجعل
 الكلام مقتطعا عما قبله بكلام ابتدائي، ويكون المراد من
 إبراهيم عليه السلام في الروايات المتقدمة هو محمد ﷺ، فإنه
 يطلق هذا الاسم عليه في كثير من كلام الأئمة عليهم السلام،
 ويمكن بقاء إبراهيم على حقيقته، والخطاب لمحمد ﷺ
 أصالة، ولإبراهيم عليه السلام بالتبع في الباطن، ولمحمد ﷺ في

(١) سورة الحج، الآية: ٢٧.

(٢) تهذيب الأحكام: ٤٥٤/٥، أصول الكافي: ٤٢١/٤، التفسير الصافي للفيض
 الكاشاني: ٣٧٣/٣، تفسير الآية: ٧٨ من سورة الحج.

الظاهر الديني، وله نظائر مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾^(١)، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَجَاهِدِ الْمُنَافِقِينَ فِي حَيَاتِهِ، وَلَكِنْ أَمَرَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِجِهَادِهِمْ، فَجُمِعَ فِي الْخُطَابِ بِالْجِهَادِ بَيْنَ السَّبَبِ وَالْمَسَبِّ، إِمَّا مِنْ بَابِ اسْتِعْمَالِ اللَّفْظِ فِي عُمُومِ الْمَجَازِ أَوْ مِنْ بَابِ الْحَقِيقَةِ الظَّاهِرَةِ وَالتَّأْوِيلِ، وَليْسَ هُوَ مِنْ اسْتِعْمَالِ اللَّفْظِ الْوَاحِدِ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَعْنَى، لِمَا عَلِمَ مِنَ الْبَطُونِ وَبَطُونِ الْبَطُونِ إِلَى السَّبْعِينَ، وَكَذَلِكَ الظَّاهِرُ وَظَاهِرُ الظَّاهِرِ وَهَكَذَا إِلَى السَّبْعِينَ، وَالتَّأْوِيلِ وَتَأْوِيلِ التَّأْوِيلِ إِلَى السَّبْعِينَ.

أما سمعت كلامه ﷺ إِنَّ أَهْلَ صَفِينِ أَحْزَابٍ بِالتَّأْوِيلِ، وَأَهْلَ كَرْبَلَاءِ أَحْزَابٍ بِتَأْوِيلِ التَّأْوِيلِ، وَقَالَ ﷺ: «إِنِّي لَا أَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ وَأُرِيدُ مِنْهَا أَحَدَ سَبْعِينَ مَعْنَى، لِي مِنْ كُلِّ مِنْهَا الْمَخْرُجُ»^(١)، وَقَدْ جُمِعَ مَا ذَكَرْنَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا

(١) سورة التوبة، الآية: ٧٣.

(١) عن أبي عبد الله ﷺ قال: «إِنِّي لَا أَتَكَلَّمُ بِالْكَلَامِ يَنْصَرَفُ عَلَى سَبْعِينَ وَجْهًا كُلِّهَا لِي مِنْهُ الْمَخْرُجُ». بصائر الدرجات: ٣٤٩.

لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ^(٢)، ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾^(٣)، وقد سمعت صورة خلقه جبرائيل التي خلقه الله تعالى عليها، مع أنه ينزل إلى عالم الدنيا في صورة رجلٍ من بني آدم، وهو دحية بن خليفة الكلبي^(٤)، وهو أخو النبي ﷺ من الرضاعة، وكذلك غيره من الملائكة. وطرق سمعك أيضاً أنّ الله سبحانه وتعالى يحشر الأوقات والأزمنة، فتشهد على العاملين فيها.

[المقامات الأربعة للعلم]:

[التبئيه] السابع عشر: إذا عرفت ذلك كلّه، فها هنا مقامات

(٢) سورة الصفات، الآية: ١٦٤.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٢١.

(٤) هو دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه، كان من أجل الناس وكان جبرائيل عليه السلام كثيراً ما يأتي النبي ﷺ بصورته، وهو الذي حمل رسالته ﷺ إلى قيصر يدعو إلى الإسلام، وتوفي في زمن معاوية. الطبقات الكبرى: ٢٥٩/١.

روى أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: إذا رأيتم دحية الكلبي عندي فلا يدخلن عليّ أحد؛ بحار الأنوار: ٩٠/٢٨.

أربعة:

[الأول]: الإمكان.

والثاني: المكون.

والثالث: نقباء ذلك المكون.

والرابع: إعدام ذلك، وهو قسمان، إمّا برجوعه إلى الإمكان، أو بتبديله إلى مكون آخر.

والأول: هو علم الله جلّ وعلا الإمكان، الذي لا يعلم به ولا بما فيه إلا الله جلّ وعلا، كما قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبُّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(١)، ومنه الزيادة فيما حكى الله تعالى عن نبيه في قوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾^(٢)، وقول الإمام عليه السلام: «لو لم نزداد لنفد ما عندنا»^(٣)، والزيادة التي تحصل لهم هي الخروج من الإمكان إلى الكون، بعد تعلق المشيئة الكونية به؛ لأنهم عليهم السلام محلّها.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) سورة طه، الآية: ١١٤.

(٣) بصائر الدرجات: ٤١٦، بحار الأنوار: ٢٧٠/١٨.

والثاني: يعلمون به الأئمة عليهم السلام علماً حضورياً؛ لأنهم عليهم السلام الشُّهداء على خلقه ^(١)، وقد تقدّم برهان ذلك ودليله.

والثالث: كالثاني؛ لأنه من الكائن.

[العلم الذي يعلمه أهل البيت بتعليم خاص]

وأما ما لم يدخل بقاؤه في الكون، وإنما بقاؤه ومحوه من الإمكان، فهم عليهم السلام لا يعلمونه إلا بتعليم خاص، وهو مصداق قول أمير المؤمنين عليه السلام: «لو لا آية في كتاب الله تعالى لأخبرتكم بما هو كائن إلى يوم القيامة، وهي قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ ^(٢)؛ ^(٣)،

^(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة التوبة، الآية: ١٠٥]

وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّن يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

^(٢) سورة الرعد، الآية: ٣٩.

وهو الذي لا يجري فيه المحو والإثبات؛ لأنه هو الكائن،
والكائن حين كونه كائناً يستحيل أن لا يكون كائناً، وليس ما
لم يصل إلى وقته العرضي أنه غير كائن.

فإن شئت أن تقول: أنه كائن في وقته ومكانه الذاتيين.
وإن شئت أن تقول: أنه سيكون باعتبار عدم وصوله إلى
وقته ومكانه العرضيين.

وعن (ثاقب المناقب) عن جابر بن عبد الله، قال: «لما
عزم الحسين بن علي عليهما السلام [على الخروج] إلى العراق أتيته،
فقلت له: أنت ولد رسول الله ﷺ وأحد سبطيه لأرى [إلا]
أنك تصالح كما صالح أخوك [الحسن] فإنه كان موقفاً
رشيداً.

فقال [لي]: يا جابر، قد فعل ذلك أخي بأمر الله تعالى و
[أمر] رسوله، وأنا أيضاً أفعل [بأمر] الله ورسوله ﷺ، أتريد
أن أستشهد رسول الله ﷺ وعلياً وأخي الحسن بذلك الآن،

(٣) والرواية واردة عن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام. مناقب آل أبي طالب: ٤/١٧٢،

ثمَّ نظر، فإذا السماء قد انفتح بابها، فإذا رسول الله وعلي
 وحمزة وجعفر حتى استقروا على الأرض، فوثبت فزعاً
 مذعوراً، فقال رسول الله ﷺ: يا جابر، ألم أقل لك في أمر
 الحسن قبل الحسين لا تكون مؤمناً حتى تكون لأئمتك
 مسلماً، ولا تكون معترضاً؟ أتريد أن ترى مقعد معاوية ومقعد
 الحسين ﷺ ابني ومقعد يزيد - لعنه الله - قاتله؟

قلت: بلى يا رسول الله ﷺ.

فضرب برجله إلى الأرض، فظهر بحر^(١) فانفلق، ثم
 ظهرت أرض فانشقت هكذا، حتى انشقت سبع أراضين،
 وانفلقت سبعة أبحر، ورأيت من تحت ذلك كله النار، وقد
 قرنت في سلسلة الوليد بن المغيرة، وأبو جهل، ومعاوية،
 ويزيد - لعنهم الله -، وقرن بهم [في] مردة الشياطين، فهم
 أشد الناس عذاباً.

ثم قال ﷺ: أرفع رأسك، فرفعت رأسي فإذا أبواب

(١) في المخطوط: فانشقت فظهر.

السماء مفتحة، وإذا الجنة أعلاها، ثم صعد رسول الله ﷺ ومن معه إلى السماء، فلما صاروا في الهواء صاح با لحسين ﷺ، يا بني: الحقني، فلحقه الحسين ﷺ وصعدوا^(٢)، حتى رأيتهم دخلوا الجنة من أعلاها، ثم نظر إلي رسول الله ﷺ من هناك، وقبض على يد الحسين ﷺ، وقال: يا جابر، هذا ولدي معي ها هو هنا، فسلم لأمره ولا تشك تكن مؤمناً. قال جابر: عميت عيناي إن لم أكن رأيت ما قلت من رسول الله ﷺ؛^(٣)

و[في] التفسير^(١) المنسوب إلى العسكري ﷺ: «قال علي بن الحسين ﷺ، وهو واقف بعرفات: يا زهري، كم تقدر هاهنا من الناس؟

قال: أقدر أربعة آلاف وخمسمائة ألف كلهم حجاج قصدوا الله تعالى بأموالهم، ويدعونه بضجيج أصواتهم.

(١) في المخطوط: وصعد.

(٢) الثاقب في المناقب: ٣٢٢.

(٣) في المخطوط: تفسير.

فقال ﷺ: يا زهري، ما أكثر الضجيج وأقل الحجيج!

فقال الزهري: كلهم حجاج، أفهم قليل؟

فقال ﷺ له: يا زهري، أدن إلي وجهك. فأدناه إليه،

فمسح ﷺ بيده وجهه، ثم قال ﷺ: انظر إلى الناس، قال

الزهري: فرأيت أولئك الخلق كلهم قردة، لا أرى فيهم إنساناً إلا في كل عشرة آلاف واحداً من الناس.

ثم قال ﷺ: أدن مني يا زهري. فدنوت^(٢) منه، فمسح

ﷺ بيده وجهي. [ثم قال لي: أنظر. فنظرت إلى الناس، قال

الزهري: فرأيت أولئك الخلق كلهم خنازير، ثم قال ﷺ: ادن

إلي وجهك. فأدنت منه، فمسح بيده وجهي^(١)، فإذا هم

كلهم ذئبة إلا تلك الخصائص من الناس النفر اليسير.

فقلت: بأبي أنت وأمي يا بن رسول الله، قد أدهشتني

آياتك، وحيرتني عجائبك... إلى آخره^(٢).

(٢) في المخطوط: فأدنت.

(١) ما بين المعكوفتين [] من المصدر.

(٢) تفسير الإمام العسكري ﷺ: ٦٠٨.

أقول: في بيان هذا الحديث الشريف مما يدل على صحة مضمونه من الكتاب والسنة ومن الآيات الآفاقية.

[الاستدلال على أن يُحشرون على صور أعمالهم]:
 فالأول: قوله تعالى: ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(٣)

وجه الدلالة: أنه بناءً على أن المشبه عين المشبه به ظاهراً، يعني: أن من لم يكن حاسباً نفسه على ما قرره الشرع، مما جاء به الوحي من الأعمال والأقوال والاعتقادات، بل هو متبع لهواه ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ﴾^(١)، فهو حينئذ من الأنعام حقيقةً.

وأن قلنا: إن المشبه ليس عين المشبه به، فلا بد أن يشترك مع المشبه به في أظهر الصفات وأشهرها، وهي كما ترى في الحيوانات من إتباع هواها وشهوتها.

وحينئذٍ فيحتاج في تميم الدلالة على المدعى إلى ما

^(٣) سورة الفرقان، الآية: ٤٤.

^(١) سورة القصص، الآية: ٥٠.

ورد عنهم عليه السلام «إن الناس يحشرون على صور أعمالهم»

فإذا كان عمله عمل الحيوانات فسيحشر على تلك الصورة.

ومنها: قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكَبِّاً عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ

أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٢)، فإن المراد بالمكب

على وجهه في مشيه هو من غير فطرته، وانقلبت حقيقته

بمشية المنكوس في خلاف ما يريد الله تعالى، مما من شأنه

أن ﴿يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٣).

والقرينة على أن هذا المعنى مرادٌ أو داخلٌ في المراد

مقابلته بالماشي ﴿سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ مع صدق حقيقة

الإنكباب على أولئك.

وفي (الصافي)، عن (الكافي)، و(المعاني)، عن الباقر

إلى أن قال عليه السلام: «وَأَمَّا الْمَنْكُوسُ فَقَلْبُ الْمُشْرِكِ، وَقَرَأُ

(٢) سورة الملك، الآية: ٢٢.

(٣) سورة الملك، الآية: ٢٢.

الآية؛^(١).

وروي عن (الكافي) عن الكاظم عليه السلام: أنه سُئِلَ عن هذه الآية، «فقال: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ضَرَبَ مِثْلَ مَنْ حَادَ عَنْ وِلَايَةِ عَلِيٍّ عليه السلام كَمَنْ يَمْشِي عَلَى وَجْهِهِ لَا يَهْتَدِي لِأَمْرِهِ، وَجَعَلَ مَنْ تَبِعَهُ ﴿سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام؛^(٢).

ومنها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾^(٣).

وجه الدلالة: أن التعليل بالجزاء، إمَّا راجعٌ إلى اسم الفاعل أو إلى (أخفيها)، و(الساعة) هي القيامة الكبرى، و(الساعة) من حيث أنها وقتٌ من الأوقات، لا فائدة في الأخبار بإتيانها وإخفائها، إذ هي من هذه الجهة مثل ما قبلها

(١) أصول الكافي: ٥٤٤/٢، معاني الأخبار: ٣٩٥، تفسير الصافي للفيض الكاشاني: ٢٠٤/٥، تفسير الآية: ٣١ من سورة الملك.

(٢) أصول الكافي: ٢٥٨/١، تفسير الصافي للفيض الكاشاني: ٢٠٤/٥، تفسير الآية: ٣١ من سورة الملك.

(٣) سورة طه، الآية: ١٥.

من الأوقات، ومثل ما بعدها من الأجزاء الزمانية المتدرجة. ولا تحصل الفائدة ويحسن التعبير إلا باعتبار ما يقع فيها من الأهوال والشدائد، وقد ذكر الله سبحانه في القرآن مجمل تفصيل نوعها في آيات متعددة، مثل يوم الآزفة^(١)، يوم الطامة^(٢)، يوم الحسرة^(٣)، والندامة، ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾^(٤)، وغير ذلك من الآيات مثل: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾^(٥)، وتبدو الضمائر، ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾^(٦)، وكما أنه يصح التعبير بالساعة باعتبار ما يقع فيها من الأهوال

(١) قوله تعالى: ﴿أَزِفَتْ الْآزِفَةُ﴾ سورة النجم، الآية: ٥٧.

(٢) قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾ سورة النازعات، الآية: ٣٤.

(٣) قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا

يُؤْمِنُونَ﴾ سورة مريم، الآية: ٣٩.

(٤) سورة الحج، الآية: ٢.

(٥) سورة الطارق، الآية: ٩.

(٦) سورة ق، الآية: ٢٢.

من حيث الظاهر يصح إرادة معنى آخر منها غير الظاهر يسمى بالتأويل، وهو (السرائر) التي ظهرت في ذلك اليوم وكشف عنها غطاؤها عند ذوبها وغير ذوبها، إذ كان البصر حديداً والغائب مشهوداً، وهي الصور القبيحة والهيئات المنكوسة المستورة في هذه النشأة الدنياوية التي اقتضت هذه النشأة على مقتضى حكمة الحكيم المطلق أن يخفيها عن ذوبها، وعن من هو في رتبهم؛ لأجل قيام النظام، واستقامة أمر الأنام، للاجتماع في وحدة الصورة الظاهرية الإنسانية مع أهل عليين، كتاب الأبرار^(١) في عرصة الأعراض الدنياوية، وذلك الاتحاد موجب للإئتلاف المقتضي للانتفاع من الكل، مع قيام الحجة البالغة لله تعالى بوحدة الصورة الإنسانية الظاهرة بين أهل كتاب الأبرار، وأهل كتاب الفجار^(٢).

(١) مأخوذ من قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيَيْنَ﴾ [سورة المطففين، الآية: ١٨].

(٢) مأخوذ من قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينَ﴾ [سورة المطففين، الآية: ٧].

فلو برزت تلك الصور المستورة؛ لحصلت النفرة وعدم الألفة، وفات غرض انتفاع الكلّ بالكلّ، وضعفت الحجة لله تعالى، ولم تكن تامة بالغة^(٣) كما ترى فيمن مسخهم الله تعالى من الأمم السالفة قردة وخنازير وغيرهما من الحيوانات^(١)، فيكون...^(٢) تلك الصور المنكوسة القبيحة على أكمل ما ينبغي من فعل الحكيم جلّ وعلا فيصرف ضمير ﴿أخفيها﴾ إلى الساعة التأويلية.

[القرآن يفسر بعضه بعضاً]:

فإن قلت: أنه قد جاءت الروايات المتكثرة، أنه «من فسر

^(٣) مأخوذة من قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾

[سورة الأنعام، الآية: ١٤٩]

^(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أَنْبَأُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ

وَوَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا

وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٦٠]

^(٢) في المخطوط كلمة غير واضحة.

القرآن برأيه فليتبوا مقعده من النار؛^(٣) ولا يجوز تفسيره إلا بما يرد عن أهل البيت عليهم السلام؟

قلت: هو كذلك لا مرية فيه، ولا شك يعتريه، لكن المعاني إذا وضعت في كفتي موازين الدلالات تشخصت بها المرادات، فكما إن الوضع العربي اقتضى دلالة اللفظ الموضوع على حقيقته ومجازته، وبذلك يتعيان للإرادة، فكذلك دلالاته التبيهية، ودلالة الإشارة، يعيان مدلولهما للإرادة، وفيما نحن فيه كذلك؛ لدلالة لفظة (أخفيها عليه) فإن أخفيها مستلزم لوجود مخفيٍّ ومخفي عليه.

ولا يجوز أن يكون وقت هذا الفعل هو يوم القيامة؛ لأنه تكشف فيه السرائر، وتبدو الضمائر، قال تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾^(١).

وكذلك لا يجوز أن يكون الوقت هو النشأة الدنياوية، بأن يكون المخفي فيها هي الساعة من حيث الأحوال

^(٣) عوالي الآليء: ١٠٤/٤، التفسير الصافي: ٣٥/١.

^(١) سورة ق، الآية: ٢٢.

والشذائد العظام؛ لأنه قد علمنا ذلك مفصلاً بحسب النوع من الكتاب والسنة.

وصرف الإخفاء إلى خصوصيات الأحوال ينافيه إطلاق (أخفيها)؛ لأن ظاهره عموم الإخفاء للنوع والشخص، فتمحض الدلالة على أن المخفي في عالم الدنيا هي تلك الصور المنكوسة القبيحة على أهلها ومن هو في ربتهم، وها هنا دلالة أخرى في قوله تعالى ﴿لِتَجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾^(٢) لأنه باعتبار فعلية الجزاء يعود إلى ﴿ءَاتِيَةٌ﴾، وباعتبار سبب الجزاء يعود إلى ﴿أَخْفِيهَا﴾، والقرينة على إرادة المعنيين السبب والمسبب تقدّم الفعلين، إذ لا يناسب الأوّل الذي هو ﴿ءَاتِيَةٌ﴾ إلا المسبب، ولا يناسب الثاني الذي هو...^(٣) السبب، إلا فعل ﴿أَخْفِيهَا﴾.

فظهر من هذا البيان: إن الصور المنكوسة هي الساعة

(٢) سورة طه، الآية: ١٥.

(٣) كلمة غير واضحة في المخطوط.

المخفية في هذه الآية الشريفة، وهي مخفية في هذه النشأة على أهلها، أو على مَنْ هو في ربتهم.

وليس ذلك تفسيراً بالرأي، بل هو تفسيرٌ بالدلالة القرآنية وإلى غير ذلك من الآيات، مثل قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ﴾^(١)، أي الذين أهلكهم الله تعالى بهلاك المسخ، فإنهم الآن يمشون في مساكنهم نيران، وقردة وحيات، وعقارب وخنافس، كما عن الصادق^(٢) عليه السلام، يعني: ألم يعتبر المخاطبون، ويتبصرون بما فعلنا بأهل الفسوق، وأهل المعاصي ونحوهم من المنكرين للأنبياء والمكذبين لهم،

(١) سورة طه، الآية: ١٢٨ .

(٢) في بحار الأنوار: ٢٢٨/٦٢، رواية عن عمار بن عاصم السجستاني قال: «جئت إلى باب أبي عبدالله عليه السلام فدخلت عليه، فقلت: أخبرني عن الحية والعقرب والخنفس وما أشبه ذلك، قال: فقال: أما تقرأ كتاب الله؟ قال: قلت: وما كل كتاب الله أعرف، فقال: أو ما تقرأ ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ﴾، قال: فقال: هم أولئك خرجوا من الدار فقليل لهم: كونوا شيئاً».

وعبدة الأوثان مما ألبسناهم من الصور القبيحة المنكوسة، مع أنهم معهم يمشون في مساكنهم، فأى آية أعظم من ذلك أو شاهد أظهر مما هنالك.

وقد اختلف العلماء في أن المعجزة التي يأتي بها المعصوم من تسبيح الحصى، أو نطق البهائم ونحو ذلك، هل هو إبراز ما يمكن، أو إحداث ما لم يكن؟.

ومنها: قوله تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾^(١) وغير ذلك من الآيات القرآنية.

الثاني: من السنة ما روي عن الصادق عليه السلام، أنه قال: «يحشرُ الناسُ على صور أعمالهم؛ وفي رواية: «على صور نياتهم»^(٢)، وفي رواية: «يحشر بعض الناس على صورة تحسن عندها القردة والخنازير؛ وعن الباقر عليه السلام «الناس كلهم بهائم،

(١) سورة الفرقان، الآية: ٤٤.

(٢) في رواية عن أبي عبد الله عليه السلام، جاء فيها: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَحْشُرُ النَّاسَ عَلَى نِيَاتِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ أصول الكافي: ٦٠٢/٥، باب الغزو مع الناس إذا خيف على الإسلام.

إلا قليل من المؤمنين، والمؤمن قليل، والمؤمن قليل؛^(٣).

الثالث: دلالة الآيات الآفاقية مما يُرى عياناً ووجداناً أن العامل متصور بصورة عمله، فإذا قعد تصور بصورة القاعد لا بصورة القائم، وإذا قام يتصور بصورة القائم وخلع صورة القاعد وهكذا.

وقد يتصور بصورتين في حالٍ واحدٍ إذا لم يكن بينها تنافٍ، كصورة القاعد الآكل، أو القاعد المتكلم، أو الواقف الضارب المتكلم، أو القاعد الزاني المغتاب، أو الراكع المتصدق الداكر لله تعالى، فإن لم يكن تعاند بين الصفات جاز اجتماعها وإلا فلا، كما لو كانت الصفات من عليين كتاب الأبرار، فإنها لا تجتمع مع ما من سجين كتاب الفجار، «لا يَزْنِي الزَّانِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ»^(١)، وهو كما ترى لا بد من مناسبةٍ

(٣) عن كامل التمار، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «قد أفلح المؤمنون المسلمون، يا كامل، إن المسلمين هم النجباء. يا كامل، إن الناس أشباه الغنم إلا قليل من المؤمنين والمؤمن قليل؛ بصائر الدرجات: ٥٤٢.

(١) أصول الكافي: ٤٧٧/٢.

بين الأثر والمؤثر، فلا تؤثر النار [على] البرودة والرطوبة، كما لا يؤثر الماء [على] الحرارة واليبوسة، إذ كل أثر يشابه صفة مؤثرة.

وبيان ذلك على الإجمال: إن الله تعالى خلق العقل،
 وخلق منه النفس الناطقة، وخلق الجهل، وخلق منه النفس
 الأمارة، فتنزل هذا العقل في مراتبه وكذلك الجهل، فخلق
 النفس الحيوانية الفلكية مركبا لهما، يُصرفانها في شهواتهما
 على التعاقب، وهي صالحة لاستعمال كل منهما لها ومطبعة
 لهما.

[كيف يصبح الإنسان إنساناً]؟:

كذلك فإن استولى العقل على تلك الملكة، وتمحضت
 النفس الحيوانية لطاعته يصرفها في شئونه وإراداته مقتضى ما
 يريد الله تعالى منه، كان الشخص إنساناً بما هو إنسان حقيقةً،
 ظاهراً وباطناً، سرّاً وعلانيةً، إذ كانت النفس الإمارة مغلوبة
 مقهورة مغلولة بسلطنة العقل، فتجد ذلك الشخص الإنساني

مقيداً بحدود الله، واقفاً على ما أمره الله تعالى، ماشياً في أقواله وأفعاله واعتقاداته، وجميع ما منه وعنه وفيه وإليه فيما يحبه الله، فكان الله تعالى بذلك سمعه وبصره ويده «لا زال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل [والعبادات] حتى أحبه، فإذا أحببته كنتُ سمعاً الذي يسمعُ به، وبصره الذي ينظر به، ويده التي يبطش بها... إلى آخر الحديث القدسي؛^(١)، وحينئذٍ قد أشرقت أرض ذلك الشخص بنور ربها^(٢) كما في العالم الكبير عند ظهور دولة الحق حرفاً بحرف.

[كيف يصبح الإنسان شيطاناً]؟؛

وإن استولت النفس الأمارة، أي التي لا تأمر إلا بالسوء والفحشاء، وتمحضت مملكة النفس الحيوانية لها، ارتفع إشراق نور العقل، وتمحض ذلك الشخص للكلمة. فإن كانت أعمال هذا السلطان الجائر الذي هو النفس

(١) عوالي الآليء: ١٠٣/٤.

(٢) مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [سورة الزمر، الآية: ٦٩].

الأمانة بنفسه فذلك الشخص شيطانٌ حقيقةً في صورة إنسانيةٍ عرضيةٍ، وهو من شياطين الإنس الذين هم أعظم من شياطين الجن، قال ﷺ «العقلُ: ما عبدَ به الرَّحْمَنُ وأُكْتَسِبَ به الجنانُ، [قَالَ] قُلْتُ^(١) له: ما الذي في مُعَاوِيَةَ؟ فَقَالَ ﷺ: تِلْكَ النَّكَرَاءُ [تِلْكَ] الشُّيْطَانَةُ... الخ؛^(٢).

[كيف يصبح الإنسان حيواناً باطنياً]؟؛

وإن استعملت النفس الأمانة مركبها التي هي النفس الحيوانية في شئونها وما تريده مما هو خلاف ما يرضي الله وفيما يسخطه، كان الشخص حيواناً باطنياً في صورة عرضية إنسانية، إما كلبٌ أو خنزيرٌ أو قرودٌ أو عقربٌ أو حيةٌ أو فأرٌ على ما تقتضيه أعمال تلك الجهة الحيوانية المنبعثة عن النفس الأمانة، يخلع صورة ويلبس أخرى ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ

(١) في المخطوط: فقيل.

(٢) أصول الكافي: ١١/١.

﴿خَلَقَ جَدِيدًا﴾^(١) لتعاقب أعمال تلك الجهات الحيوانية، وقد تجتمع تلك الصور كُلِّ في جهته من الحيوانية والشيطانية، وهذا كما في دولة السلطان الجائر، وغيبة السلطان العادل، والقبض على يده.

وقد يحصل التعاقب بين سلطاني العقل والجهل، وشاهد ذلك من الآيات الآفاقية، أنك إذا ركبت حماراً أو فرساً ونحوهما، فإن شئت أن تسير عليه فيما لا يرضي الله وفيما يسخطه، وإن [شئت أن] تسير عليه فيما هو طاعة لله تعالى وفيما يرضيه؛ لأنَّ الباعث على ذلك هو العقل، كما أن الباعث في الأوّل هو الجهل والنفس الأمارة، وأنت راكب في ذاتك على النفس الحيوانية تسير بها حيث تشاء، والظاهر دليل على الباطن عند أولي الألباب، كما هو ظاهرٌ واضحٌ إن شاء الله تعالى.

ونزيد في ذلك أيضاً ما روي عن الحسين عليه السلام في واقعة

(١) سورة ق، الآية: ١٥.

كربلاء - ما مضمونه أنه روعي فداه - نعس فاستيقظ وهو يقول: «لا حول ولا قوة إلا بالله، فقيل له في ذلك: فقال ﷺ: أني خفقتُ خفقةً، فرأيت كلاباً قد شدت عليّ لتقتلني، وأعظمها عليّ كلبٌ أبقع أبرص، وأظن أنه الذي يتولى قتلي؛^(١) ورؤيا الإمام المعصوم وحي عند الشيعة^(٢)، لا

(١) بحار الأنوار: ٣/٤٥ و ١٨٣/٥٨.

(٢) ذكر المولى محمد صالح المازندراني رحمته الله في شرحه على (أصول الكافي: ١١٨/٥): (أنواع الوحي سبعة:

الأول: الرؤيا الصادقة، لقوله تعالى ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ [سورة الصافات، الآية: ١٠٢]

الثاني: النفث في الروح لقوله ﷺ: «إن روح الأمين نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها ورزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب».

الثالث: أنه كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس، وهو أشد عليه وكان كذلك ليستجمع عنده تلك الحالة، فيكون أدعى لما يسمع.

الرابع: أن يمثل له الملك رجلاً كما كان يأتيه في صورة دحية الكلبي، وكان دحية حسن الهيئة وحسن الجمال.

الخامس: أن يترأى له جبرائيل عليه السلام في صورته التي خلق عليها له ستمائة جناح ينشر منها اللؤلؤ والياقوت.

السادس: أن يكلمه الله تعالى من وراء حجاب في اليقظة كما في ليلة الإسراء.

أضغاث أحلام، بل هو ﷺ يرى ذلك في اليقظة؛ لأن بصره حديد، ولكن ذكر ذلك في الرؤيا تقريباً إلى أفهام العوام.

وبالجملة: فالمتبع يجد أكثر من ذلك، منها ما أثر في الأخبار أنّ آل مروان وزغ، وأن عبد الملك بن مروان - لعنه الله - لمّا مات كان وزغاً، فلم يقربه أولاده وأهله ثلاثة أيام، حتى أشاروا على أولاده أن يكفنوا جذعاً، ويصلوا عليه ويشيعوه ويدفنوه^(١).

[طلب آل محمد الزيادة من العلم الإمكانى]:

[التنبه] الثامن عشر: حيث عرفت أن كينونة الأشياء

السابع: ما ثبت أن إسرائيل وكل به ﷺ ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة من الوحي، ثم وكل به جبرائيل فجاءه بالقرآن).

(١) قال الإمام الصادق ﷺ: «إن عبد الملك بن مروان لما نزل به الموت مسخ وزغاً، فذهب من بين يدي من كان عنده، وكان عنده ولده، فلما أن فقدوه عظم ذلك عليهم، فلم يدروا كيف يصنعون، ثم اجتمع أمرهم على أن يأخذوا جذعاً فيصنعوه كهيئة الرجل، قال: ففعلوا ذلك، وألبسوا الجذع درع حديد، ثم لفوه في الأكفان فلم يطلع عليه أحد من الناس إلا أنا وولده؛ أصول الكافي: ٢٣٢/٨، وقريب منه في بحار الأنوار: ٢٣٥/٦.

بحدودها في أوقاتها الذاتية، مما دخل تحت (كن) وتدرجية ظهورها عند نفسها، وعند من هو في رتبها لا ينافي تلك الكينونة فمحمد وآل محمد ﷺ يعلمونها علماً حضورياً، وهي غيبٌ عند غيرهم، لا يعلمونه إلا بتعليمهم ﷺ، وهو أم الكتاب^(١) الحفيظ.

نعم. محو ذلك الكائن وإثباته من علم الله الإمكاناني الذي لا يحيطون به ﷺ إلا بتعليمٍ خاصٍّ بأحدهما. وإنما أَطَلَقْتَ عنان القلم في هذه المسألة لكثرة دورانها، والخلاف فيها دعوىً ودليلاً.

فتحصل أن الزيادة المطلوبة إنما هي من العلم الإمكاناني، أي: الذي لم يلبس حلّة الكون، وأمّا ما لبس تلك الحلّة فطلبه طلب للحاصل وهو محال؛ لكونه معلوماً بالحضور والإحاطة، وهو الذي جف به القلم دون الأوّل، فإن القلم فيه

(١) مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَأَيُّهَا فِي أُمَّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾ [سورة الزخرف،

غَضُّ طَرِيٍّ ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَكُلُّوا
بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾^(١)، فيزدادون
آل محمد ﷺ منه من غير انقطاع، ﴿بَلْ هُمْ فِي كَيْبٍ مِّنْ
خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾^(٢)، ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرًّا
السَّحَابِ﴾^(٣). والله العالم.

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٢) سورة ق، الآية: ١٥.

(٣) سورة النمل، الآية: ٨٨.

معنى الهوية والمثال
واخراج الأفعال
في حديث الأمير عليؑ

قال سلمه الله تعالى: (وما معنى الهوية والمثال، وإخراج الأفعال في قوله ﷺ «فألقي في هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله»).

أقول: قال ﷺ في شأن العالم العلوي: «صورٌ عاريةٌ - أو عالية - عن المواد، خالية^(١) عن القوة والاستعداد تجلّى لها خالقها فأشرقت، وطالعتها فتلاّأت، [و] ألقى في هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله»^(٢).

وبيان ذلك: أنك [إذا] قلت: (ضَرَبَ)، حصلت هناك أربعة أشياء:

(ضَرَبَ) الفعل الماضي.

و(ضَرَبًا) المصدر.

و(ضَارِب) اسم الفاعل.

و (مضروب) اسم المفعول مع التساوق في الظهور

(١) في المصدر: عالية.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٦٠/٢.

والوجود، وتقدّم بعضها على بعض في الرتبة، كتقدم الفعل الماضي على المصدر، وتقدّم المصدر على المفعول به، وتقدّم اسم الفاعل على الجميع في الشرف؛ لأنه مركب من (ضَرَبَ) من حيث التأثير، ومن (ضرب) الذي هو المصدر، وهو كما ترى متأخر عنها في الرتبة، وإن تقدّم في الشرف، وهذا غير ضارب الذي هو فاعل الفعل الماضي الذي هو (ضَرَبَ).

والحاصل: إنّ هناك ضارب الذي هو محدث للفعل الماضي، و (ضارب) آخر الذي هو يحدث للضرب الذي هو المصدر.

فالأول: هو جهة بنفسه في خلق الفعل بنفسه، قال ﷺ «خَلَقَ [الله] الْمَشِيئَةَ بِنَفْسِهَا»^(١)، والمفعول هو الفعل الماضي. ولمّا كان الفعل بسيطاً ليس في الإمكان أبسط منه كانت الاستدارة فيه على التوالي، التي هي استدارة العلة على

(١) أصول الكافي: ٦٤/١، بحار الأنوار: ١٤٥/٤.

معلولها، وليس فيه استدارة على خلاف التوالي؛ لقدم المغايرة بين جهة بنفسه وبين جهة هويته إلاّ بتنزيل الفؤاد؛ لأنه ممكن، وكل ممكن زوج تركيبى، «ولم يخلق الله [شيئاً] فرداً قائماً بذاته [دون غيره] للذي أراد من الدلالة عليه؛^(٢)، وإثبات وجوده ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾^(٣).

وأما ضارب الثاني: فهو مركب من (ضَرَبَ) الفعل الماضي من حيث تأثيره وإحداثه للضرب، الذي هو المصدر، أعني (ضرباً) ومن (ضَرَبَ) المصدر، فضارب الثاني ذات صدر عنه الضرب المصدر، وهو مثال الفاعل الملقى في هوية المصدر، فأظهر عنه أفعاله الذي هو المصدر والمفعول المطلق والمفعول به، إذ المصدر وما بعده قائم بالضارب قيام صدور، وبها ظهر الضارب، وكذلك الفعل الماضي قائم قيام صدور بضاربه (ضرب) التي هي نفس ضرب الفعل الماضي.

^(٢) التوحيد: ٤٣٩، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٥٦/٢، بحار الأنوار: ٣١٦/١٠ و

٥٢/٥٤

^(٣) سورة الذاريات، الآية: ٤٩.

ولا تتوهم أن ضارب الذي قام به المصدر قيام صدور هو عين ضارب الذي قام الفعل الماضي به قيام صدور، وإنما هو أثره وشعاعه.

وإن شئت أن تقول: أنه ظاهر ذاك، وذاك باطنه، ولذلك يسمّى ضارب باسم الفاعل، والاسم غير المسمّى، وإن كان فاعل اسم الفاعل لأنه يدور على نفسه على التوالي كما تقدّم في الفعل، ولا كذلك ضارب، فإن دورانه على فاعل على خلاف التوالي الذي هو دوران المعلول على علّة صدوره، ومع هذا فضارب وفاعل صفات فعلية لا ذكر لها أصلاً في رتبة الذات بوجه من الوجوه.

نعم. هي والفعل قائمة بالذات قيام صدور بلا كيف لهذا القيام، فالفعل والفاعل وأسم الفاعل مفتقرة إلى الذات بلا غاية ولا نهاية «سبحان من يمسك الأشياء بأظلتها»^(١)، [و]

(١) عن حماد بن عمرو النصيبي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «سألت أبا عبد الله، عن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإحلاص: ١]، فقال: نسبة الله إلى خلفه أحداً صمداً أزلياً صمدياً لا ظل له يمسكه، وهو يمسك الأشياء بأظلتها، عارف بالجهول، معروف عند

«أسألك باسمك الذي استقر في ظلك فلا يخرج منك إلى غيرك»^(٢).

والحاصل: إن شئت أن تُسمِّي اسم الفاعل متألئ للذات. وإن شئت أن تسميه الذات الظاهر، كما في قوله عليه السلام «يا من دلَّ على ذاته بذاته»^(٣)، وهي ضمير المخاطب في «بك»

كل جاهل، فردانياً، لا خلقه فيه ولا هو في خلقه، غير محسوس ولا مجسوس ولا تدركه الأبصار، علا فقرب ودنا فبعد، وعصي ففقر، وأطيع فشكر، لا تحويه أرضه، ولا تقله سماواته، حامل الأشياء بقدرته، ديمومي، أزلي، لا ينسى، ولا يلهو ولا يغلط، ولا يلعب، ولا لإرادته فصل وفصله جزاء، وأمره واقع، لم يلد فيورث، ولم يولد فيشارك، ولم يكن له كفوا أحد» أصول الكافي: ٥٥/١، وباختلاف يسير في كتاب التوحيد: ٥٨.

^(٢) «وأسألك باسمك الذي وضعت على الأرض فاستقرت، وأسألك باسمك الذي وضعت على الجبال فأرست، وقامت وسكنت به الأرض، وعلى المياه فجرت، وأسألك باسمك الذي استقر به عرشك، وأسألك باسمك الذي وضعت على السماوات فاستوت، وأسألك باسمك الذي وضعت على الأرض فاستقرت...» بحار الأنوار: ٥٧٦/٢، إقبال الأعمال: ٣٠٢/٢، بحار الأنوار: ٢٣٥/٩٤.

^(٣) من دعاء الصباح المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام. بحار الأنوار: ٣٤٠/٨٤.

عرفتك؛^(٤).

وإن شئت أن تسميها اسم الله الذي استقر في ظلّه.
وإن شئت أن تسميها بالصفات الفعلية، كلّ منك بلحاظ.

[توضيح]:

وإن أشكل عليك ما ذكرنا كلاً أو بعضاً فاستوضحه من
الحديدة المحمية بالنار، فإن النار قد ألفت مثالها، وهي
محرقة في الحديدة، والحديدة هي الهوية الملقى فيها مثال
النار، فظهر فعل النار هو الإحراق عن الحديدة.

وَمَثَلُ الزَّيْتِ الْمَضِيِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ
وَكَلَّوْكُمْ تَمْسَسُهُ نَارٌ﴾^(١)، إلى غير ذلك من الآيات الآفاقية
والأنفسية، مما كتبه قلم الابتداع، مما كان وما هو كائن جامع
الاختصار والاقتصار في البيان، إذ التطويل والإطناب لعلها

(٤) الصحيفة السجادية: ٢١٤، من دعاء يقرأه الإمام السجاد عليه السلام سحر كل ليلة من

شهر رمضان.

(١) سورة النور، الآية: ٣٥.

حجه إفهام أولي الألباب.

وقد سبق منا: أن ضارب مع تأخره أشرف وأعلى من ضرب، وبالضرب ينتج الباء؛ لأنه ليس إلا صرف ظهور الذات، كيف وإذا ظهرت الذات تغيبت الصفات «أَيَكُونُ لغيرِكَ مِنَ الظُّهُورِ مَا لَيْسَ لَكَ، حَتَّى يَكُونَ هُوَ المَظْهَرُ لَكَ، مَتَى غَبَتْ حَتَّى تَحْتَاجَ إِلَى دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَيْكَ، وَمَتَى بَعُدَتْ حَتَّى تَكُونَ الآثَارُ هِيَ الَّتِي تُوصِلُ إِلَيْكَ... إلخ؛^(١)، سبحان من خفي لشدة ظهوره، وتستر لعظم نوره.

(١) مقطع من دعاء يوم عرفة للإمام الحسين عليه السلام. بحار الأنوار: ٢٢٦/٩٥.

أَسْمَاؤُهُ جَلَّ وَعَلَا لَا تَقَعُ عَلَى الذَّاتِ

قال سلمه الله [تعالى]: (ومما يستدلّ به على أن أسماءه سبحانه اللفظية للظهورات الإلهية، وأنها لها لا للذات المقدسة، أن الله سبحانه كان ولم تكن لثبوت حدوثها، ولو كانت للذات لكانت من عدم السخية إليها، وكفى بذلك تغير المستلزم للحدوث الممتنع من الأزل، الممتنع من الحدث، وهذا التغير ثابت في الأسماء المعنوية التي هي مسميات الأسماء اللفظية، فإنها الظهورات، والعنوان، والتجلي، وهي معانٍ محدثة، فإذا كانت للذات لزم التغير المذكور في الذات).

[الأسماء المعنوية]:

أقول: الكلام في الأسماء المعنوية كالكلام في الأسماء اللفظية، لا فرق بينهما من حيث التسمية، وإن اختلفا من حيث هما بالأشرفية والإعلائية والقوة والضعف.

وبالجملة: فالاسم اللفظي جسد للاسم المعنوي، كما

قال أمير المؤمنين عليه السلام «المعنى في اللفظ كالروح في الجسد»^(١).

وعلى كل حال: فمعنى اللفظ يحدث أيضاً كاللفظ، كما قال الرضا عليه السلام «أنه لم يؤلف لفظ من حرفين أو ثلاثة أو أكثر من ذلك أو أقل إلا لمعنى محدث لم يكن قبل ذلك»^(١).

وأنت إذا نظرت إلى الآيات الآفاقية والأنفسية تجد أنك حمل في بطن أمك، وحين خروجك إلى الدنيا، وليس لك اسم معنوي، ولا اسم لفظي، وبعد ذلك تُسمّى بما تُسمّى به من الأسماء المعنوية واللفظية، فهل ترى أنّ ذاتك تغيرت بحمرةٍ أو صفرةٍ ونحوهما من الألوان، أو بكبرٍ وصغرٍ، أو بقوةٍ

(١) عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «الروح في الجسد كالمعنى في اللفظ». مستدرک سفینه البحار: ٢١٧/٤.

(١) قال الإمام الرضا عليه السلام: «لأن الله تبارك وتعالى لا يجمع منها شيئاً لغير معنى أبداً، فإذا ألف منها أحرفاً أربعة أو خمسة أو ستة أو أكثر من ذلك أو أقل لم يؤلفها لغير معنى ولم إلا لمعنى محدث لم يكن قبل ذلك شيئاً» توحيد الصدوق: ٤٣٧، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٥٥/٢، بحار الأنوار: ٣١٤/١٠.

أو ضعفٍ وغير ذلك من أنحاء تغيرات الذات؟
 كلاً ولا، بل الذات في رتبها على ما هي عليه، والاسم
 معنوياً أو لفظياً في رتبته لا يصل إلى الذات، إذ كُلُّ شيء لا
 يتجاوز ما وراء مبدئه، إذ لو تجاوزه لم يكن المبدأ مبدءاً،
 فالذي لا ذكر له، ولا من الأسفل في رتبة الأعلى، لا يمكن
 أن يؤثر في ذات الأعلى حتى يغيره ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ
 مَّعْلُومٌ﴾^(٢)، مع أن الاسم معنوياً أو لفظياً إنما وُضِعَ وَجُعِلَ لا
 لحاجة في الذات إليه، وإنما ذلك لاحتياج من سوى الذات
 إليها، حتى تكون باباً وطريقاً للسوي إلى الذات، بدخل
 السوي منه، ويمشي فيه إليها لقضاء مأربه، من خطابٍ،
 وجوابٍ، وسؤالٍ، وطلبٍ ونحو ذلك.

فَاللَّهُ جَلٌّ وَعَلَاٌّ أَزَلُّ فِي أَزْلِيَّتِهِ، عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ قَبْلَ
 الْخَلْقِ، وَمَعَ الْخَلْقِ، وَبَعْدَ الْخَلْقِ، لَمْ يَتَغَيَّرْ فِي ذَاتِهِ، وَالْخَلْقِ

(٢) سورة الصفات، الآية: ١٦٤.

كلهم أسماؤه وآياته، إذ «الاسم: ما أنباء عن المسمى»^(١).
والخلق في الحدوث والإمكان، وليس الحدوث
والإمكان أزلاً، ولا الأزل حدوث وإمكان، فلا يصعد شيء
من الإمكان إلى الأزل، ولا ينزل الأزل إلى الإمكان، ولذلك
اتفقت كلمة الحكماء الإلهيين الآخذين من مشكاة النبوة
على استحالة انقلاب الحقائق، فلا ينقلب الواجب إلى
الإمكان، ولا هو إلى الوجوب، ولا هما إلى الامتناع، ولا
الامتناع إلى أحدهما.

وقامت دلالة العقل وحكمه على ذلك، مع أن أسماء الله
جلّ وعلا معنوية أو لفظية من الإمكان، وهو وما حواه أثر
فعل الواجب، ويستحيل أن يؤثر الأثر في المؤثر، أترى أن
النار تُحرق نفسها؟ فكيف تكون أسماء الواجب التي هي آثار
فعله مؤثرة فيه بالتغير؟!.

[الأسماء الإلهية أسماء للظهورات]:

(١) بحار الأنوار: ١٦٣/٤٠.

وأما قولك: (إن أسماء الله تعالى هي الظهور والتجلي) فإن تسامحت في العبارة، وأردت بها الظاهر والمتجلي فهو كذلك اسمان للذات، وإلا فالظهور والتجلي مصدران لظهر وتجلّى، وهما الهوية التي ألقى الفاعل مثاله فيها، وهي حجاب لا يكون اسماً إلا على الذات، أما سمعت قول أمير المؤمنين عليه السلام: «تَجَلَّى لَهَا بِهَا، وَبِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا»^(١)، أي: أن الأشياء من حيث هويتها حجاب مانع عن المعرفة، وسد باب عن الدلالة.

ومن [هذا] تعرف ما في قوله سلّمه الله: إن الأسماء الإلهية أسماء للظهورات، بل هي أسماء لله جلّ وعلا، لا يرى منها إلا هو لا للظهورات، وإلا لم تكن أسماء الله تعالى، بل هي أسماء للذات ولم تكن منتقلة.

(١) شرح نهج البلاغة: ٣٤/١٣، الاحتجاج: ٤٨٠/١.

معنى الركنية وأدلتها

قال سلّمه الله تعالى: (وقد وَسَمْتُ رسالتكم التي لم تسموها باسم بـ (البراهين القطعية في هدم مذهب الركنية) معتقداً حسن الظن بكم).

[اعتراض المصنف على السائل على تسمية رسالته]:

أقول: إنّ الاعتقاد بحسن الظن في تصرف المعتقد فيما هو ليس له، إنّما يحسن إذا كان غير المعتقد مالكاً من جميع الجهات، وله التصرف في ذلك من جميع الجهات، وليس لي إبطال الركنية مطلقاً، فإن منها ما هو مذهب أهل البيت عليهم السلام، فاعتقاد حُسن الظن ليس في محلّه.

وجنابكم العالي قد سبر الرسالة المذكورة، وليس فيها عبارة دالة بالصراحة أو الإشارة، ولا تعرض بوجه من الوجوه لإبطال مذهب الركنية، فالتسمية المذكورة غير منطبقة على المسمّى، فلا تكون التسمية صحيحة، وليس لي الإمضاء

والرضا...^(١)

والتسمية المناسبة لتلك الرسالة، أن تُسمَّى بـ (البرهان
الراتق للقول بوحدة الناطق).

[المراد من الركنية]:

وأما القول: بالركنية مطلقاً فالقائل بها هو أعلم بما
قال^(١).

فإن أراد بها وحدة الناطق، فقد عرفت في تلك الرسالة
فساد ذلك بما لا مزيد عليه.

(١) كلمة غير واضحة في المخطوط.

(١) راجع ما ذكره المرحوم الحاج محمد كريم خان الكرمانى في كتابه (الفطرة السليمة) المجلد الثالث ص ١٤٢، في الباب الرابع بعنوان (في بيان المراد من الركن الرابع... حتى يكون الطالب حال الاستدلال على بصيرة بالمستدل عليه)، وراجع أيضاً مجموعة الرسائل رقم (٧٣) والتي تشتمل على أربع مسائل، من مصنفات المرحوم الحاج محمد خان الكرمانى، طبع بمطبعة السعادة - كرمان، رسالة في أجوبة الشيخ حسين المزيدي، وفيها جواب تفصيلي عن معنى الناطق الواحد، فرغ منها مؤلفها الحاج يوم الأحد الرابع والعشرين من شهر رجب المرجب تاسع وتسعين بعد المائتين والألف من الهجرة.

وإن أراد الركنية الصحيحة التي قامت عليها ضرورة مذهب الشيعة، ودلت عليها الأدلة اللفظية، فنحن نقول بها، ونعتقدها، ونُدين الله تعالى بها، وهي موالة مَنْ والى محمداً وأهل بيته، ومعادة مَنْ عاداهم، كما قد جاء بذلك الكتاب والسنة والروايات المعصومية.

والركن في أذهان الشيعة وجبلاتهم، عصر علمائهم وعوامهم خلفاً عن سلف، وعصراً بعد عصرٍ كما هو ظاهر.

[أدلة القول بالركنية من القرآن]:

فمن الكتاب آيات منها قوله تعالى ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾^(١) إلى آخره، إلى أن قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾^(٢)، ولا يقدر في

(١) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

الاستدلال ...^(٣) نفي المودة من المعادة من حيث حصول
الواسطة بين المودة والمعادة لوجهين:

أحدهما: أن المحاد لله تعالى ورسوله ﷺ مبغوض
لهما ومكروه عندهما، ولا يكون الإنسان مؤمناً إلا إذا كان
تابعاً لله ورسوله وغير المبغض للمحاد لا يكون تابعاً لله
ورسوله.

الثاني: إن أسلوب الآية الشريفة دال على العموم.

الثالث: إن في الآية دلالة على العموم من وجوه:

أحدهما: لفظة (قوم) فإنها بمقتضى وضعها اللغوي
جنس للثلاثة فما فوق، ولا يسع أحداً أن ينكر دخول الواحد
والأثنين في الإرادة من لفظ القوم وليس ذلك إلا بقريضة
الأسلوب، فيكون لفظ القوم بمعنى أحد الواقع في حيز النفي،
أي لا تجد أحداً... الخ، ولا يقدر في ذلك إعادة ضمير الجمع
على القوم، فإنه إما باعتبار لفظ القوم، أو من باب تغليب

(٣) كلمة غير واضحة في المخطوط.

الأكثر على الأقل.

الثاني: أنه كثيراً ما يعبر في البلاغة بنفي الضد، وإثبات ضده، مثل: لا غفر الله لفلان، ويراد منه عذّب الله فلاناً.

ولا جرى الله فلاناً خيراً، ويراد منه جرى الله فلاناً شراً.

و ضد (الموادة) هو العداوة والبغضاء، فيكون معنى

الآية: (إنك يا رسول الله) لا تجد قوماً مؤمنين إلا وهم يبغضون ويعادون من حادّ الله ورسوله).

الثالث: حصر المبتدأ في الخبر، وهو «أَوْلَيْكَ» إذ لو

ثبت الواسطة لكانت منافية للحصر المذكور؛ لأنه يكون بعض مَنْ لم يحاد الله ورسوله مؤمناً.

ومنها: قوله تعالى «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ»^(١) وغير

المؤمن ليس أخاً للمؤمن، ولازم الأخوة الموادة والموالات، كما أنّ لازم نفيها بمقتضى التقابل العداوة والبغضاء.

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

ومنها: قوله تعالى ﴿لَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾^(٢) ولا شكَّ مَنْ لَمْ يُوَالِ مُحَمَّدًا ﷺ وَأَهْلَ بَيْتِهِ ظَالِمٌ وَكَاذِبٌ أَلَا ﴿لُعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(١)، كما أنَّ مَنْ وَالَاهُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٢).

[أدلة القول بالركنية من السنة]:

وأما السنة فكثيرة، منها: قول رسول الله ﷺ لبعض أصحابه [ذات يوم: «يا عبدالله [أحب في الله، وابتغض في الله، ووَالِ فِي اللَّهِ»^(٣)، هذا لو أنه عدوك، وعادى عدو هذا لو أنه أبوك، والمشار إليه هو أمير المؤمنين ع عليه السلام.

ومنها: الدعاء المعروف للصباح والمساء، وفيه «أوالي من والوا، وأعادي من عادوا، وأجانب من جانبوا»^(٤)، وهذا

(٢) سورة هود، الآية: ١١٣.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٩.

(٣) عيون أخبار الرضا ع عليه السلام: ٢/٢٦٢.

(٤) مصباح المتعهد: ٢١٢.

قليل من كثير، فإنك إذا تتبعتها تجد ذلك ظاهراً مشهوراً، بل في العقل ما يدل على ذلك أيضاً، فإن الحب الصادق لمحمد وآل محمد ﷺ لا ينفك عن حب من شايعهم وتابعهم، وموالاتهم لا تنفك عن موالاتهم، وهو لا ينفك عن بغض أعدائهم ومعاداتهم.

وبيان ذلك: إنَّ الحب هو ميل القلب إلى المحبوب، وضده الخاص هو الميل إلى معاكس المحبوب، وكذلك الوقوف عن الميل إلى معاكس المحبوب ضد آخر.

والحاصل: إنَّ الحب هو فعلٌ من أفعال القلب، وحركةٌ من حركاته المعنوية إلى جهة المحبوب والوقوف عن المبدأ، والميل إلى معاكس المحبوب ضدان لا يمكن اجتماعهما مع الميل إلى المحبوب، كما ترى في الشاهد العياني إنك حين توجهك إلى الكعبة يستحيل أن تكون متوجهاً إلى عكسها، أو واقفاً عن التوجه إليها أو إلى عكسها، هذا في القبلة الظاهرية، ومحمد وآل محمد ﷺ هم القبلة

المعنوية، وأعدائهم عكس القبلة المعنوية ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾^(١) تعالى.

وكما أنه بالتوجه إلى القبلة الظاهرية يلزم منه التوجه إلى جهتها، فكذلك بالتوجه القلبي الذي هو ميله إلى القبلة المعنوية، أعني محمداً وآل محمد ﷺ يلزم منه التوجه إلى من هو في جہتهم والميل إليهم، ومن هو في جہتهم هم شيعتهم وأتباعهم، فموالاة محمد وآل محمد ﷺ الصادقة الحقيقية، ومحبتهم كذلك لا ينفكان عن محبة شيعتهم وموالاتهم.

كما أن الميل إلى الطواغيت ومحبتهم يستلزم المحبة والميل إلى أتباعهم.

فالميل الصادق الحقيقي إلى محمد وآل محمد ﷺ الذي هو حبهم وموالاتهم لا ينفك عن بغض الطواغيت ومعاداتهم، وبغض أتباعهم ومعاداتهم.

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٥.

وأيضاً: حب آل محمد وموالاتهم نور خالص لا يشوبه ظلمه، وحب الطواغيت وموالاتهم ظلمة لا يشوبها نور، ولا شك ولا ريب في التباين والتباغض بين النور والظلمة، فكذلك ما هو في جهة الفريقين من الإتياع، فتابع النور نور، وتابع الظلمة ظلمة كما لا يخفى.

ثم أنه قد قيدنا فيما سبق الحب والموالاته باباً لحقيقته الخالصة، وكذلك جانبها الأسفل لا بد أن يتعبد بمثل ذلك، فقد يحصل الشوب فيما بين خالص النور وخالص الظلمة، والامتزاج، فيضعف بذلك جانب النور وجانب الظلمة، كما ترى في أشعة السراج من شدة ضياء القريب من المنير، وضعف البعيد. والله الهادي إلى ما يريد.

وقد فرغ من فرغ من هذه المسائل، الفقير المحتاج إلى رحمة ربه المنان، محمد بن المرحوم الشيخ عبدالله بن عيثان الأحسائي، يوم السادس من شهر شعبان سنة ١٣٢٨هـ، حامداً مصلياً مستغفراً.

الرسالة الثانية



معنى وأدلة حضور أمير المؤمنين عند كلِّ ميت



المفترضة

وبعد، فيقول الراجي عفو ربه المنان، محمد بن المرحوم الشيخ عبدالله بن عيشان، أنّ الأخ المعظم، الشيخ حسين المتقدم، قد سأل بعض مسائل أخرى، وقد ضاعت مني، ولا أذكر منها إلا مسألة واحدة وهي هذه:

(أنه كيف يمكن حضور النبي ﷺ والأئمة عند كلّ محتضرٍ للموت؟ وهم منتشرون في شرق الأرض وغربها، وقد يحتضر للموت في الدقيقة الواحدة مائة ألف أو أكثر من ذلك، مع تباعدهم وتشتتهم في أقطار الأرض).

[استحالة تواجد الجزئي في أماكن متعددة في آن

واحد]:

أقول: تبين وجه إشكال المسألة في أمير المؤمنين عليه السلام، ومنه يُعلم الحال في النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام، وهو أن أمير المؤمنين: جزئي حقيقي، ويستحيل في الجزئي الحقيقي أن يوجد في الأمكنة المتعددة المتباعدة في الآن الواحد. هذا محصل ما أذكره من السؤال.

[ضرورة الاعتقاد بحضور أمير المؤمنين عند كل ميت]:

والجواب - والله الهادي إلى الصواب - : أنه لا شك ولا ريب أنه قد جاءت روايات الأئمة عليهم السلام، ونطقت أخبارهم عليهم السلام أنهم يحضرون جميع الأموات، وقامت على ذلك ضرورة مذهب أتباعهم وشيعتهم، فيجب اعتقاده والتدين به، سواء حصل تعقل تلك الكيفية وإدراك معناها أو لم يحصل، إذ ليس كل ما هو واقع حقاً متعقل لكل أحد، وليس عدم التعقل والإدراك مسقطين لوجوب التدين والاعتقاد، كما لا يخفى، وحقيقة الشيعة هو الإتيان والانقياد لما قاله محمد وآل محمد عليهم السلام، فما قالوا به نقول به، وما دانوا به ندين به،

فَيَسَلَّمُ إِلَيْهِمُ ﷺ كلما يرد عنهم، وَيُرَدُّ عِلْمَ مَا لَمْ يَفْهَمُوا إِلَيْهِمْ.

[معنى حضوره ﷺ عند كل ميت]:

إذا عرفت هذه الجملة، فنقول: إنّ هنا وجوهاً تحمل عليه روايات الحضور، وهي ممكنة وليس مستحيلة.

[جزئية الأمير ليست كجزئية سائر الجزئيات]:

[المعنى] الأول: اتهام العقل في حكمه بالاستحالة؛ لجواز كون جزئية أمير المؤمنين ليست كغيره من سائر الجزئيات؛ لأنّ عقلك إنّما عرفت جزئية نفسك، ففاس عليها جزئية أمير المؤمنين ﷺ، وهو لم يعرف حقيقة جزئية أمير المؤمنين حتى يساوي بها جزئية نفسه.

[حضوره ﷺ معجزة إلهية]:

[المعنى] الثاني: أنه يجوز أن يكون ذلك فضيلةً من

فضائله، ومعجزةً من معجزه، كما أنّ النبي ﷺ سار ليلة المعراج من مكة المشرفة إلى بيت المقدس، ثمّ سار في الأجسام السماوية حتى تجاوزها إلى أن وصل إلى مقام: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾^(١)، ثمّ رجع إلى مكة المشرفة في ثلث ليلة، ومن مكة المشرفة إلى بيت المقدس، مسيرة ثلاثين يوماً في نقلٍ، وأربعين في آخرٍ، ومن الأرض إلى سماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام، وهكذا من كل سماءٍ إلى سماء، فإذا لاحظت الصعود والنزول كانت آلاف من السنين، مع أنه ﷺ قد طواها وطوى غيرها في ثلث ليلة، وبجسمه الشريف وثيابه ونعله.

وكونه معجزة له فنقول: أنه في حضوره تجسد، وحضور أهل بيته ﷺ عند كلّ ميتٍ أنه من معجزهم ﷺ، ولا يُبعد ولا استبعاد في ذلك، وأمير المؤمنين عليه السلام منبره في الكوفة قد قلب معاوية برجله، وهو على

(١) سورة النجم، الآية: ٩.

سريره في الشام.

وجبرائيل عليه السلام في نزوله بالوحي إلى النبي ﷺ أو بغير الوحي يخرق جميع عالم الأجسام في أقل من طرفة عين، وكذلك غيره من الملائكة.

وعالم الأجسام الذي يقطعه جبرائيل في تلك اللحظة أضعاف سعة الأرض الذي يخطوه الإمام عليه السلام لأجل حضوره عند جميع الأموات، فهل ترى أنّ نورية جسم جبرائيل وقوتها أعظم تجوهرأً وأشد نورية من جسم أمير المؤمنين عليه السلام؟

كلا ولا أظن أنّ أحداً يجتري على ذلك، فإذا كان جبرائيل عليه السلام يقطع تلك المسافة التي هي أضعاف سعة الأرض في أقل من طرفة عين، فأمر المؤمنين عليهم السلام بالطريق الأولى؛ لأنّ نورية جسم جبرائيل من فاضل نورية جسم أمير المؤمنين عليه السلام بمراتب.

فتحصل من هذا: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لا يبعد عليه

مكان، والدنيا بأجمعها خطوة مؤمن^(١).

وأيضاً: أنه من المعلوم أنّ إسرافيل عليه السلام هو صاحب الصور والنفخة، فتنزع أرواح الخلائق من كلّ ذي روحٍ على وجه الأرض بنفخة الجذب في نفخة واحدة، وكذلك أهل السماء، فهل ترى أنّ سلطنة إسرافيل لاجتماع أهل الأرض عنده، وحضورهم لديه، وحضورهم عندهم في قبض أرواحهم بنفخة واحدة، وكذلك بالنسبة إلى أهل السماء أقوى وأشد من سلطنة أمير المؤمنين عليه السلام في اجتماعه بجميع الأموات في وقت واحد.

ولا أظن أنّ أحداً من الشيعة ممن له خبرة^(١) ببعض

أحوال أمير المؤمنين عليه السلام يقول بذلك.

[إمكان وجزئية أمير المؤمنين أعلى من جزئية سائر

الخلق]:

(١) بحار الأنوار: ١٧٣/٥٢.

(١) هكذا ورد في المخطوط.

[المعنى] الثالث: إن الجزئي الذي يستحيل وجوده في
 الأمكنة المتعددة في الآن الواحد، إنما هو إذا كان ذلك
 الجزئي في رتبة تلك الأمكنة وفي رتبة من هو فيها.
 وأمّا إذا كان أعلى منازلًا، وأرفع درجات، فالعالي
 يحيط بالسافل، وهو في قبضته، وتحت سلطنته لا يغيب عنه
 شيء من أحواله، فهو بجميع ذاته وأحواله حاضر عند العالي
 ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ
 سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا
 كَانُوا﴾^(٣)، فافهم.

فأمير المؤمنين حاضر عند الكل، غاية ما هناك أن
 المحتضرين للموت قد انكشف لهم ذلك إلى الحاضر،
 فعاینوه عند الاحتضار.

ولا تتوهم من كون ظاهر الآية الشريفة أن رابع الثلاثة،
 وسادس الخمسة أو الأكثر أو الأقل هو الله جلّ وعلا أنها

(٣) سورة المجادلة، الآية: ٧.

أجنيه عمّا نقول؛ لاستحالة كون ذات الواجب تعالى داخلة في الأعداد، فمعيته إنّما هي معية فعله تعالى، ومحلّه هم الأربعة عشر عليه السلام، فمعيته فعله هي معية الأربعة عشر عليه السلام.

إرشاد: إذا فتحت عينك ترى أنها قد أحاطت بجميع ما تراه، من صور الحيطان والإنسان والأرض والسماء والأشجار والأحجار وغير ذلك مما هو أمامها، سواء قلنا إن الإبصار بخروج الشعاع أو بالانطباع، كما هو الحق.

وعلى كل حال: فقد اجتمعت جميع الصور في الجلدية أو الشعاع المنفصل بتلك الصور المتباينة في طرفة عين.

فهل ترى إن قوة بصر حدقة العين، وشدة نوريته يساوي قوة جسد أمير المؤمنين عليه السلام أو يساوي نوريته؟

كلا ولا، وأين الثريا من يد المتناول؟ هذا بالنسبة إلى مشعر العين الجسماني.

ومثل ذلك أيضاً المشعر العقلاني فإنك إذا التفتّ بخيالك إلى كل ما رأيت من المدن والبلدان، والبراري والقفار، والنخيل والأشجار، والجبال والبحار، وبني آدم

والحيوانات وغير ذلك، فإنه بمجرد الالتفات تحضر صور المذكورات في ذهنك في أقل من طرفة عين، فإذا رأينا أنه قد وجد في الخارج ما هو نظير المدعى ارتفعت الاستحالات وكان المدعى ممكنًا.

[طي الأرض والأمكنة المتعددة للأمير في آنٍ واحد]:

[المعنى] الرابع: أنه يمكن أن يكون حضور أمير المؤمنين بجسمه وجسده عند جميع أموات الدنيا، بأن يطوي الله تعالى له عليه السلام الأرض، وجميع أمكنتها على حسب ما يريد عليه السلام كما ترى أنه عليه السلام في مسجد الكوفة على منبره، فمد رجله عليه السلام، فقلب معاوية إلى الأرض، وهو على سريره في الشام، حتى عرف الحاضرون عند معاوية ذلك.

والله تعالى قد ألآن الحديد لداود^(١) عليه السلام فصار كالعجين أو كالشمع في يده، وآصف بن برخيا عليه السلام وصي

(١) يشير - أعلى الله مقامه - إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ سورة سبأ، الآية: ١٠.

نبي الله سليمان بن داود عليه السلام الذي عنده حرف ^(١) واحد من الاسم الأعظم، قد أتى بسرير ملكة سبأ إلى سليمان عليه السلام في أقل من طرفة عين ^(٢).

أمّا أنه قد مدّ يدهُ إليه، أو أشار إليه بالمجيء، فانخسفت الأرض حتى حضر عند سليمان عليه السلام، قبل أن يرتد إليه طرفه. عن القمي: (قال سليمان - يعني بعد مقالة العفريت - أريد أسرع من ذلك، فقال آصف بن برخيا: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ فدعى بالاسم الأعظم، فخرج السرير من تحت كرسي سليمان عليه السلام) ^(٣).

وعن (روضة الواعظين) أن النبي ﷺ أنه سُئِلَ عن الذي عنده علم من الكتاب. قال: ذلك وصي أخي سليمان بن

(١) في المخطوط: اسم.

(٢) يشير - أعلى الله مقامه - إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ سورة النمل، الآية: ٤٠.

(٣) تفسير القمي: ١٢٨/٢.

داود عليه السلام^(٤).

وعن (البصائر)، و (الكافي) عن الباقر عليه السلام: «إِنَّ اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمَ عَلَى ثَلَاثَةِ وَسَبْعِينَ حَرْفًا، وَإِنَّمَا كَانَ عِنْدَ آصَفَ مِنْهَا حَرْفٌ وَاحِدٌ فَتَكَلَّمَ بِهِ فَخُسِفَ بِالْأَرْضِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَرِيرِ بَلْقِيسَ، حَتَّى تَنَاولَ السَّرِيرَ بِيَدِهِ، ثُمَّ عَادَتِ الْأَرْضُ كَمَا كَانَتْ، أَسْرَعَ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ، وَعِنْدَنَا نَحْنُ مِنَ الْأَسْمِ الْأَعْظَمِ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ حَرْفًا، وَحَرْفٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى اسْتَأْثَرَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَهُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ»^(١).

وفي رواية أخرى عن (البصائر): «تَكَلَّمَ بِهِ فَانخَسَفَتِ الْأَرْضُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّرِيرِ [حَتَّى]^(٢) التقت القطعتان وحول من هذه على هذه»^(٣).

وفي [رواية] أخرى من (الكافي) عن الهادي عليه السلام، قال:

^(٤) روضة الواعظين: ١١١.

^(١) بصائر الدرجات: ٢٢٨، أصول الكافي: ١٣٢/١.

^(٢) في المخطوط: والتقت.

^(٣) بصائر الدرجات: ٢٢٩.

«فَتَكَلَّمَ بِهِ فَأَنْخَرَتْ لَهُ الْأَرْضُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَبَأَ، فَتَنَاولَ عَرْشَ بَلْقِيسَ حَتَّى صَيَّرَهُ إِلَى سُلَيْمَانَ، ثُمَّ انْبَسَطَتِ الْأَرْضُ فِي أَقْلٍ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ»^(٤).

وعن المجمع: عن الصادق عليه السلام، قال: «إن الأرض طويت له»^(٥).

وعن العياشي: عن الهادي عليه السلام، قال: «الذي عنده علم من الكتاب، آصف بن برخيا».

أقول: وأنت إذا تأملت هذه الروايات ونظرت إليها بعين الفهم والإنصاف تجدها من الظهور، بل الصراحة على المدعى بمكان؛ لأن آصف عليه السلام الذي عنده حرفٌ واحدٌ من الاسم الأعظم قد قدرَ على خسفِ الأرضِ فيما بينه وبين موضع عرش ملكة سبأ، حتى تناول عرشها، وأخرجه لسليمان عليه السلام من تحت سريره في أقل من طرفة عينٍ، أو أنه طوى الأرض حتى حضرت القطعة منها التي عليها عرش بلقيس

(٤) أصول الكافي: ١/١٣٢.

(٥) تفسير مجمع البيان: ٧/٣٨٦.

تحت سرير سليمان عليه السلام في أقل من طرفة عينٍ، مع أنه قد نطقَ القرآن الشريف بأن الله تعالى قد ألان الحديد لداود عليه السلام، حتَّى صارَ كالشمع في يده، يفله ويمده، ويطويه ويقطعه ويجمعه من غير نارٍ، فالذي عنده اثنان وسبعون حرفاً من الاسم الأعظم، هل ترى أنه يعجز أن يفعل مثل فعل آصف عليه السلام وأعظم وأعظم وأعظم؟

فالإشكال والتوقف في حضور شخص أمير المؤمنين عليه السلام عند كلِّ ميتٍ في الدقيقة إلى الواحد، إمّا من سوء الفهم أو اعوجاج السليقة.

نسأل الله تعالى بأمر المؤمنين، وبسيد النبيين، وأهل بيته الطاهرين، أن يوفقنا للهداية والسداد، وأن يرشدنا إلى زاد يوم المعاد، إنه الكريم الجواد.

[تقريب الاستدلال بمجريات يوم القيامة]:

تنبيه: هو كالدليل، بل هو دليل على المدعى.

فأقول: يا حبيبي، إنك تعتقد بما نطق به كتاب الله

المجيد في بيان أحوال الدنيا، قريب [قيام] القيامة الكبرى من قوله تعالى ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾^(١)، الذي هو الصوف.

وقال تعالى في آيةٍ أُخرى: ﴿وَيَوْمَ نُسِيْرُ الْجِبَالَ﴾^(٢)، بأن تكون الجبال كالريح.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾^(٣) كما يمد الجلد الذي هو الأديم، فإذا كان في قُدرة الله أن يُصير الأرض مثل الجلد تطوي، كما يطوى، وتمد كما يمد، وجبالها مثل الريح، ومثل الصوف المنفوش.

وجاءت الشريعة على طبق ذلك، فأى استبعادٍ في أن يجري الله مثل ذلك على يد وليه، عند إرادته للحضور، عند جميع مَنْ في الدنيا، في الدقيقة الواحدة بأمر ربه الذي هو محله وحامله، فضلاً عن خصوص المحتضرين منهم للموت.

(١) سورة القارعة، الآية: ٥.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٤٧.

(٣) سورة الانشقاق، الآية: ٣.

وبالجملة: فإننا نرى أنّ كلّ ما قَرَبَ مِنْ المبدأ صفى من الكثافات الموجبة للنقل، وأدق وأسرع في سيره، وكلّما بعد فعلى العكس.

لذلك ترى أنّ العرش يقطع الدور في أربعة وعشرين ساعة، والمتحركات الأرضية على العكس في البطء والسرعة وما بينهما بحسب ما فيه من كثرة الكثافات وقتتها، وقد علمت أن الإمام عليه السلام لا ظل له في الشَّمْس؛ لصفائه، وخلوه من الكثافات.

بقي هنا شيءٌ، وهو أنّ واقعة عرش ملكة سبأ واقعةٌ واحدةٌ، وقد عبّرت الروايات فيها بما ظاهره المنافات ففي بعضها بطي الأرض، وفي بعضها بخسفها.

[الجمع بين القول بطي الأرض أو خسفها في عرش

بلقيس]:

ويمكن الجمع بأن يراد من طي الأرض هو عطف طرفها الذي عليه العرش وثنيه على الباقي منها مما في جهة

سرير سليمان، فإنه يستعمل عرفاً الطوي في الثني^(١)، يقال: طويت البساط. أي: ثنيته، ويكون الانخساف والانحراف في خصوص ما حاذى القطعة المثنية، فيحصل حينئذ خرق وانخساف وطوي في هذه الواقعة الواحدة والله أعلم.

[لا يُقاس بآل محمد أحد من الخلق]:

والحاصل: إنَّ من ساوى بين جزئية جسد أمير المؤمنين وجزئية جسد غيره فقد حاد عن الطريق، ووقع في المضيق، كيف؟ وهو يعلم أن النبي ﷺ والأئمة يتقلّبون على المغتسل بأنفسهم، ولا يحتاجون إلى من يقلّبهم إذا غسلوا للموت للسنّة^(٢)، ورأس الحسين عليه السلام يتلو القرآن، يعظ أولئك الأشقياء اللثام، وهو على رأس السنان^(٣)، ومنع الجمال - اللعين - عن أخذ تكة سراويله بيديه الشريفتين - روعي له

(١) الصحاح: ٢٤١٦/٦، تاج العروس: ٦٤٥/١٩ مادة طوى.

(٢) بحار الأنوار: ٣٠٢/٢٥.

(٣) مقتل الحسين: ٣٤ - ٣٥٢.

الفداء^(٢)، ولعن الله ظالميه، وقاتليه -.

وبالجملة: فأحوال الأئمة واعتبارهم بما خصّهم الله تعالى لا يخفى على عوام الشيعة فضلاً عن علمائهم، بل وعن أعدائهم المنكرين لفضائلهم عليهم السلام.
 وإنما أطلت الكلام على هذه المسألة كي يتضح الحال ويرتفع الإجمال والإشكال عن كل من نظر إليها، ووقفه الله تعالى للهداية، وفتح عيني بصيرته للعلم والدراية، والله ولي التوفيق والتسديد.

[معنى وصول ضربة أمير المؤمنين للأرض السابعة]:

مسألة: قد أشكل بعض الأخوان فيما نقل عن جبرائيل عليه السلام، حيث قال للنبي ﷺ: «يا رسول الله، أنه لما ضرب علي عليه السلام مرحب الخبيري، أمرني الله تعالى أن أنزل في أقل من طرفة عين، وأقبض على سيف أمير المؤمنين عليه السلام كي لا

(٢) المصدر السابق: ٢٩٩.

يصل إلى الثور فيقتله، وقلب الأرض بأهلها ومن عليها؛ فنزلت إلى الأرض في أقل من طرفة عين، وقبضت على سيف أمير المؤمنين عليه السلام كي لا يهوى إلى الأرض السابعة إلى قرن الثور، فكان يا رسول الله أثقل عليّ من مدائن قوم لوط وهي سبع، حين رتقها من تخوم الأرض إلى السماء، تلك الليلة انتظر بها أمر ربي، فما وجدت لها ثقلاً كثقل فاضل سيف أمير المؤمنين عليه السلام» ^(١) - نقلته بالمعنى -.

وجه الإشكال: أنّ هذا غير ممكن إلاّ بأحد وجهين:
 إمّا بأن يصعد الثور إلى سطح الأرض، أو بأن يكون
 للسيف طول حتى يصل إلى الأرض السابعة إلى قرن الثور،

(١) ينقل السيد هاشم البحراني في (مدينة المعاجز: ١/١٨٣) عن الشيخ رجب البرسي من كتاب (مشارك أنوار اليقين: ١٩٨) معجزة، مما جاء فيها: «وأما إعجابي فإني لما أمرت أن أدمر قوم لوط، حملت مدائنهم وهي سبع مدائن من الأرض السابعة السفلى إلى الأرض السابعة العليا، على ريشة من جناحي، ورفعتها حتى سمعت حملة العرش صياح ديكتهم وبكاء أطفالهم، ووقفت بها إلى الصبح أنتظر الأمر ولم أثقل بها، واليوم لما ضرب عليّ ضربته الهاشمية وكبر أمرت أن أقبض فاضل سيفه حتى لا يشقّ الأرض وتصل إلى الثور الحامل لها فيشطره شطرين فتقلب الأرض بأهلها فتلقّيته، فكان فاضل سيفه عليّ أثقل من مدائن لوط، هذا وإسرافيل وميكائيل قد قبضا عضده في الهواء».

وكل منهما غير واقع.

والجواب: أنّ كل ضارب بآلة من الآلات لا بد أن يلقي قوته في تلك الآلة، فيظهر أثر القوة بتلك الآلة فيما حاذها وحاذى جهة ظهورات تلك القوة، وذلك الأثر يختلف في الكثرة والقلّة، والقرب والبعد بحسب اختلاف تلك القوّة في الشدّة والضعف.

وهذا كما ترى ظاهر لا شكّ فيه، فأمر المؤمنين عليهم السلام لما ألقى قوته في سيفه التي قد علم شأنها في الجهة كلّ أحد أثرها بسيفه إلى قرن الثور لو لم يمسك جبرائيل عليه السلام ما زاد منها على قتل مرحب بإمساك السيف، ولذلك أخبر [جبرائيل] رسول الله ﷺ بأنه أثقل عليه من مدائن قوم لوط.

وشاهد ما نقول: أنك لو ضربت بالحديد المحدد شيئاً فيما قد تساوت أجزاءه في التماسك، فإنه يتعلّق محاذياً لتلك الضربة مع عدم وصول ذلك الحديد إلى الطرف الأسفل من ذلك التماسك، وإنّما الواصل إليه أثر تلك القوة التي ألقيتها

في تلك الحديدية المحددة، والنظائر الشاهدة كثيرة لمن تدبر الآيات الآفاقية.

ومثل ذلك ما فعل موسى، حين ضرب بعصاه البحر فانفلق حتَّى ظهرت الأرض^(١) من غير أن تصل العصا إلى البحر.

وكذلك سيف أمير المؤمنين عليه السلام وصل أثر القوة التي فيه إلى قرن الثور، لولا إلامسك المذكور من غير حاجة إلى صعود الثور على سطح الأرض، أو أن تمتد حديدة السيف إلى قرن الثور. والله ورسوله وأهل بيته عليهم السلام أعلم.

وفرغ منها مؤلفها الراجي عفو ربه المنان، محمد بن المرحوم الشيخ عبدالله بن عيثان، عصر يوم الخميس ٧ محرم الحرام سنة ١٣٢٩هـ، حامداً مصلياً مستغفراً.

(١) يشير المؤلف - أعلى الله مقامه - لقول الله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ سورة الشعراء، الآية: ٦٣.

مصادر التحقيق

١- القرآن الكريم.

حرف الألف

٢- الاحتجاج.

أبو منصور احمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي،
تحقيق: إبراهيم البهادري ومحمد هادي به، الطبعة الثالثة
١٤٢٢هـ، منظمة الأوقاف والشئون الخيرية - قم المقدسة.

٣- الأجازة بين الاجتهاد والسيرة.

الميرزا موسى بن الميرزا محمد باقر الأسكوئي الحائري،
تحقيق: الشيخ أحمد البوشفيح، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ، الناشر:
لجنة إحياء تراث مدرسة الشيخ الأوحى الأحسائي مؤسسها،
بيروت - لبنان.

٤- اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي).

الشيخ أبو جعفر الطوسي، المعروف بـ شيخ الطائفة، تصحيح
وتعليق: المعلم الثالث مير داماد الاسترآدبادي، تحقيق: السيد
مهدي الرجاني، الناشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء

التراث.

٥- الأماي.

للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه القمي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، مؤسسة البعثة، قم - إيران.

٦- الأماي.

أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، قم - إيران.

٧- الرسالة التوبلية.

الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، جوامع الكلم، المجلد الأول (طبع على الحجر).

٨- أصول الكافي.

أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.

٨- أعلام الأحساء.

الحاج جواد بن حسين آل رمضان الأحسائي، الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، طبعة محلية.

٩- أعلام مدرسة الشيخ الأوحّد.

أحمد عبدالهادي المحمّد صالح، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ -

٢٠٠٦م، دار المحجة البيضاء، بيروت - لبنان.

١٠- أعلام هجر.

السيد هاشم بن السيد محمّد الشخص، المجلد الأول، الطبعة

الثانية ١٤١٦هـ، والمجلد الرابع، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ -

٢٠٠٦م، الناشر مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، بيروت -

لبنان.

١١- أعيان الشيعة.

السيد محسن الأمين، تحقيق: السيد حسن الأمين، الطبعة

الخامسة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، دار التعارف للمطبوعات، بيروت

- لبنان.

١٢- إحقاق الحق.

الحاج ميرزا موسى الأسكوئي الحائري، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ

- ١٩٦٥م، منشورات: مكتبة الميرزا الحائري العامة - كربلاء،
مطبعة النعمان، النجف الأشرف - العراق.
١٣- إقبال الأعمال.

السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس،
تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، الطبعة الأولى رجب
١٤١٤هـ، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، قم - إيران.

حرف الباء

١٤- بحار الأنوار.
العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ -
١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان.

١٥- بصائر الدرجات.
أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ "الصفار"، تقديم وتعليق:
الحاج ميرزا محسن "كوجه باغي"، طبع سنة ١٤٠٤هـ، الناشر:
مؤسسة الأعلمي، المطبعة: مطبعة الأحمدي، طهران - إيران.

حرف التاء

- ١٦- تاج العروس من جواهر القاموس.
السيد محمّد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي،
دراسة وتحقيق: علي شيري، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، دار الفكر.
- ١٧- تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة.
السيد شرف الدين علي الحسيني الاسترآبادي النجفي،
تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة الأولى
رمضان ١٤٠٧هـ، قم - إيران.
- ١٨- التحفة السنية في شرح النخبة المحسنية.
السيد عبدالله بن نعمة الله الجزائري، مخطوط.
- ١٩- التعريفات.
علي بن محمّد بن علي الجرجاني، حققه وقدم له: إبراهيم
الابيارى، الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، دار الكتب العربي،
بيروت - لبنان.
- ٢٠- تفسير الإمام العسكري عليه السلام.
المنسوب إلى الإمام أبي محمّد الحسن بن علي العسكري

تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي، الطبعة الأولى
ربيع الأول ١٤٠٩هـ، مطبعة مهر، قم - إيران.
٢١- تفسير التبيان.

أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي، تحقيق: أحمد حبيب
قصير العاملي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، الناشر: مكتب الأعلام
الإسلامي.

٢٢- تفسير الثعلبي.

أبو إسحاق أحمد بن محمّد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري،
تحقيق: أبو محمد بن عاشور، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ -
٢٠٠٢م، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٢٣- تفسير الرازي.

الفخر الرازي، الطبعة الثالثة.

٢٤- تفسير الصافي.

المولى محسن الفيض الكاشاني، صححه وقدم له: الشيخ
حسين الأعلمي، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ، الناشر: مكتبة الصدر،
المطبعة: مؤسسة الهادي، قم - إيران.

٢٥- تفسير القمي.

أبو الحسن علي بن إبراهيم بن القمي، صححه وعلق عليه:
السيد طيب الموسوي الجزائري، الطبعة الثالثة صفر ١٤٠٤هـ،
الناشر: مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم - إيران.

٢٦- تفسير أبي حمزة الثمالي.

لأبي حمزة ثابت بن دينار الثمالي، تأليف: عبدالرزاق محمّد
حسين حرز الدين، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٣٧٨هـ، ش،
الناشر: دفتر نشر الهادي، قم - إيران.

٢٧- تفسير فرات الكوفي.

فрат بن إبراهيم الكوفي، تحقيق: محمّد الكاظم، الطبعة
الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، الناشر: مؤسسة الطبع والنشر التابعة
لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران - إيران.

٢٨- تفسير مجمع البيان.

أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر

والتوزيع، بيروت - لبنان.

٢٩- تكملة أمل الآمل.

السيد حسن الصدر، تحقيق: د. حسين علي محفوظ،

وآخرون، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، دار المؤرخ

العربي، بيروت - لبنان.

٣٠- تهذيب الأحكام.

أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي، تحقيق وتعليق: السيد

حسن الموسوي الخراساني، الطبعة الثالثة ١٣٦٤ش، الناشر: دار

الكتب الإسلامية، طهران - إيران.

٣١- التوحيد.

أبو جعفر محمّد بن علي الحسين بن بابويه القمي، الشهير

بالصدوف، منشورات: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت

- لبنان.

حرف التاء

٣٢- الثاقب في المناقب.

الشيخ عماد الدين أبو جعفر مُحَمَّد بن علي بن حمزة الطوسي
المشهدى، تحقيق: نبيل رضا علوان، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ،
الناشر: مؤسسة أنصاريان، المطبعة: الصدر، قم - إيران.

حرف الجيم

٣٣- جامع البيان.

أبو جعفر مُحَمَّد بن جرير الطبري، ضبط وتوثيق: صدقي
جميل العطار، طبع ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، درا الفكر.

٣٤- جواب ميرزا محمد علي.

الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، جوامع الكلم، طبع
على الحجر.

حرف الحاء

٣٥- حلية الأبرار.

السيد هاشم البحراني، تحقيق: الشيخ غلام رضا مولانا
البروجردى، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، الناشر: مؤسسة المعارف

الإسلامية، قم - إيران.

حرف الخاء

٣٦- خصائص الأئمة.

أبو الحسن مُحَمَّد بن الحسين بن موسى الموسوي البغدادي
(الشريف الرضي)، تحقيق وتعليق: مُحَمَّد هادي الأميني، طبع
في ربيع الثاني ١٤٠٦هـ، الناشر: مجمع البحوث الإسلامية

٣٧- الخصال.

أبو جعفر مُحَمَّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي،
المشهور بالصدوق، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري،
الطبعة الأولى ذي القعدة ١٤٠٣هـ، منشورات: جماعة
المدرسين في الحوزة العلمية، قم - إيران.

حرف الدال

٣٨- دائرة المعارف الإسلامية الشيعية.

السيد حسن الأمين، الطبعة السادسة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، دار

التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان.

٣٩- الدرر الفاخرة في مدح ورثاء العترة الطاهرة.

الشيخ عبدالله الوايل الأحسائي، تحقيق وتعليق: الشيخ جعفر الهلالي، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، الناشر: مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، مكتبة جنان الغدير - الكويت.

٤١- ديوان الإمام علي عليه السلام.

الإمام علي عليه السلام، طبعة إيران، من غير تعريف بالديوان.

٤٠- ديوان الشيخ أحمد الأحسائي.

الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، تحقيق وتعليق: الشيخ راضي السلطان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، دار المحجة، بيروت - لبنان.

حرف الراء

٤١- رجال الطوسي.

أبو جعفر مُحَمَّد بن الحسن الطوسي، تحقيق: جواد قيومي الأصفهاني، طبع عام ١٤١٥هـ، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرسين بقم - إيران.

٤٢- الرَّسَالَةُ الْخُرَاسَانِيَّةُ فِي شَرْحِ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ.

الشيخ محمد آل أبي خمسين الأحسائي، تحقيق وتعليق:
الشيخ عبدالمنعم العمران، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م،
دار المحجة البيضاء، بيروت - لبنان.

حرف السين

٤٣- سعد السعود.

أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس
الحسني الحسيني، طبع عام ١٣٦٣، الناشر: منشورات الرضى،
قم - إيران.

حرف الشين

٤٤- شرح الزيارة الجامعة الكبيرة.

الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، الطبعة الأولى، مطبعة

السعادة، كرمان - إيران.

٤٥- شرح الفوائد.

الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، إعداد وتحقيق: الشيخ راضي ناصر السلطان، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م، طباعة ونشر: مؤسسة فكر الأوحاد، بيروت - لبنان.

٤٦- شرح أصول الكافي.

المولى محمد صالح المازندراني، ضبط وتححيح: السيد علي عاشور، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٤٧- شرح نهج البلاغة.

عبد الحميد بن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان.

٤٨- شعراء الغري.

علي الخاقاني، ١٤٠٨هـ، مكتبة آية الله العظمى المرعشي

النجفي، مطبعة بهمن، قم - إيران.

٤٩- شواهد التنزيل.

الحافظ الكبير عبيد الله بن أحمد المعروف بالحاكم
الحسكاني الحذاء الحنفي النيسابوري، تحقيق وتعليق:
الشيخ محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى ١٤١١هـ -
١٩٩٠م، الناشر: مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة
والإرشاد الإسلامي - مجمع إحياء الثقافة الإسلامية،
طهران - إيران.

حرف الصاد

٥٠- الصحاح.

إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور
عطار، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، الناشر: دار العلم
للملايين، بيروت - لبنان.

٥١- الصحيفة السجادية.

الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، تقديم: السيد

محمد باقر الصدر، مكتبة الألفين، الكويت.

حرف الشين

- ٥٢- طبقات أعلام الشيعة (نقباء البشر في القرن الرابع عشر).
العلامة الشيخ آقا بزرك الطهراني، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ -
٢٠٠٩م، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
٥٣- الطبقات الكبرى.

محمد بن سعد، المطبعة: دار صادر، بيروت - لبنان.

حرف العين

٥٤- العلل.

الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه، الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،
بيروت - لبنان.

٥٥- عوالي اللاكيء.

الشيخ محمد بن علي بن إبراهيم الأحسائي، المعروف بابن

أبي جمهور، تحقيق: الحاج آقا مجتبي العراقي، الطبعة الأولى
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، مطبعة سيد الشهداء، قم - إيران.
٥٦- عيون الحكم والمواعظ.

الشيخ علي بن محمد الليثي الواسطي، تحقيق: الشيخ حسين
الحسيني البيرجندي، الطبعة الأولى، المطبعة: دار الحديث.
٥٧- عيون أخبار الرضا عليه السلام.

الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي،
المعروف بالصدوق، صححه وقدم له: الشيخ حسين الأعلمي،
الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، منشورات: مؤسسة الأعلمي
للمطبوعات، بيروت - لبنان.

حرف الفاء

٥٨- فضائل الشيعة.

الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن
بابويه القمي، المعروف بالصدوق، الناشر: كانون انتشارات
عابدي، طهران - إيران.

٥٩- الفطرة السليمة.

الحاج محمد كريم الكرمانلي، بدون معلومات.

حرف القاف

٦٠- القاموس المحيط.

مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار المعرفة، بيروت - لبنان.

٦١- قصص الأنبياء والمرسلين.

السيد نعمة الله الجزائري، قدم له وعلق عليه: علاء الدين الأعلمي، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.

٦٢- قلائد الجمان في تراجم آل رمضان.

الحاج جواد حسين الرمضان، (مخطوط).

حرف الكاف

٦٣- كامل الزيارات.

أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي، تحقيق: الشيخ
جواد القيومي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، المطبعة: مؤسسة النشر
الإسلامي.

حرف الميم

٦٤- مجمع البحرين.

فخر الدين بن محمد علي الطريحي النجفي، تصحيح: السيد
أحمد الحسيني، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ، الناشر مكتب النشر
الثقافة الإسلامية.

٦٥- مجموعة الرسائل.

الحاج محمد خان الكرمانی، (برقم ٧٣)، الطبعة الأولى،
طبعت بمطبعة السعادة، كرمان - إيران.

٦٦- المحاسن.

أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي، تصحيح وتعليق:
السيد جلال الدين الحسيني، طبع ١٣٧٠هـ، الناشر: دار الكتب
الإسلامية، طهران - إيران.

٦٧- مختار الصحاح.

محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، ضبط وتصحيح:
أحمد شمس الدين، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، الناشر:
دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٦٨- مختصر بصائر الدرجات.

الشيخ حسن بن سليمان الحلبي، الطبعة الأولى ١٣٧٠هـ -
١٩٥٠م، منشورات: المطبعة الحيدرية، النجف - العراق.

٦٩- مدينة المعاجز.

السيد هاشم البحراني، تحقيق: علاء الدين الأعلمي، الطبعة
الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، منشورات: مؤسسة الأعلمي
للمطبوعات، بيروت - لبنان.

٧٠- المزار.

الشهيد الأول الشيخ محمد بن مكي العاملي الجزيني، تحقيق:
مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، الناشر:
مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم - إيران.

٧١- المزار.

أبو عبدالله الشيخ محمّد بن المشهدي، تحقيق: جواد القيومي
الأصفهاني، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، المطبعة: مؤسسة النشر
الإسلامي، قم - إيران.

٧٢- مستدرك الوسائل.

الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي، تحقيق: مؤسسة آل
البيت عليه السلام، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، الناشر:
مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، بيروت - لبنان.

٧٣- مستدرك سفينة البحار.

الحاج الشيخ علي النمازي الشاهرودي، تحقيق: الشيخ حسن
بن علي النمازي، سنة الطبع ١٤١٨هـ، الناشر: مؤسسة النشر
الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٧٤- مستطرفات السرائر.

ابن إدريس الحلبي، الطبعة الثانية ١٤١١هـ، الناشر: مؤسسة

النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٧٥- مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار المؤمنين.

الحافظ رجب بن محمد بن رجب البرسي الحلبي، تحقيق:
السيد جمال السيد عبدالغفار اشرف المازندراني، الطبعة
الأولى ١٣٨٠-١٤٢٢هـ، الناشر: انتشارات الشريف الرضي.

٧٦- المصباح في الأدعية والصلوات والزيارات.

الشيخ إبراهيم بن علي بن الحسن بن محمد العاملي الكفعمي،
الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، مؤسسة التاريخ العربي،
بيروت - لبنان.

٧٧- المصباح.

الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن
الطوسي، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م، الناشر: مؤسسة فقه
الشيعة، بيروت - لبنان.

٧٨- مصطلحات علم الكلام عند الشيخ أحمد الأحسائي
مُتَرَسِّمٌ.

أحمد عبدالهادي محمد صالح، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ -
٢٠٠٩م، دار المحجة البيضاء، بيروت - لبنان.

٧٩- معاني الأخبار.

الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابوية القمي،
عنى بتصحيحه: علي أكبر الغفاري، سنة الطبع: ١٣٧٩هـ،
الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم
- إيران.

٨٠- معجم علماء وأدباء الأحساء.

أحمد عبدالمحسن البدر، (مخطوط).

٨١- مفاتيح الجنان.

الشيخ عباس القمي، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، الناشر:
مؤسسة الأعلمي للطبوعات، بيروت - لبنان.

٨٢- مقتل الحسين.

السيد عبدالرزاق الموسوي المقرّم، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ -
٢٠٠٢م، الناشر: مؤسسة النور للطبوعات، بيروت - لبنان.

٨٣- من لا يحضره الفقيه.

الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابوية القمي،
صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية، الناشر:

جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم - إيران.

٨٤- مناقب آل أبي طالب.

أبو جعفر محمّد بن علي بن شهر آشوب السّروي
المازندراني، تحقيق: د. يوسف البقاعي، الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ١٣٧٩هـ، ش، الناشر: انتشار ذوى القربى.

٨٥- منتظم الدرّين.

الحاج علي التاجر، (مخطوط).

٨٦- ميزان الاعتدال في نقد الرجال.

أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان، تحقيق: علي محمّد
البجاوي، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م، الناشر: دار

المعرفة، بيروت - لبنان.

حرف النون

٨٧- نهج البلاغة.

للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، شرح: الشيخ محمّد عبده،

الطبعة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت -

لبنان.

حرف الهاء

٨٨- الهداية (في الأصول والفروع).

أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي،
المشهور بالصدوق، تحقيق: مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام،
الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ، الناشر: مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام،
قم - إيران.

حرف الواو

٨٩- وسائل الشيعة.

الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق: مؤسسة آل
البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ، الناشر:
مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم - إيران.



المحتوى

٧	كلمة المحقق
١٩	ترجمة المؤلف: الشيخ محمد آل عيثان
٢١	أسمه ونسبه
٢١	ولادته ونشأته العلمية
٢٣	ممن استفاد منه
٢٥	قالوا في شأنه
٢٩	وفاته
٣٠	مؤلفاته
٣٧	ترجمة السائل: الشيخ حسين الصحاف
٣٩	أسمه ونسبه
٣٩	ولادته وتعليمه
٤١	وفاته
٤٢	مؤلفاته
٤٣	وصف النسخة

- ٤٥ منهج التحقيق
- ٤٧ الصفحة الأولى من مخطوطة الرسالة الأولى
- ٤٨ الصفحة الأخيرة من مخطوطة الرسالة الأولى
- ٤٩ الصفحة الأولى من مخطوطة الرسالة الثانية
- ٥٠ الصفحة الأخيرة من مخطوطة الرسالة الثانية
- ٥٣ الرسالة الأولى
- ٥٥ المقدمة
- ٥٧ مقدمة المؤلف
- ٥٧ مدخل في السير والسلوك العرفاني
- ٦٢ تفسير ظاهر الظاهر
- ٦٢ التأويل
- ٦٤ تفسير الظاهر
- ٦٥ في العلل الأربع
- ٦٧ العلة الفاعلية وأقسامها
- ٧٠ مناقشة من قال بالتقدم الرتبي لآل محمد لا الفعلي
- ٧٢ حال أهل البيت عليهم السلام قبل خلق الخلق

- ٧٢ الظاهري
- ٧٨ الباطني
- ٨٠ الترقى هل هو نقص أم عين الكمال
- ٨١ معنى تلقي أهل البيت للمدد الإلهي
- ٨٣ جميع ما عند أهل البيت في ملكه تعالى
- ٨٥ إحاطة العالي بالسافل قبل وجوده
- ٨٧ آل محمد علّة فاعلية بالله
- ٩٠ قول الأحسائي في العلّة الفاعلية
- ٩٥ نسب الأثر إلى الأسباب
- أسباب عدم صحة إطلاق العلّة الفاعلية على
- ٩٦ الذات
- ٩٨ الفعل
- ١٠٢ صحة إطلاق العلّة الفاعلية على آل محمد
- ١٠٧ إشكالات مَنْ قال بعدم صحة إطلاق العلّة المادية
- على آل محمد

- ١٠٨ دفع الإشكالات وصحة إطلاق العلة المادية لآل محمد
- ١١٠ مفهوم قاعدة مخروط النور والظلمة
- ١١٣ دعوى عدم اتّصاف المادة للحسن والقبح
- ١١٤ ردّ دعوى عدم اتصاف المادة للحسن والقبح
- ١١٦ حقيقة الشيء مادته لا صورته
- ١١٧ اختلاف الأشياء
- ١١٨ ثبوت السلسلة الطولية في التشريع والتكوين
- ١١٩ المشابهة والمجانسة بين الشعاع والنور
- ١٢٣ صحة إطلاق العلة الصورية على آل محمد
- ١٢٤ معنى كتابة أسماء آل محمد على صفحات الوجود
- ١٢٦ أسرار ومراتب أهل البيت المودعة في سفينة نوح
- ١٢٩ تصوير الشيعة بنور الولاية
- ١٣٠ صور الشيعة من صور هياكل وأشباح أهل البيت
- ١٣١ صور المخالفين على عكس صور أهل الإيمان

- الإجماع على أنّ محمداً وآله هم العلة الغائية
للکائنات
١٣٥
- معنى سبق محمد وآل محمد الكون والمكان
والزمان
١٣٨
- العلة الغائية مساوقة لمعلولها
١٣٩
- أهل البيت عليهم السلام محل المشيئة الإلهية
١٤٣
- ما معنى الزيادة والمدد لآل محمد
١٤٥
- أهل البيت عليهم السلام محل المشيئة
١٤٦
- العقل الكلّي مظهر الأفعال
١٤٧
- احتياج الممكنات لمدد وجوداً وبقاءً
١٥٠
- ظهور فعل الله تعالى فيهم عليهم السلام
١٥٢
- معنى نسبة الفعل إلى أهل البيت عليهم السلام
١٥٧
- لزوم الواسطة في توصيل أثر فعل الفاعل
١٥٨
- آل محمد محل فعل الله تعالى
١٦٣
- مناقشة المصنف لعبارة (وما قالوه عين قوله)
١٦٤

- ١٦٤ جريان أفعال أهل البيت وفق إرادة الله
- ١٦٦ جريان آل محمد على مقتضى ما يريد الله
- ١٦٩ علم محمد وآله بالمدد الذي يزدادون به
- ١٧٥ حدوث المدد ونوعه
- ١٧٧ معنى مدد كل شيء بحسب نوعه
- ١٧٨ المدد مفعول الله تعالى
- ١٧٩ محمد وآله ﷺ أصل كل خير
- ١٨٣ كيف يكون آل محمد أصل الخيرات والبركات
- ١٨٥ بطلان القول بقدم الإرادة
- ١٩١ شرح: (واسمك الذي استأثرت به في علم الغيب عندك)
- ١٩٣ المراد من الاسم المستأثر به في علم الغيب
- ١٩٦ معنى الغيب
- ١٩٩ معنى العندية عند الله تبارك وتعالى
- ٢٠١ معنى اليوم
- ٢٠٥ هموم عالم الدر - وقت التكليف - فائدة

- التكليف في عالم الدنيا
- ٢٠٧ إثبات وجود عالم الذر
- ٢٠٩ تعريف عالم الذر
- ٢١٠ وقت التكليف
- ٢١٤ فائدة التكليف في عالم الدنيا
- ٢١٩ كيفية العلم بمدد الله لآل محمد ﷺ
- ٢٢١ كيفية العلم بالمدد
- ٢٢٣ نظرة حول حديث: «ولدني أبو بكر مرتين»
- ٢٢٥ الجمع بين حديثين
- ٢٢٩ حقيقة تولد الطيب من الشقي والعكس
- ٢٣١ تولد بعض الأشقياء منهم
- ٢٣٢ أكل أهل البيت الطيب
- ٢٣٧ دعوة وحدة الناطق
- ٢٣٩ القول بتعدد الناطق
- ٢٣٩ قسما الضروري وأحكامهما

- ٢٤٢ أحكام وصور المنكر للضروريات
- ٢٤٤ تشبث القائلين بوحدة الناطق
- ٢٤٧ حكم القائلين بوحدة الناطق
- ٢٤٩ إطلاق العلل الأربع على محمد وآله
- ٢٥١ حكم المنكر للعلل الأربع لآل محمد
- ٢٥١ هل يصح إطلاق العلم الإلهي على آل محمد
- ٢٥٢ معنى علم آل محمد بالغيب وعدمه
- وصول الفيوضات بيد آل محمد بواسطة
- ٢٦٢ النبي ﷺ
- ٢٦٣ مفهوم العلم الذي لا يُحيط به آل محمد
- ٢٦٤ علم أهل البيت عليهم السلام بالغيب
- ٢٦٩ إحاطة الولي على ما وُلي عليه
- ٢٧٣ علم أهل البيت في أوقات وجودها وأمكنتها
- ٢٧٣ أدلة علم أهل البيت بالشيء قبل وقته الدهري
- والزمانى
- ٢٧٦ إطلاقات القلم

- ٢٨١ إطلاقات القلب
- ٢٨١ معنى النورين الأولين
- ٢٨٢ أنوار العرش
- ٢٨٦ إطلاق الأنوار الأربعة على الملائكة
- ٢٨٧ آل محمد العالون الذين لم يسجدوا لآدم
- ٢٩٠ في معنى الروح والأمر
- ٢٩٤ الفرق بين الروحين
- ٢٩٥ المراد بملائكة الحجب
- ٢٩٩ كل شيء لا يتجاوز ما وراء مبدأه
- ٣٠٠ طلب النبي ﷺ الزيادة من العلم الإمكانى
- ٣٠٢ آل محمد ﷺ الحاملون لمشية الله
- ٣٠٣ الأدلة الثلاثة في ثبوت أن آل محمد محل المشية الإلهية
- ٣٠٣ الأوّل: دليل الحكمة
- ٣٠٤ الثاني: دليل العقل

- ٣٠٨ الثالث: دليل النقل
- ٣٠٨ مناقشة القول بتدرجية الموجودات
- ٣١٤ الجمع بين نداء إبراهيم والنبي للحج
- ٣١٧ المقامات الأربعة للعلم
- ٣١٩ العلم الذي يعلمه أهل البيت بتعليمٍ خاصٍ
- الاستدلال على أنّ الناس يُحشرون على صور
- ٣٢٤ أعمالهم
- ٣٢٩ القرآن يفسر بعضه بعضاً
- ٣٣٥ كيف يصبح الإنسان إنساناً
- ٣٣٦ كيف يصبح الإنسان شيطاناً
- ٣٣٧ كيف يصبح الإنسان حيواناً باطناً
- ٣٤٠ طلب آل محمّد الزيادة من العلم الإمكانى
- ٣٤٣ معنى الهوية والمثال وإخراج الأفعال في حديث
- الأمير عليه السلام
- ٣٥٠ توضيح
- ٣٥٣ أسماؤه جلّ وعلا لا تقع على الذات

- ٣٥٥ الأسماء المعنوية
- ٣٥٨ الأسماء الإلهية أسماء للظهورات
- ٣٦١ معنى الركنية وأدلتها
- ٣٦٣ اعتراض المصنف على السائل على تسمية رسالته
- ٣٦٤ المراد من الركنية
- ٣٦٥ أدلة القول بالركنية من القرآن
- ٣٦٨ أدلة القول بالركنية من السنة
- ٣٧٣ الرسالة الثانية
- ٣٧٥ معنى وأدلة حضور أمير المؤمنين عند كل ميت
- ٣٧٧ المقدمة
- ٣٧٧ استحالة تواجد الجزئي في أماكن متعددة في آن واحد
- ٣٧٨ ضرورة الاعتقاد بحضور أمير المؤمنين عند كل ميت
- ٣٧٩ معنى حضوره ﷺ عند كل ميت

- ٣٧٩ جزئية الأمير ليست كجزئية سائر الجزئيات
- ٣٧٩ حضوره ﷺ معجزة إلهية
- ٣٨٢ إمكان وجزئية أمير المؤمنين أعلى من جزئية
سائر الخلق
- ٣٨٥ طي الأرض والأمكنة المتعددة للأمير في آنٍ
واحد
- ٣٨٩ تقريب الاستدلال بمجريات يوم القيامة
- ٣٩١ الجمع بين القول بطي الأرض أو خسفها في
عرش بلقيس
- ٣٩٢ لا يُقاس بآل محمد أحد من الخلق
- ٣٩٣ معنى وصول ضربة أمير المؤمنين للأرض السابعة
- ٣٩٧ مصادر التحقيق
- ٤٢٣ المحتوى

التراث كنوز مدفونة في بطون الكتب ولا ينبغي أن تضيع على مرأى
ومسمع من أصحابها ، والاحساء هي كنز بحد ذاتها حملت حضارة
عريقة امتدت إلى آلاف السنين ، وكم هو محزن أن تشيح الوجوه
وتغمض الأعين عن هذه الآثار النفيسة . من هنا نقدم للقارئ الكريم
هذا الكتاب في علم الحكمة ومراتب الأئمة عليهم السلام

لسماحة آية الله العظمى الشيخ محمد آل عيثنان

وهو حصيلة أجوبة لمسائل بعثها له علم من أعلام أسرة الصحاف آية
الله الشيخ حسين بن الشيخ علي الصحاف (المتوفى سنة: ١٣٤٢هـ)
من دولة الكويت، ولا غرابة في ذلك فقد كانت مرجعية آل عيثنان
منتشرة على امتداد الخليج في الكويت وإيران والبحرين والعراق
مؤكدًا للتاريخ أن الاحساء كانت مصدر إشعاع ديني وحضاري
لكافة أرجاء المنطقة المحيطة.

د عبدالسلام العيثنان

الاحساء - القارة

٢٥-٢-٢٠١١

